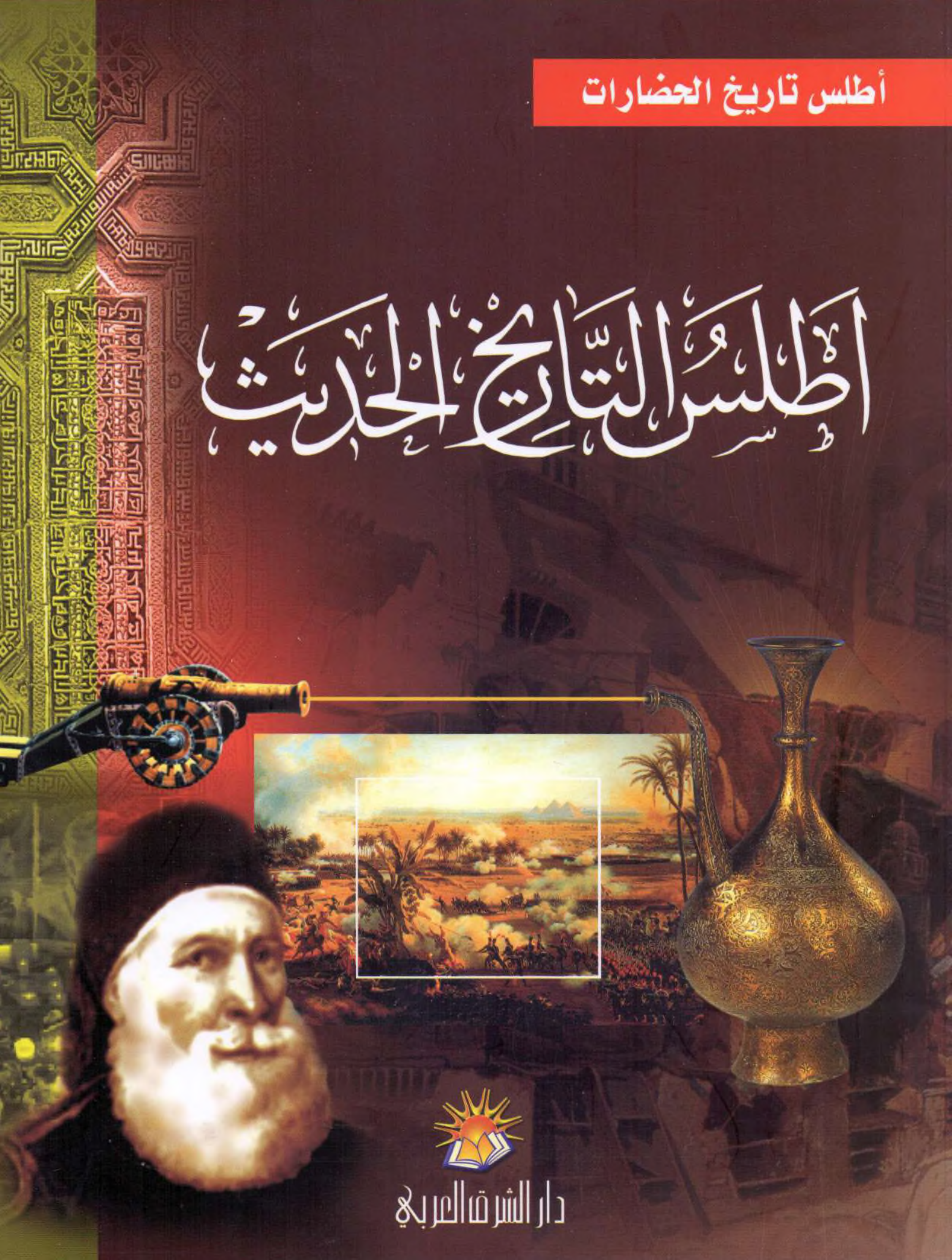
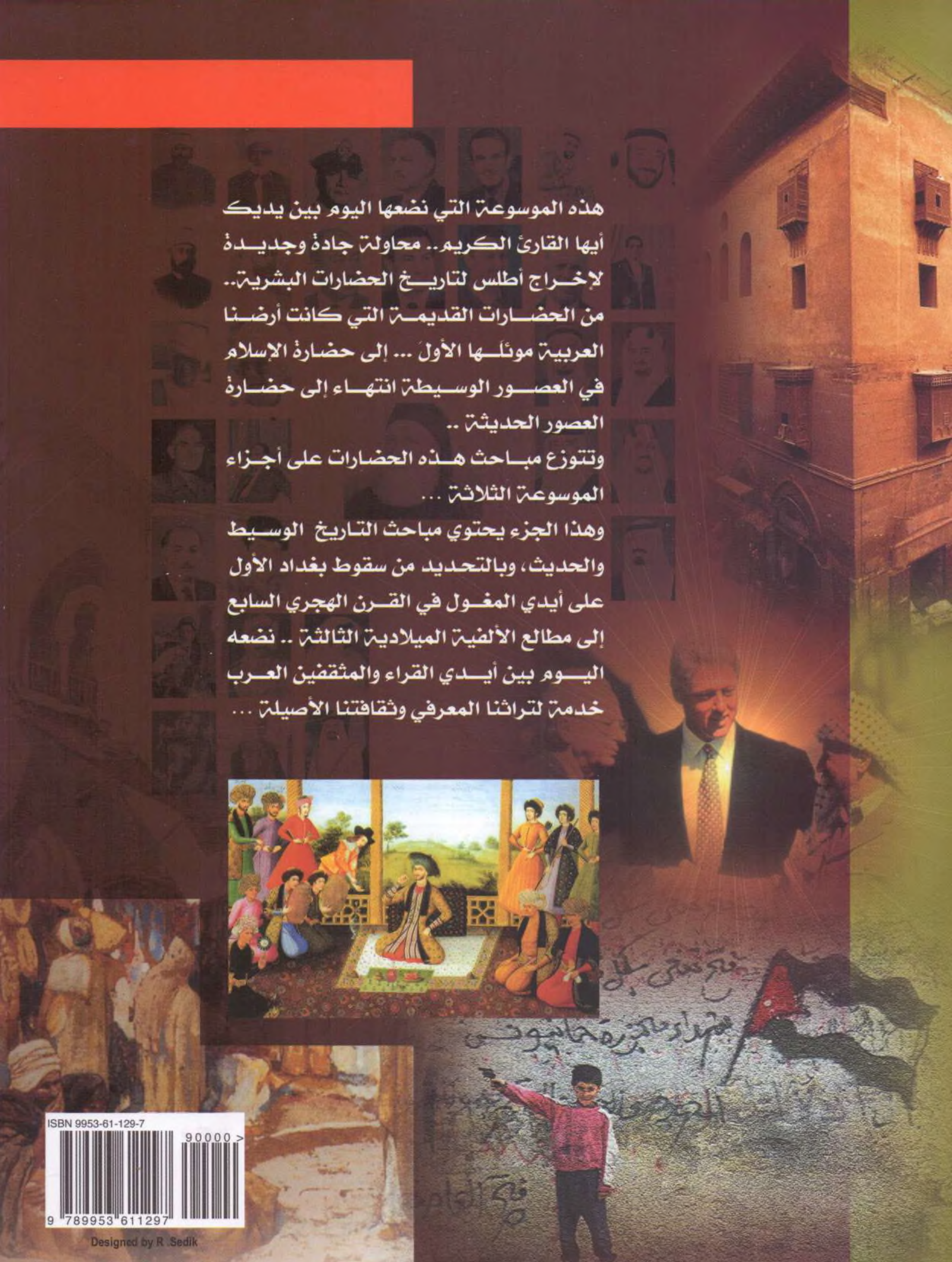

أطلس تاريخ الحضارات
أطلس التاريخ الحديث
دار الشرق العربي



هذه الموسوعة التي نضعها اليوم بين يديك
أيها القارئ الكريم.. محاولة جادة وجديدة
لإخراج أطلس لتاريخ الحضارات البشرية..
من الحضارات القديمة التي كانت أرضنا
العربية موئلها الأول ... إلى حضارة الإسلام
في العصور الوسيطة انتهاء إلى حضارة
العصور الحديثة ..
وتتوزع مباحث هذه الحضارات على أجزاء
الموسوعة الثلاثة ...
وهذا الجزء يحتوي مباحث التاريخ الوسيط
والحديث، وبالتحديد من سقوط بغداد الأول
على أيدي المغول في القرن الهجري السابع
إلى مطالع الألفية الميلادية الثالثة .. نضعه
اليوم بين أيدي القراء والمثقفين العرب
خدمة لتراثنا المعرفي وثقافتنا الأصيلة ...

ISBN 9953-61-129-7
9 789953 611297 90000>
Designed by R .Sedik

أطلس تاريخ الحضارات

أطلس التاريخ الحديث

إعداد الدكتور

سيف الدين الكاتب

الإشراف الجغرافي

ابراهيم حلمي الغوري

الإشراف التاريخي

محمد قجة

رئيس جمعية العاديات - حلب

د. محمد محفل

أستاذ التاريخ الروماني في جامعة دمشق

د. جلال بكداش

دكتوراه في التاريخ القديم - كولونيا - ألمانيا

محمد وحيد خياطة

مدير آثار ومتاحف حلب سابقاً



دار الشرق العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية

الإصدار الخامس
1433 هـ 2012 م

ISBN 9953 - 61 - 129 - 7

الناشر: المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
المنطقة الحرة - المسلمية - حلب - سوريا
ص.ب: 14 هاتف: 6530497 - 6530916 فاكس: 00963 21 2125966

توزيع : دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع
حلب - سوريا - هاتف: 2115773 - 2116441 - ص.ب: 415
بيروت - لبنان - تلفاكس: 00961 1 791668 ص.ب: 11/6918
WWW. afach.aleppodir. com
email: afashco1@ scs-net. org

المقدمة

بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الجزء (وهو الثالث) من موسوعة (أطلس تاريخ الحضارات) ، وهو الخاص بالتاريخ الوسيط والحديث ، رصدنا فيه الأحداث والوقائع المهمة منذ سقوط بغداد على أيدي التتار (المغول) سنة 656 هـ/1258م إلى اجتياحها الثاني على يد القوات الأمريكية والبريطانية، بقيادة مغول العصر ! . . . في مطالع الألفية الثالثة للميلاد . . .

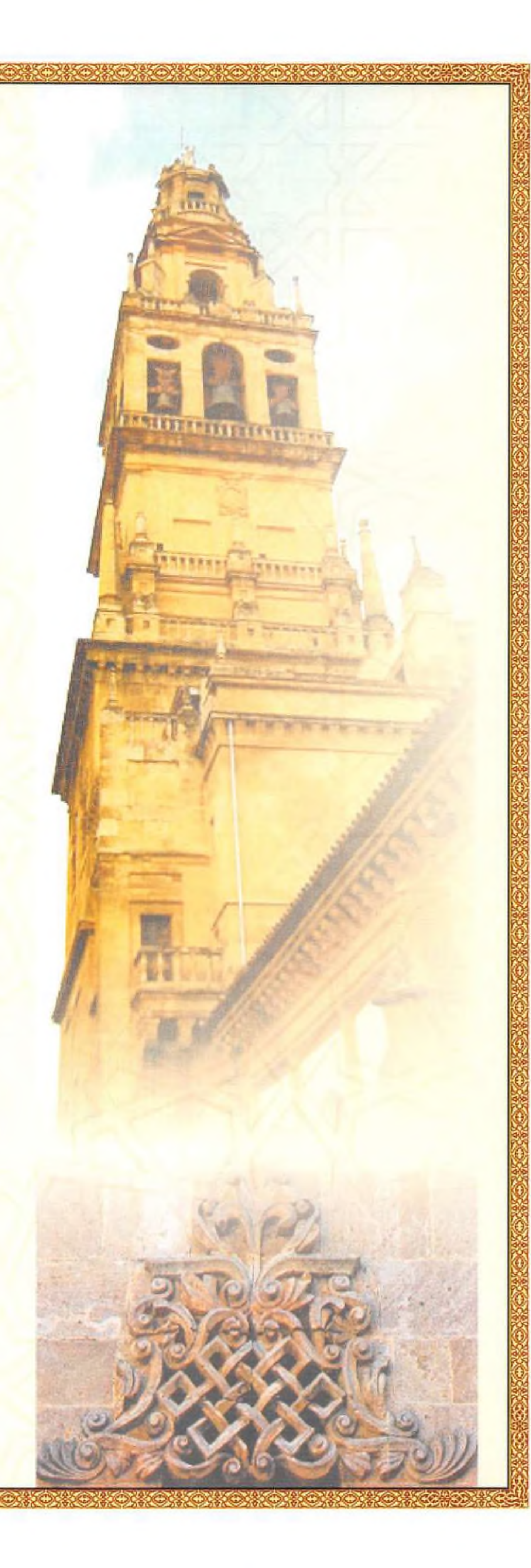
وأقسام هذا الجزء الرئيسة أربعة:

في القسم الأول منها تناولنا تاريخ العصر المملوكي، الذي استُهل بمواجهتهم التاريخية لقوى المغول في "عين جالوت" بعد سنتين من سقوط العاصمة العباسية، وما تلا ذلك من تحرير بلاد الشام ، ثم تصديهم للغزوة المغولية التالية التي قادها أبناء وأحفاد هولاكو ، وإخراجهم من بلاد الشام إلى غير رجعة في نهاية القرن الهجري السابع . .

ثم تحدثنا عن قضية "إعادة إحياء الخلافة العباسية" في مصر ، التي استمرت حتى نهاية سلطنة المماليك على أيدي العثمانيين سنة 923 هـ .

وتعرضنا في سياق "عصر المماليك" للحديث عن الحضارة المملوكية في العلوم والمعارف والعمران ، وختمنا القسم بالحديث عن أسباب انحطاط السلطنة المملوكية عسكرياً واقتصادياً ، بخاصة بعد اكتشاف الأوربيين (البرتغال) لطريق رأس الرجاء الصالح ، في القرن الميلادي الخامسَ عشر .

وكان لزاماً علينا أن نتحدث في سياق العصر المملوكي عن الدول والممالك التي عاصرته في المشرق والمغرب الإسلاميين، فتناولنا في أثناء ذلك أوضاع الأندلس والمغرب ، كما تحدثنا عن إيلخانات المغول (بعد إسلامهم) في المشرق الإسلامي .



ولم يفُتنا أن نفرد فصلاً للفن المملوكي ، الذي تشهد المعالم والآثار بتميزه وثرائه وامتداده في المساحة الجغرافية التي خضعت لسلطنة المماليك على مدى ثلاثة قرون من تاريخ الإسلام.

أما القسم الثاني من هذا الجزء فقد تناولنا فيه تاريخ الدولة العثمانية منذ أن كانت إمارة إلى أن غدت إمبراطورية ، وركزنا على تتبع الصراع العثماني- الأوربي ابتداء من فتح القسطنطينية إلى أن دبّ الضعف في أوصالها فتداعت الأمم الأوربية إلى اقتسام تركتها فيما عُرف بـ " المسألة الشرقية " ، وصولاً إلى اتفاقية "سايكس-بيكو" وما أعقب ذلك من تعرض الدول والبلاد التي كانت تنضوي تحت لواء العثمانيين لاستعمار بغيض لم تتحرر منه إلا بعدما قدمت ضريبة ذلك من دماء أبنائها وقوت شعوبها وخيرات أراضيها .

وفي سياق هذا القسم تحدثنا عن الدول التي عاصرت العثمانيين في العالم الإسلامي، كالصفويين في إيران وسلاطين المغول الكبار في الهند، ودول المغرب العربي على ذلك العهد . . .

وأفردنا فصلاً للفنون العثمانية مؤيدة بالصور والأشكال الآثارية التي خلدها العثمانيون على مدى أربعة قرون. .

أما القسم الثالث فتحدثنا فيه عن بداية عصر الاستعمار الذي تجلى ابتداء بحملة نابليون بونابرت على مصر وسوريا وما رافق ذلك من الظلم والفساد والاضطهاد واستغلال خيرات الأرض العربية بأبشع الصور والفنون. .

وفي هذا القسم أفردنا فصلاً لعصر "محمد علي" وأطماعه الإمبراطورية وصراعه مع الدولة العثمانية، ثم اضطرارها للاعتماد عليه في التصدي للدعوة الوهابية في الحجاز ولليونانيين في أوربا، ومآل الأمر إلى اختصاصه بحكم مصر وحدها له ولأسرته من بعده . . ثم ختمنا القسم بالحديث عن إنهاء "الخلافة العثمانية" على يد مصطفى كمال "أتاتورك" في مطالع القرن العشرين.

وأفردنا القسم الرابع والأخير للتاريخ الحديث والمعاصر، من نهايات الدولة العثمانية إلى مطالع الألفية الثالثة ، واحتدام السّعار الاستعماري الجديد متمثلاً في اغتصاب فلسطين أولاً، ثم قيام الدولة الصهيونية العنصرية بدعم غربي عالمي غير مسبوق ؛ وصولاً إلى عصر سيادة القطب الواحد بقيادة أمريكا بعد انتهاء الحرب الباردة . . . وما كان من تداعياته على الساحة العربية والإسلامية من غزو أفغانستان واحتلال العراق. . .

وقد توخينا أن نرجع في كل ما أثبتناه من مادة تاريخية أو جغرافية إلى المصادر الموثقة المعتمدة ، وتوخينا الدقة في النقل ما وسِعنا ذلك . . وحاولنا أن تكون صياغة المادة التاريخية واضحة الأسلوب سهلة العبارة . .

فإن فرط في عملنا هذا شيء من الخطأ أو السهو فمرده إلى عوارض الطبع البشري المحدود . . وإن أحسنّا فبفضل الله وتوفيقه وإحسانه . . على أن ذلك لا يمنع أن نرجوَ من يرى في عملنا شيئاً من الخطأ أن يُهديَه إلينا مشكوراً ، فإنما الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله الكرام . .

وقد رتبنا مواد الأطلس بحسب الترتيب التاريخي ما أمكن . . والتزمنا برسم الخرائط الموضّحة التي تعين المُطالع على معرفة مواقع الأحداث ، ملتزمين فيها التسميات التاريخية الموافِقة لفترتها ، واجتهدنا أن نقدم المادة التاريخية بأسلوب علمي بعيد عن الإنشاء الأدبي المحض ، وبإيجاز يفيد المُطالِع المتخصص وغير المتخصص على حد سواء . .

وهذا وإن يكن جهداً متواضعاً . . إلا أننا نأمل أن يكون إضافة طيبة، أو لبنة صالحة في مشروع إعادة بناء ثقافتنا العربية يسعدنا أن نضعه بين أيدي المثقفين من أبناء أمتنا وشبابها الذين تنعقد عليهم آمالها في بناء مستقبل كريم، وغد مشرق مشرّف.

والله من وراء القصد .

د . سيف الدين الكاتب

حلب في ربيع الآخر 1427 هـ/ أيار - مايو 2006 م

القِسمُ الأول

تَارِيخُ العَصْرِ المَمْلُوكِي

سقوط عاصمة الدولة العباسية

وقيام دولة المماليك

(648-923هـ/1250-1517م)

إن المؤرخين جميعًا يعتبرون انتصار المماليك على المغول في (عين جالوت) انتصاراً عالميّاً ؛ فقد عجزت كل من الدولة الخُوارزمية، والدولة العباسية عن مقاومة المغول أو مدافعتهم ، وبعد انهيار أكثر القوى المسيحية أمام الزحف المغولي على أجزاء من "روسيا" و"بولندا" و"المجر" جاءت موقعة عين جالوت لتشكل أول صدمة في الشرق لجيوش المغول وقادتهم الذين خُيّل لهم ولمعاصريهم أنهم قوم لا يُغلَبون.

ومن هنا كسبت سلطنة المماليك مركز الصدارة بين سلاطين المسلمين، كما استقامت لمصر زعامة جديدة في العالم الإسلامي.

أصل المماليك:

خليط من الأتراك والروم والأوربيين والشراكسة جلبهم الحكام ليستعينوا بهم حيث كان كل حاكم يتخذ منهم قوة تسانده، وتدعم الأمن والاستقرار في إمارته أو مملكته ، وممن عمل على جلبهم والاستعانة بهم الأيوبيون، وبخاصة في عصورهم المتأخرة لما أصابهم الضعف واحتاجوا إلى الرجال.

كان المماليك يُباعون للملوك والأمراء، ثم يُدَرَّبون على الطاعة والإخلاص والولاء.

المماليك في مصر:

عرفت مصر نوعين من هؤلاء المماليك:

1- المماليك البحرية: وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونُسِبوا إلى بحر النيل، أو سمّوا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار وهؤلاء حكموا مصر من سنة (648-784هـ/ 1250-1382م) ، وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطانًا .

2- أما النوع الثاني فهم المماليك الجراكسة ، أو البُرجية، وسُمّوا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراج قلعة الجبل، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عدداً، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (784-923هـ/ 1382-1517م) وهم ثلاثة وعشرون سلطانًا.

ولعل أهم ما يميز حكم المماليك أنهم لم يعتمدوا مبدأ وراثة العرش، وإنما كان الطريق مفتوحًا أمام من يبدي شجاعة وإقدامًا ومقدرة أكثر. فقد كانت هذه هي المؤهلات في دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين ، بعد مقتل "توران شاه" آخر سلاطين الأيوبيين بمصر.

التصدي للمغول:

استولى المغول على الأراضي الإسلامية التابعة لخوارزم شاه ثم واصلوا زحفهم فاجتاحوا العراق حتى أسقطوا الدولة العباسية باحتلال عاصمتها.

كان الحاكم في مصر آنذاك علي بن أيبك، وكان في الخامسة عشرة، وقد تولى مصر بعد وفاة أبيه المعز أيبك وكان ضعيفًا لا حول له في هذه الظروف الصعبة. وراحت مصر تتطلع إلى مملوك قوي يحمي حماها ويصون أرضها.

لقد سقطت الخلافة العباسية واستولى التتار على بغداد وبقية مدن العراق ثم اتجهوا نحو بلاد الشام التي كانت مقسَّمة إلى إمارات يحكمها أمراء أيوبيون وتمكن التتار من الاستيلاء على حلب سنة 657 هـ/1259م.

وفي هذه اللحظات التاريخية ظهر "سيف الدين قطز" وقد تولى حكم مصر، وقال قولته المشهورة : لابد من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم.

ووصلت إلى مصر استغاثات أهل الشام وأمرائهم من الأيوبيين ، وأصبحت مصر هي الأمل بعدما ضاع الأمل في دولة "الخلافة"، وفي أمراء الشام.

خرج "قطز" في عساكره، حتى انتهى إلى الشام ، وكان اللقاء عظيمًا عند "عين جالوت" في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان.

ولأول مرة يلقى " المغول " من يصدهم ويهزمهم هزيمة ساحقة، حيث كان النصر لراية الإسلام. وكانت صيحة واحدة صدق بها المسلمون ربهم "وا إسلاماه"، وفي يوم واحد، انقلبت الأوضاع، وأذن الله بنصره بعد عصر طويل من الذل والمهانة.

ولكن قطز لقي مصرعه وهو في طريق العودة بعد النصر! وتولى الأمر بعده "الظاهر بيبرس البندقداري"، على مصر والشام، وبعث بإحضار أحد العباسيين إلى مصر- وهو المستنصر بالله- وعينه خليفة للمسلمين، ونودي بـ" أمير المؤمنين"، وكان يدعى له على المنابر، أما السلطان الفعلي فقد كان للمماليك، واستمر الأمر على ذلك حتى سقطت "الخلافة"، حيث انتقلت من العباسيين إلى العثمانيين.

قتال الصليبيين:

وإذا كان التاريخ قد سجل للمماليك في حرب المغول بطولة رائعة، فقد سجل لهم قبل سنة 648هـ/ 1250م بسالتهم وإقدامهم في قتال الصليبيين عند "المنصورة" وعند "فارسكور" بقيادة الظاهر بيبرس.

إن الظاهر بيبرس لم يترك سنة في فترة ولايته دون أن يغزو الصليبيين ويحقق انتصارات عليهم. لقد استرد "الكرك" سنة661هـ/1263م، و"قَيْسَارِيَّة" سنة663هـ/ 1265م، وكثيرًا من البلاد التي استولى عليها الصليبيون مثل صفد، ويافا، وأنطاكية سنة 666هـ/ 1268م.

لقد وقف بيبرس للتتار وللصليبيين معاً بعد أن تحالفت قوى التتار والصليبيين ضد المسلمين. وكان لهما بالمرصاد، وأقام دولة قوية للمماليك، وعندما توفي سنة 676هـ/ 1278م، خلفه اثنان من ذريته حتى سنة 678هـ/1279م. ثم حكمت أسرة قلاوون.

ومرت سنوات قبل أن يتولى الملك الأشرف خليل أمر البلاد بعد وفاة والده قلاوون سنة 690هـ/1281م حيث أسدل الستار على الصراع الصليبي مع المسلمين في العصور الوسطى فقد فتحت عكا وبقية مدن الساحل في هذه السنة، وفرّ الصليبيون إلى قبرص التي أصبحت ملجأ لهم في الشرق ، وهكذا قُطع دابر الصليبيين في أرض العرب والمسلمين.

لقد حُلّت العقدة التي سيطرت لفترة على النفوس في عدم إمكان الانتصار على الجيوش المغولية وكسبت سلطنة المماليك مركز الصدارة بين سلاطين المسلمين، كما استقامت لمصر زعامة العالم الإسلامي من جديد.

واستمر عهد المماليك البحرية حتى سنة 784هـ/ 1382م، وكان عهد استقرار ورخاء، ولكن بوفاة الناصر محمد بن قلاوون سنة 741هـ/ 1341م، اضطربت البلاد المملوكية مما شجع الصليبيين على غزو مصر سنة 767هـ/ 1366م، من جزيرة قبرص حتى سقطت الإسكندرية في أيديهم بعد أن ساءت أحوال البلاد لعدم وجود رجل قوي على رأس " المماليك " بعد الناصر قلاوون، وسقط كثير من الشهداء على أيدي الصليبيين الذين اعتدوا على البنات والنساء.

عهد المماليك البرجية:

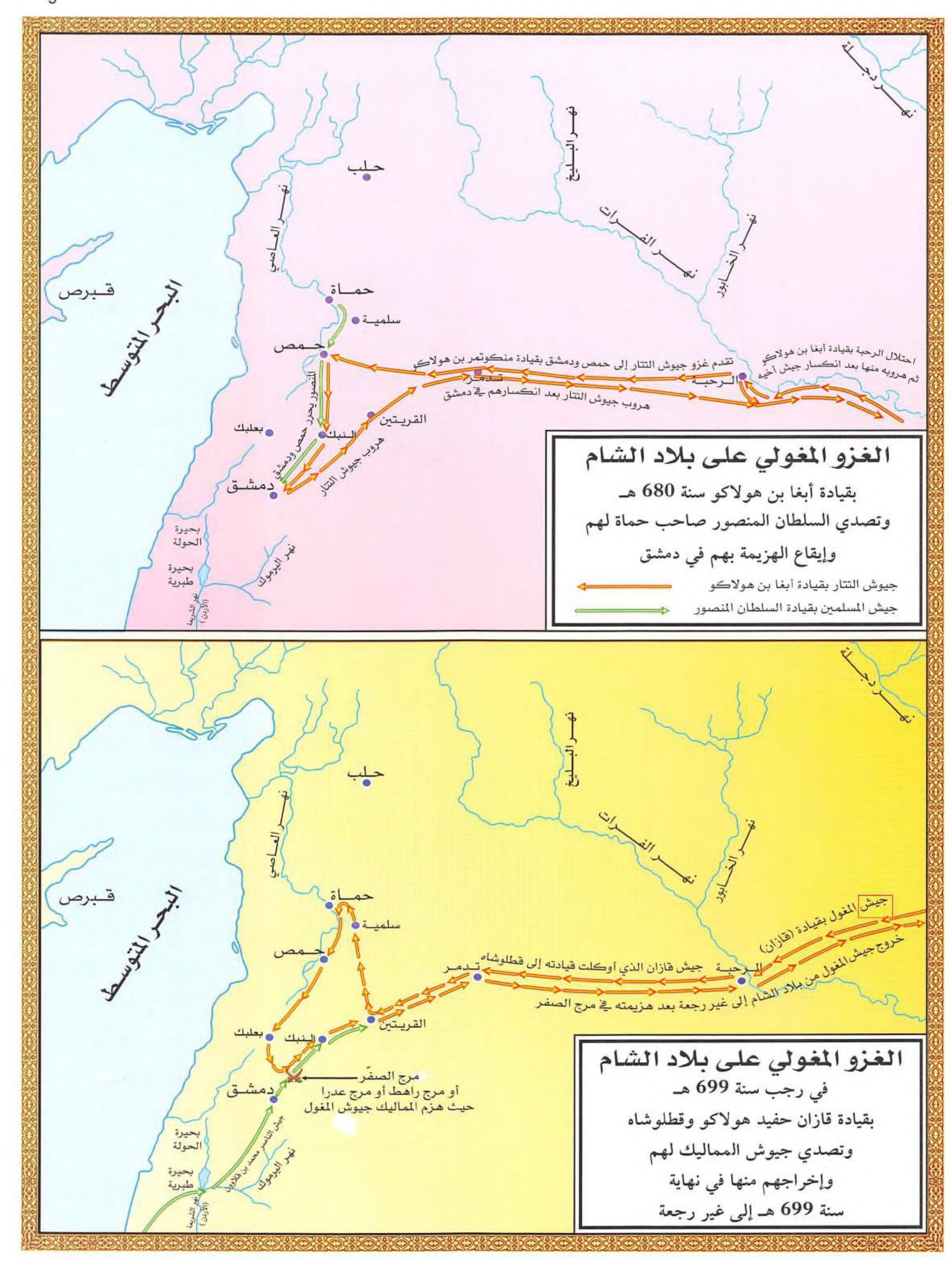
بدأ عهد المماليك البُرجية بالظاهر برقوق سنة 784هـ/ 1382م، وانتهى بالأشرف قنصوه الغوري الذي قتله العثمانيون في مرج دابق سنة 922هـ/1516م.

حضارة المماليك:

في الجانب الحضاري كان للمماليك اهتمام عظيم ببناء المدارس والمساجد والعمائرحتى يعد عصرهم من أزهى العصور في العمارة، وقد تميز بالهوية الإسلامية الصريحة . وإضافة إلى ذلك فقد كان لهم اهتمامهم بالزراعة والصناعة وشاع في عهدهم تصنيف الموسوعات العلمية والأدبية، كـ "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للقلقشندي، و"نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، كما ازدهرت في عهدهم التآليف التاريخية، كـ "خطط المقريزي" ومؤلفات ابن تغري بردي وغيرهما.



معركة عين جالوت
رمضان 658 هـ/أيلول 1260م
وما تلاها من تحرير بلاد الشام
من المغول على يد المماليك
بقيادة الملك المظفر قطز
موقع معركة عين جالوت
خط سير جيش المماليك
البحر الكبير
بحر الروم
بادية الشام
صحراء التيه
نهر النيل
خليج القلزم
نهر الفرات
قبرص
(البيزنطيون)
أرمينيا السفلى
حلب
دمشق
القدس
القاهرة
حمص
حماة
شيزر
معرة النعمان
حصن الأكراد
بعلبك
طبرية
عين جالوت
بيسان
نابلس
أريحا
بيت لحم
بيت جبرين
الكرك
غزة
عسقلان
الرملة
اللد
يافا
أرصوف
عتليت
قيصرية
حيفا
عكا
صور
صيدا
بيروت
طرابلس
عرقة
طرطوس
بانياس
اللاذقية
فاماغوستا
سلوقية
طرسوس
أضنة
اسكندرونة
هرقلة
مرعش
عينتاب
تل باشر
منبج
شميشاط
الرها
سروج
دمياط
رشيد
الاسكندرية
الفرما
المنصورة
القلزم
العقبة
30°
32°
34°
36°
38°


الغزو المغولي على بلاد الشام
بقيادة أبغا بن هولاكو سنة 680 هـ
وتصدي السلطان المنصور صاحب حماة لهم
وإيقاع الهزيمة بهم في دمشق
جيوش التتار بقيادة أبغا بن هولاكو
جيش المسلمين بقيادة السلطان المنصور
البحر المتوسط
قبرص
حلب
حماة
سلمية
حمص
بعلبك
النبك
القريتين
دمشق
تدمر
الرحبة
نهر العاصي
نهر الفرات
نهر البليخ
نهر الخابور
نهر دجلة
نهر اليرموك
بحيرة الحولة
بحيرة طبرية
المنصور يحرر حمص ودمشق
هروب جيوش التتار
تقدم غزو جيوش التتار إلى حمص ودمشق بقيادة منكوتمر بن هولاكو
هروب جيوش التتار بعد انكسارهم في دمشق
احتلال الرحبة بقيادة أبغا بن هولاكو ثم هروبه منها بعد انكسار جيش أخيه
الغزو المغولي على بلاد الشام
في رجب سنة 699 هـ
بقيادة قازان حفيد هولاكو وقطلوشاه
وتصدي جيوش المماليك لهم
وإخراجهم منها في نهاية
سنة 699 هـ إلى غير رجعة
جيش المغول بقيادة (قازان)
خروج جيش المغول من بلاد الشام إلى غير رجعة بعد هزيمته في مرج الصفر
جيش قازان الذي أوكلت قيادته إلى قطلوشاه
مرج الصفّر
أو مرج راهط أو مرج عدرا
حيث هزم المماليك جيوش المغول
جيش الناصر محمد بن قلاوون

سلسلة سلاطين المماليك

عصر الممَاليك البحرية

648 - 792 هـ/1250 - 1390 م

1- السلطانة شجرة الدر:حكمت 80 يوماً 648-648هـ
2- المعز عزالدين أيبك : 648-655هـ
3- المنصور نورالدين علي بن أيبك : 655-657هـ
4- المظفر سيف الدين قطز : 657-658هـ
5- الظاهركن الدين بيبرس البندقداري:658-676هـ
6- السعيد ناصر الدين بركة بن بيبرس: 676-678هـ
7- العادل سلامش بدرالدين بن بيبرس:678-678هـ
8- المنصور سيف الدين قلاوون : 678-689هـ
9- الأشرف خليل بن قلاوون : 689-693هـ
10- الناصر محمد بن قلاوون : 693-694هـ
11- العادل زين الدين كتبغا : 694-696هـ
12- المنصور حسام الدين لاجين : 696-698هـ
13- الناصر محمد بن قلاوون - ثانية: 698-708هـ
14- المظفر بيبرس الثاني الجاشنكير: 708-709هـ
15- الناصر محمد بن قلاوون - ثالثة: 709-741هـ
16- المنصورأبو بكر بن الناصرمحمد: 741-742هـ
17- الأشرف كجك ابن الناصرمحمد: 742-742هـ
18- الناصر أحمد بن الناصرمحمد: 742-743هـ
19- الصالح إسماعيل بن الناصرمحمد 743-746هـ
20- الكامل شعبان بن الناصرمحمد: 746-747هـ
21- المظفر أمير حاج بن الناصرمحمد 747-748هـ
22- الناصر حسن بن الناصرمحمد : 748-752هـ
23- الصالح صالح بن الناصرمحمد: 752-755هـ
24- الناصر حسن بن الناصرمحمد : 755-762هـ
25- المنصور محمد بن المظفر : 762-764هـ
26- الأشرف شعبان الثاني بن حسن: 764-778هـ
27- المنصور علي بن الأشرف شعبان:778-783هـ
28- الصالح حاجي الثاني بن شعبان : 783-784هـ

الممَاليك الجَراكِسَة "البرجية"

792 - 923 هـ/1390 - 1517 م

1- الظاهر برقوق : 784-791هـ ، ثم 792-801هـ
فخلال فترته حكَم الصالح حاجي مرة ثانية لمدة سنة
2- الناصر فرج بن برقوق : 801-808هـ
3- المنصور عبد العزيز بن برقوق : 808-808هـ
4- الناصر فرج - ثانية : 808-815هـ
5- المؤيد أبو النصر : 815-824هـ
6- المظفر أحمد بن المؤيد: 824-824هـ
7- الظاهر سيف الدين ططر : 824-824هـ
8- الصالح محمد بن الظاهر ططر : 824-825هـ
9- الأشرف برسباي أبو النصر : 825-841هـ
10- العزيز يوسف بن برسباي : 841-842هـ
11- الظاهر جقمق أبو سعيد : 842-857هـ
12- المنصور عثمان بن الظاهر : 857-857هـ
13- الأشرف إينال العلائي : 857-865هـ
14- المؤيد أحمد بن الأشرف إينال 865-865هـ
15- الظاهر خُشقدم سيف الدين : 865-872هـ
16- الظاهر بلباي أبو النصر : 872-872هـ
17- الظاهر تمربغا أبو سعيد: 872-872هـ
18- خير بك : ليلة واحدة 872-872هـ
19- الأشرف سيف الدين قايتباي : 872-901هـ
20- الناصر محمد بن الأشرف قايتباي 901-902هـ
21- الأشرف قانصوه الغوري : 902-903هـ
22- الناصر محمد بن قايتباي - ثانية: 903-904هـ
23- الظاهر قانصوه أبو سعيد : 904-905هـ
24- الأشرف جانبلاط أبو النصر : 905-906هـ
25- العادل طومان باي : 906-906هـ
26- الأشرف قانصوه الغوري - ثانية: 906-922هـ
27- الأشرف طومان باي الغوري : 922-923هـ

الخلافة العباسية في مصر

659 - 923 هـ/ 1361 - 1517 م

كان إحياء الخلافة العباسية بمصر حدثاً مهماً من الأحداث الكبرى التي جرت في عهد المماليك، فقد سقطت بغداد في أيدي التتار على يد "هولاكو" وجنوده ، وقُتل " الخليفة العباسي " وانتهت الخلافة العباسية ببغداد ، وبعد سنتين من ذلك بدأت سلطنة الظاهر بيبرس ، الذي سارع إلى التفكير في إعادة الخلافة العباسية ، فاستدعى سنة 659 هـ/1261 م أحد أبناء العباسيين الذين فروا من الزحف المغولي، واسمه أبو القاسم ، وعقد له مجلساً حافلاً حضَره القضاة والعلماء والأمراء ، حيث أمكن إثبات نسب أبي القاسم إلى سلسلة " الخلفاء العباسيين " ، فبايعه الحاضرون ليكون خليفة الإسلام والمسلمين ، ولُقّب بالمستنصر بالله ، ثم أُخذت له البيعة من الناس على اختلاف طبقاتهم .

وبعد أن تمت مراسم البيعة قام "المستنصر بالله" بتقليد "الظاهر بيبرس" حُكم البلاد جميعها باسمه، والحكم بما "سيفتحه الله عليه" بالدعوة أو بالسيف، ونُقشت السكّة باسم الخليفة والسلطان معاً، ودعا لهما الخطباء على المنابر في صلاة الجمعة، كما ذكر المقريزي وابن إياس.

وبهذا التصرف فقد أحاط بيبرس عرش المماليك بالقداسة والإجلال وأصبحت لهم السلطة الشرعية على البلاد.

وعندما أعلن " المستنصر بالله " عن رغبته في استعادة " عاصمة الخلافة العباسية " من أيدي التتار شجعه الظاهر بيبرس ،وأمدّه بجيش جعل الخليفة العباسي قائده، وسيّره ليسترجع عاصمة آبائه وأجداده، ولكن المغول تصدوا له وقضوا عليه.

ولما علم الظاهر بيبرس بمقتل الخليفة حزن عليه واستدعى عباسياً آخر هو أبو العباس أحمد ، وبعد أن أثبت نسبه تمت بيعته على النحو السابق، وتلقب بالحاكم بأمر الله.

وبالتالي أعاد الخليفة الجديد تقليد بيبرس الولاية على البلاد الإسلامية.

ولكن الظاهر بيبرس أدرك أن من الخير له أن يستبقي الخليفة في القاهرة، فذلك أحسن من انتقاله إلى بغداد على فرَض الانتصار على المغول، لأن الخليفة في بغداد سيتصرف على نحو مغاير لتصرفه وهو في القاهرة، لاحتمال أن تتحكم فيه قوى أخرى كتلك التي تحكمت في الخلفاء العباسيين ابتداء من العصر العباسي الثاني.

وهكذا تم انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة، واستمرت بها طيلة حكم المماليك البحرية والبرجية، ولكنها لم تكن تملك من الأمر شيئاً فلا حول لها ولا طول ولا رأي في سياسة الأمور، وإنما كان عليها أن تبارك وتؤيد سلطة من يتربع على عرش السلطنة من المماليك.

واستمرت " خلافة بني العباس " في مصر حتى استولى العثمانيون عليها سنة 923 هـ بقيادة السلطان سليم الأول حيث ، " تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة " للسلطان العثماني الذي نقلها إلى العاصمة العثمانية (إستانبول) وظلت قائمة في أعقابه إلى أن زالت بزوال الدولة العثمانية سنة 1342هـ / 1923م على يد أتاتورك .





دولـــة المماليك
عصر المماليك البحــرية
648 - 784 هـ / 1250 - 1382 م
عصر المماليك الــبرجيــة
784 - 922 هـ / 1382 - 1517 م
المقيـاس: 1/12.100.000
الأتـراك العثمانيـون
سلاجقـة الـروم
أرمينـــيا
الجلايـريـون
حتى 813 هـ/1410 م
ثـم الصفـويـون
907 - 1095هـ/1502- 1683م
أرمينيا الصغراء
روودس دخلت في طاعة السلطان بارسباي
قبرص استولى عليها السلطان بارسباي
سنة 830 هـ/1426 م
بحــر الـــروم (المتوسط)
بــلاد الشــام
(نيــابة السلطنة المملوكيــة)
بــلاد العــرب
بــلاد الحجــاز
(تابعة لسلطنة المماليك)
بحــر القــلزم (الأحمــر)
الديــار المصــريــة
الصحــراء الليبيــة
صحــراء النوبــة
نهــر النيــل
نهــر دجــلة
نهــر الفرات
الخــليج العــربي
البحــرين
10
أملاك البندقيــة
البلقــان
دوقيـة أثينا
كـريت
روودس
قبرص
بحر طبرستان
(قزوين)
قيسارية
قونية
أنطاليا
ملطية
دياربكر
ماردين
الموصل
أضنة
أنطاكية
حلب
حماة
حمص
طرابلس
بيروت
دمشق
عــكا
حيفـا
القدس
غزة
أيلة
القلزم
القاهـرة
الاسكندرية
برقة
المنيا
سوهاج
قنـا
أسوان
المدينة المنورة
مكة المكرمة
تبريـز
أردبيل
همدان
أصفهان
بغداد
واسط
البصرة

حضـارة العصـر المملـوكي

الحياة العلميّة في بلاد الشّام في أيّام المماليك[1]

تـمّ على أيدي المماليك الأوائل أمران في غاية الأهمية بالنسبة لبـلاد الشام ، أولهما: القضــاء عـلى الوجود (الصليبي) في تلك الديار، والثاني: هو إعادة الأمن إلى بلاد الشـام بعـد الفوضى التي عصفت بهـا في الفترة 567-648 هـ/ 1171-1250م.

ونتيجة لاحتلال المماليك موانئ الساحل الشامي وخشية منهـم أن يعود الصليبيون إليها ، كان السلطان "المنتصر" يهدم الميناء الذي يحتله، ثم اتضح لهم بعد بعض الوقت أن الموانئ مهمة للتجارة فعـادت الحـياة إلى بعضها، وقد عمل السلاطين أنفسهم على إعـادة النشاط إلى هذه الموانئ.

ومن أهم مـا يجب أن يُذكَر لعصر المماليك أن المركز التجاري الذي كانت بلاد الشام تتمـتع به دائماً عاد إليه الكثير من النشاط.

ومما رواه بعض الرحالين الأوروبيين الذين زاروا المنطقة، بما فيها " دمشق " في القرنـين الثـالث عشر والرابع عشر يمكن رسم صورة تتلخص فيما يلي:

سورية بلد غني، وقـد كان موقعها على الطـرق التجارية ذا فائدة خاصـة لها في العصـور المتوسـطة. ولم تُفِد دمشق من هذه التجارة فحسب، بل أيضاً من الصناعات وخاصـة من الحِـرَف ، فقـد كانت دمشق تنتج السـكّر والموالــح وتصنـع المنسوجات القطنـية والحريرية والزجاج والخـزف والفخّار والصابون وماء الزهر والعطـور والشموع والأحذيـة ، وكانت المدينة مشهورة أيضاً بصياغة الذهب والفضة، وكانت تُقـرَن بالقاهرة ، وكان بعض الأوربيـين يفضّـلونهـا عــلى باريس وفلورنسة.

وكانت جميـع الشوارع الواقعـة داخــل أســوار المدينة تنيرها في الليل مصابيحُ معلّـقة فيهـا ، وبيوتها مرتفعة ومبنية من الخشب ، وأكثر البـيوت كانت فيها نوافيرُ منحوتة من الرخام، هي متعة للناظرين.

وعرفت بلاد الشام في الفترة المملوكية عدداً كبيراً من المـدارس كانت مـراكزَ مهمـةً للتعليم . عـلى أن المدرسة لم تكن المكـانَ الوحيدَ، وإن كانت المكان الرئيسي، الذي يطلب فيه الناس العلم، بل كان هناك الجامع والزاوية (الخانقاه). ومع أن هذه كانت مرتبطة أصلاً بالطريقة الخاصة بها أو التي أنشأتها، فـقد كان بعضها يؤدي دوراً كبيراً في الاهتمام بالعلوم الدينية.

إن خطر الغزو المغولي، الذي تحقق عندمـا احتل هؤلاء بغداد، حمل كثيرين من العــلماء على الهجرة من العاصمة العباسـية متجهين غربــاً، وكانت دمشق المكانَ الطبيعي الذي يُلقون عصـا التسيار فيه. كما أن الرعاية التي كان آل زنكي والأيوبيون وبعض سلاطين المماليك يسبغونها على العلماء، جذبت كثيرين منهم فانتقلوا من شمال العراق إلى دمشق، التي كانت ذات جاذبية خاصة. كما هجـر عـدد من العلمـاء فلسطينَ، وهي تحت حكم الصليبيين إلى دمشق .

ويـلاحظ البـاحث أن الكثير من كتب العقـائد لم تكن أكثر من شروح وتفاسـير لكتاب واحـد أو ذيـول له . ومن حيث أن المجتمع الإسـلامي لم يتـلقَّ، في القرن السابع (الثالث عشر) أو بعـده، تيارات فكريـةً من الخارج ، فإن الحياة الفكرية لم تعرف الحوافز أو البواعث التي تحملها على الانطلاق . ذلك أن التوازن الداخلي القائـم وجـد في الفقه المعاصر له ما يلزمـه لسد حاجاته . وكان لابد من ضغط خارجي لإحداث رد فعل يؤدي إلى تبديل الوضـع، ومثل هـذا الضغط لم يشهده العصر المملوكي.

أما المؤرخون في العصر المملوكي فقد أفادوا من عدد كبير من الجغرافيين والرحّـالين كانوا قـد درسـوا أجزاء العالم وكتبوا عنهـا. فلم يكن لهؤلاء المؤرخـين

(1) من بحث للدكتور نقولا زيادة - مجـلة التراث العـربي - السنة 14 العدد 55 و 56 لعام 1994 بإيجاز وتصرف.

أن يتجاهلوا الأقوام الأخرى . فضـلاً عن أن بعضهـم بذل جهوداً لتـدوين تاريخ الحروب الصليبية، وكانت آفاقهم أوسع. ولقـد يصح القول بأن مـؤرخي القـرن الثامن الهجري (الرابع عشر للميلاد) هم الذين أرشدونا إلى كتابة التاريخ ؛ وفي طليعتهم ابن خلدون .

وازدهـر في العصر المملوكي تصنيف المؤلفـات الموسوعية التي شمـلت فنـون العلم والمعرفـة على أنواعها: ففي الفقه وضع الموفّـق "المغني".وفي مجال التاريخ ظهر أمثـال ابن الفرات والذهبي، وفي المجال الموسوعي بالذات صنف ابن فضل الله العمَـري كتاب "مسالك الأبصار" الذي جاء في عشرين جزءاً تناول فيها التاريـخ والأدب والجغرافيـا السـياسية عـلى نحـو مـا عرفها العصر. فضلاً عن أنه كان في زمنـه دليلاً رسمياً للذين يعملون في وظائف الدولة.

وهـذه تراجـمُ مقتضبة جـداً لبعض المؤرخـين والموسوعيين الذين كانت حياتهم نموذجاً للعصر.

من هؤلاء الذهبي المؤرخ (ت749هـ/1349م) الذي صنف " تاريخ الإسلام " في سـبعين قسماً خصَّ كل قسم منها بعقد من السنين. وقد كان واسع المعرفة ضليعاً في علمه بالمصادر حيث إن كتابه يمكن اعتباره من نوع الموسوعات التاريخية.

وقد خـلَفه في كتابة التاريخ " ابن كثير " صاحب " البداية والنهاية " الذي وضعه في أربعـة عشر جـزءاً. وقد لجأ الاثنان -الذهبي وابن كثير- إلى تلخيص من سبقهما في كتابة تاريخ القرون الأولى ، لكنهمـا كانا يحسان، وهما يدونان أخبار زمانهما، أنهمـا يؤرخان لفترة فيهـا الكثير من الحركـة والنشاط، ومن ثَـم فقد انصرفا إلى عملهما باهتمام ، فخلّفا لنا ثروة تاريخـية لا مثيل لها ، وخاصة ابن كثير الذي يرسـم لنا صورة حية للأحداث والماجريات حيث نستطيع مرافقته يوماً فيوماً.

ويُعد ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) مؤلِّـف كتـاب "مسالك الأبصـار في ممالك الأمصار" موسـوعيٌّ دمشـق في عـصر المماليك. والكتـاب فـيه بحث عن جغرافية الأرض إلا أنه تناول أيضاً الجغرافيا السياسية وإن قصر بحثه فيها على بلاد الإسلام.

على أن هذا المؤلف يزودنا بالمعلومات التاريخية لعصره وبخاصـة المتعلقـة منها بالإدارة والعلاقـة بين السلطان ونوابه وأمرائه. ووصفُه للمدن وافٍ ودقيق.

وفي الكتاب عدد كبير من الوثائق التاريخية ومنها المراسيم والأوامـر السلطانية التي صدرت في أوقـات مختلفة ولا سبيل إلى دراسة الإدارة المملوكية وفهمها إلا بكتاب المسالك هذا.

ولقد عـرفت هـذه الفترة ثلاثـة مساقات علميـة: المساق الفقهي، والمساق الفلسفي، ومساق العـلـوم النفعية التي تشمل الطب والهندسة والفـلك، وحينما وقـع الخلاف بين المـساق الأول (الفقهي) والمسـاق الثاني (الفلسفي) كان هـذا الخاسرَ فانحسرت الفلسفة على الأقل وظل للفقه سلطانه. أما العلوم النفعيـة فلم يقع بينها وبين الفقه وأهله أي صدام حقيقي أو خلاف جذري، فاستمرت تنتج طباً وصيدلة وهندسـة في كل العصور التي تلت، ومنها العصر المملوكي .

وبفتح العثمانيين لسورية، ضعف شأن "الحـنابلة" ومدارسهم، لأن الأتراك كانوا حنفيـين. وقد ظـل ابن تيمية مدة طويلة منسياً في بلده،ولعل المتصوفة الذين مال العثمانيون إليهم (فقد بنى السلطـان سـليم فاتـح سـورية " زاوية " حـول ضريح ابن عربي في دمشـق) أسهموا في ذلك. إلا أن بـلاداً أخـرى أخـذت نفسـها بالتعرف إلى ابن تيمية ودرس آرائه وآراء أتباعه.

ففي أواسط القرن الثامن عشر قام "محمد بن عبد الوهّاب" بدعوته في " نجد "، وكانت أصلاً تسير على خطـوات ابن تيمية. وبعـد ذلك بقرن تقريباً قام السـيد محمد بن علي السنوسي بحركته الإصلاحـية في ليبيا، على نهج مقارب.


أقاليم الإسلام في عصر المماليك
في القرن الهجري التاسع
المقياس: 1/ 63.300.000
الدائرة القطبية الشمالية
بنو الأحمر
629-897هـ
بنو زيان
637-962هـ
بنو مرين 591-875هـ
بنو وطاس
870-916هـ
الحفصيون
325-981هـ
إمبراطورية مالي
من القرن 7 حتى القرن 11هـ
المماليك البرجية
784-923 هـ
التركمان
العثمانيون
المغول القبجاق
(القبيلة الذهبية)
المغول التيموريون
بنو رسول
ثم بنو طاهر
الصوماليون
سلاطين دلهي المغول
602-962هـ
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
المحيط الهادي
مدار السرطان
خط الاستواء
مدار الجدي
20°
0
20°
40°
60°
80°
100°
120°
140°
160°
50°
40°
30°
20°
10°
0°
10°
20°
30°

حضارة العصر المملوكي

البيمارستان المنصوري

ويسمى هذا البيمارستان أيضاً " دار الشفاء " ، أو مارستان قلاوون (الملك المنصور)، وهو يقع بخط بين القصرين من مدينة القاهرة ، وكان قاعة لابنة العزيز بالله نزار الفاطمي، وأختِ الحاكم بأمر الله ثم صارت للملك المفضل " قطب الدين " أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فاستقر بها هو وذريته فصار يقال لها الدار القطبية.

بناه الملك المنصور، وقد نقل من قلعة الروضة ما يحتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام .

وتم الانتهاء من أمر العمارة في أحد عشر شهراً وأيام . وكان الشروع في بنائه مارستاناً في أول ربيع الآخر سنة 683 هـ / 1284 م. كما أتم معه بناء المدرسة المنصورية والقبة، فكانتا ضمن مجموعته البيمارستان والمدرسة والقبة.

ولما تكامل البناء وشاهده السلطان قال: قد وقفت هذا على الملك والمملوك والكبير والصغير والحُرّ والعبد والذكر والأنثى . وجعل لمن يخرج منه من المرضى بريئاً كسوة، ومن مات جهزه وكفن ودفن.

ثم وقف عليه الملك المنصور من الأملاك بديار مصر حوانيت وحمامات وفنادق وغير ذلك، كما وقف له من الضّياع بالشام ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة ، كما رتّب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الأيتام.

ورتب فيه الحكماء الطبائعية والكحالين والجراحين والمجبرين ، كما رتب به الفراشين والممرضين ومن سيقومون على خدمة المرضى في كل شؤونهم وقرر لهم على ذلك الأجور الوافرة . وتم تجهيز التخوت والفرش والطراريح والمخدات واللحف والملاءات، لكل مريض فَرش كامل . وخصّص لكل طائفة من المرضى جناحاً خاصاً بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها، وجعلت قاعة للرمد، وقاعة للجرحى وقاعة للنساء ، وكانت المياه تجري في أكثر هذه الأماكن.

وأفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأكحال والمراهم والأدهان كما خُصص مكان تُوزع منه الأدوية .

وكانت غالب موارد البيمارستان من الأوقاف التي تركها السلطان قلاوون ، ومن تبعه من الأمراء، ومنها فندق الملك السعيد بالفسطاط، وهو فندق كبير يعلوه ربع كبير عمر في أيام الملك السعيد محمد بن بركة خان ثم ملكه السلطان قلاوون ووقفه على هذا البيمارستان، ودخلُه في كل شهر نحو ألفي درهم.

كما أوقف أيضاً حمامات وقيساريات وعدداً كبيراً من الأسواق وكانت تؤخذ أجرة هذه الأسواق مباشرة للبيمارستان المنصوري.

وفي سنة 1190 هـ / 1776م جدَّد الأمير عبد الرحمن كتخدا المارستان المنصوري ، وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي كانت بأعلى الفناء من خارج، ولم يُعِد عمارتها بل سقف قبة المدفن فقط ، وترك الأخرى مكشوفة ، ورتّب له أرزاقاً زيادة على البقايا القديمة.

وفي سنة 1272هـ / 1856م كان البيمارستان المنصوري قد بلغ الغاية من الاضمحلال، وهجره المرضى ولم يبقَ به سوى المجانين ، فنُقِلوا منه إلى ورشة الجوخ ببولاق .

وحصلت تغييرات عديدة في أبنية البيمارستان في عصور مختلفة .

وبعد نقل المجانين من بيمارستان قلاوون إلى ورشة الجوخ ببولاق تحول حال البيمارستان فبعد أن كان خاصاً بالمجانين عاد إلى ما كان عليه في السابق من معالجة سائر الأمراض.

التعليم والعمل في البيمارستان المنصوري

أنشأ السلطان المنصور قلاوون البيمارستان ومعه المدرسة المنصورية والقبة. وجعل بالمدرسة خزانة كتب جليلة في مختلف أنواع العلوم والربعات الشريفة. وبجوار القبة كان يوجد أيضاً المدرسة الناصرية، وكان قد شرع في بنائها السلطان زين الدين كتبغا المنصوري، ثم عزل قبل أن يتمها فاشتراها منه الناصر محمد بن قلاوون، وبنى بجوارها قبة وكمل عمارتها عام 703هـ / 1303م وجعل بها خزانة كتب.

ولقد احتلت مكتبة البيمارستان القبة الكبيرة التي بجانبه، واهتم السلطان المنصور قلاوون بهذه المكتبة بشكل كبير حتى إنه أقام عليها خازناً بمرتب مساو لمرتب المدرس. ولقد حوت هذه المكتبة من جميع فروع المعرفة التي عرفت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

وكان التعليم العملي يتم بالبيمارستان المنصوري، أما النظري منه فكان يتم بالمدرستين المنصورية والناصرية. وكان "ابن النفيس" يدرس في كليهما الطب. كما كان يدرس الفقه في المدرسة المسرورية. وفي أوقات راحته كان يتجه إلى مكتبة البيمارستان التي في القبة فيجلس للبحث والقراءة.

وقد وقف ابن النفيس على هذه المكتبة الطبية داره ومكتبته، عندما آلت إليه رئاسة نقابة الأطباء في ذلك الوقت.

ولقد تعرضت هذه المكتبة فيما بعد إلى حريق كبير ألحق الضرر بمعظم محتوياتها. ولكن في عام 726هـ / 1326م. في عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون حصل الشروع في إصلاح البيمارستان والقبة والمدرسة. فقام الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي ناظر الأوقاف بالعمارة، فنحت جدران البيمارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلاً وخارجاً، وطلا الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد، وعمل خيمة يزيد طولها على مائة ذراع، وركبها لتستر على مقاعد الأقفاص وتستر أهلها من الحر، ونقل الحوض من جانب باب المارستان لكثرة تأذي الناس برائحة النتن، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس.

ورتب فيه مكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة. وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف. وكان جملة ما صرف على هذه العمارة تقارب ستين ألف دينار.

تناوب نظارة البيمارستان المنصوري عدد كبير من الفضلاء. من أشهرهم علي بن عبد الواحد بن أحمد ابن الخضر الشيخ علاء الدين الحلبي نزيل دمشق وكان شيخاً كبيراً متميزاً من رؤساء الدولة الناصرية، خدم في الجهات وولي نظر البيمارستان المنصوري وغيره وتوفي عام 697هـ / 1298م.

ومحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن عثمان الشيخ شمس الدين أبو عبد الله بن الفاضل نور الدين أبي الحسن البدرشي القاهري المولود عام 788هـ / 1386م.

وقاضي القضاة جمال الدين أبو الثناء القيصري الرومي الأصل العجمي الحنفي.

ومحمد بن أحمد الدميري المالكي وكان ولي حسبة القاهرة في أيام الأشرف شعبان بن حسين ثم ولي نظارة البيمارستان المنصوري وقضاء العسكر.

ومحمد بن محمد بدير بن بدر الدين العباسي المعروف بالعجمي زوج أخت البدر الدميري ورفيقه في مشارفة البيمارستان.

وعلي بن مفلح القاضي نور الدين وكان وكيل بيت المال بالأطباق.

كما تولى نظارته محمد بن أحمد بن يوسف بن حجاج القاضي ولي الدين السفطي وكان من أفضل من تولى نظارته وحرص على أوقافه فزاد دخل البيمارستان في وقته أكثر من أن يوصف.

كشف طريق رأس الرجاء الصالح

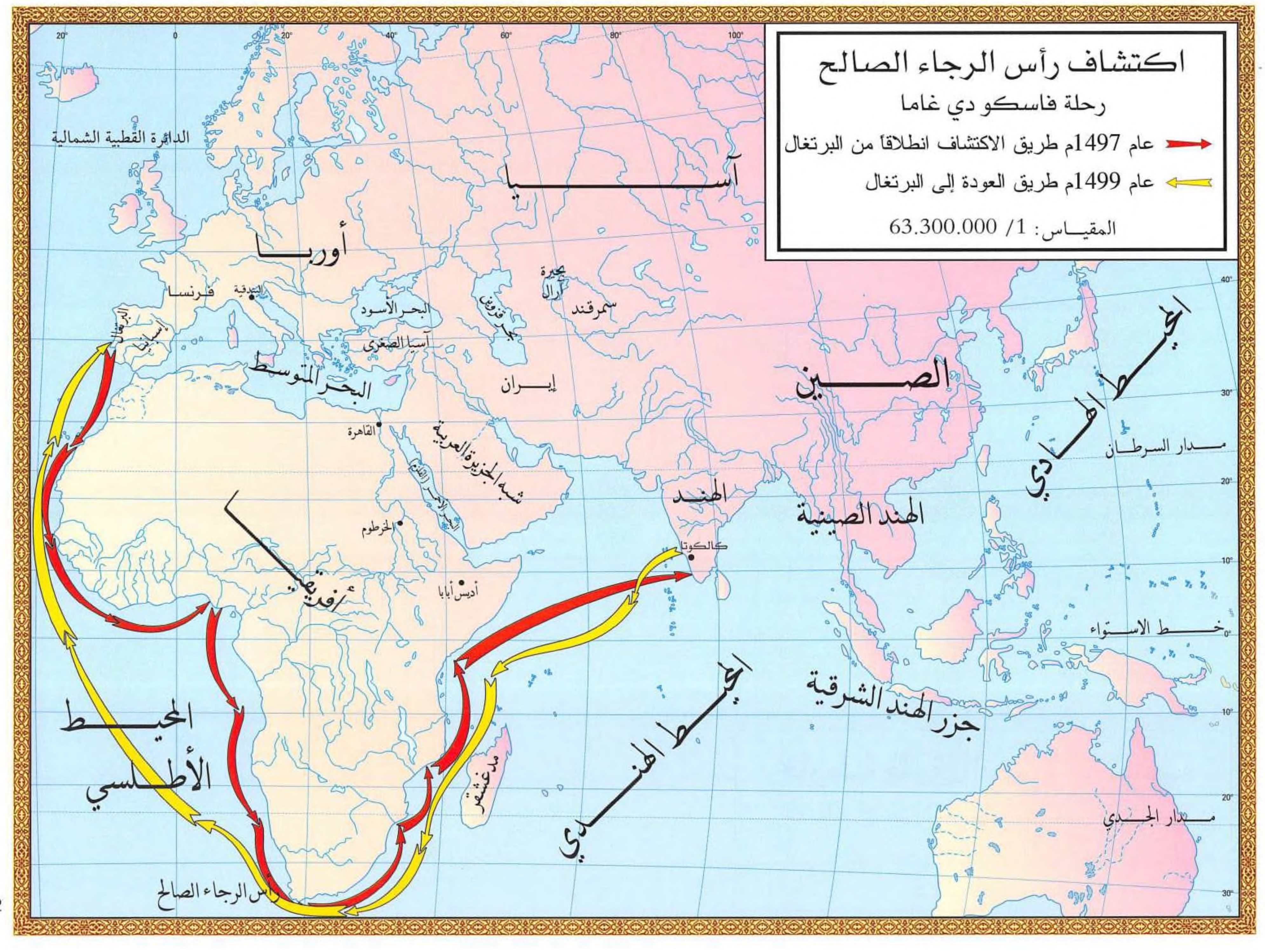
في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي استطاع البحارة البرتغاليون أن يجدوا طريقاً إلى الهند والشرق الأقصى بالدوران حول إفريقية، وبدون المرور في البحر المتوسط والبحر الأحمر، وقد عُرف الطريق الجديد بطريق رأس الرجاء الصالح، وقد اشترك عدد من البحارة البرتغاليين في المحاولة التي أدت إلى هذا الكشف، وكان النجاح النهائي على يد " فاسكو دي غاما " الذي وصل إلى شواطئ الهند عام 1497م.

وقد سبب هذا الكشف لبلاد الشام ومصر خسارة مالية فادحة، فقد كانت التجارة عبر (دولة المماليك) رائجة رواجاً كبيراً، لأن مصر والشام حلّتا محل " المراكز التجارية الصليبية " التي كانت موجودة قبل سقوط الصليبيين، ثم لأن الطريق البرية بين أوربا وآسيا (عبر الأناضول) قد دمرتها اجتياحات المغول، فأصبحت التجارة بين أوربا وآسيا بحرية، مما أتاح للشام ومصر أن تلعبا دوراً هاماً بواسطة البحر الأحمر والبحر المتوسط، فكانت سواحلهما أسواقاً للتجار الأوربيين، يردونها ليبيعوا من حاصلاتهم ويبتاعوا من حاصلات الهند، والصين، والهند الصينية، وأندونيسيا، التي كانت تفِد إلى ميناء " الإسكندرية " والموانئ العربية الأخرى .

ولكن البرتغاليين استطاعوا أن يكشفوا الطريق إلى الهند، والشرق الأقصى بعيداً عن الموانئ الشامية والمصرية، مما عاد بخسارة فادحة على دولة المماليك، إذ كان جُل اعتمادهم على الضرائب التي كانوا يجبونها من هذه التجارة العظيمة .

كما تأثرت بكشف رأس الرجاء الصالح وإهمال البحر المتوسط " مراكزُ التجارة " في جنوب أوربا، وبخاصة "البندقية"، لذلك فقد اتفق السلطان الغوري مع "البنادقة" على حرب البرتغال في محاولة لاستعادة مكانة البحر المتوسط، ومن ثَم فقد أنشأ السلطان الغوري أسطولاً ضخماً، أسهَمَ البنادقة فيه بالأخشاب اللازمة، وسُرعان ما توجَّهَ الأسطول إلى المحيط الهندي ، حيث تصدى هناك للأسطول البرتغالي، وكانت بين الأسطولَيْن معركة على شواطئ بومباي انتصر فيها الأسطول المملوكي انتصاراً كبيراً ، ولكن البرتغاليين سرعان ما أعدّوا أسطولاً آخر لمواجهتهم وحدثت بين الطرفين موقعة أخرى عام 1509م انتصر فيها البرتغاليون انتصاراً ثبّت مركزهم الحربي، وحقق النصر للطريق التجاري الجديد.

وقد أدرك السلطان سليم "العثماني" بعد فتح مصر خطورة ذلك الانتصار البرتغالي والخسارة التي ترتبت عليه، وبخاصة أن البرتغال صارت تُغري المراكز التجارية بشمال البحر المتوسط بالتحول إلى الخط التجاري الجديد، فحاول السلطان سليم أن يستعيد للبحر المتوسط مكانه التجاري، لا عن طريق الحرب مع البرتغاليين وإنما عن طريق إغراء المراكز التجارية الأوربية باستمرار استعمال الطريق القديم، فعقد مع " البنادقة " معاهدة تجارية عام 1517م كانت روح التساهل واضحة فيها رجاء جذبهم مرة أخرى، وكان مما ضمنته لهم هذه المعاهدة : منح "قناصلهم" في الإسكندرية والموانئ الشامية حق الفصل في قضايا رعاياهم ، كما ضمنت تيسير وصول سفنهم إلى تلك الموانئ ، وتيسير التعامل مع ممثليهم على العموم، وفي عام 1521م عقد " السلطان سليمان " معاهدةً أخرى مع " البنادقة " ثبّت فيها الامتيازات السابقة وزاد عليها امتيازات إضافية، وفيها حصل الفرنسيون على امتيازاتهم الأولى عام 1535م، والإنكليز عام 1580م ولعل العجيب أن هذه الامتيازات لم ترجع بطائل فيما يختص بإحياء الخط التجاري عبر البحر المتوسط، بل على العكس؛ فقد كانت أساساً للامتيازات التي صارت فيما بعد شيئاً مهيناً ومُذلاً للعثمانيين وللبلاد التابعة لهم، ولم تتخلص منها هذه البلاد إلا بعد صراع طويل ومرير.



اكتشاف رأس الرجاء الصالح
رحلة فاسكو دي غاما
عام 1497م طريق الاكتشاف انطلاقاً من البرتغال
عام 1499م طريق العودة إلى البرتغال
المقياس: 1/ 63.300.000
الدائرة القطبية الشمالية
آسيا
أوربا
فرنسا
البندقية
البرتغال
إسبانيا
البحر الأسود
آسيا الصغرى
البحر المتوسط
بحر قزوين
بحيرة أرال
سمرقند
إيران
الصين
القاهرة
شبه الجزيرة العربية
البحر الأحمر (القلزم)
الخرطوم
أديس أبابا
أفريقيا
الهند
كالكوتا
الهند الصينية
مدار السرطان
المحيط الهادي
خط الاستواء
جزر الهند الشرقية
المحيط الهندي
مدغشقر
المحيط الأطلسي
رأس الرجاء الصالح
مدار الجدي
20°
0
40°
60°
80°
100°
30°
10°



خارطة طرق التجارة الرئيسية
للعالم الإسلامي في العصور الوسطى
طرق التجارة البحرية
طرق التجارة البرية
المقياس: 1:33.800.000
بحر الظلمات
مملكة الفرنجة
جبال ألبرت
بحر بنطش
بحر الخزر
البحر المتوسط
مقدونيا
الصحراء الليبية
الساقية الحمراء
المغرب
مصر
السودان
الحبشة
العراق
إيران
خوارزم
كرمان
الخليج العربي
خليج عمان
بحر العرب
الجزيرة العربية
اليمن
خليج عدن
المحيط الهندي
السند
القصيم
بحيرة خوارزم
نهر الدانوب
نهر النيل
نهر النيجر
مدار السرطان
20°
10°
0°
30°
40°
50°
60°
70°
80°

أسباب انحطاط السلطنة المملوكية

يعود انحطاط السلطنة المملوكية الى عـدة عوامل أهمها العامل العسكري والعامل الاقتصادي .

- 1 العامل العسكري: عرف عن النظام المملوكي في مختلف عهوده بأن قواعده الرئيسية هي فترة كافية من التدريب يقوم بها المملوك في المدرسة، وطاعة لأستاذه، وتمسك برابطة الخشداشية (رابطة خاصة بين المماليك الذين اشتُروا ودرسوا وأُعتقوا سوية)، ولكنّ المماليك الشراكسة - أكثر من سابقيهم - لم يتقيدوا بهذه القواعد، كما أن المحسوبية - في عهد الشراكسة خاصة - أدت إلى دخول كثير من أقرباء المماليك الجيش ووصولهم لمراكز هامة فيه دون أن يتدربوا في المدارس الخاصة بذلك.

وربما شجع على الانحلال العسكري أن دولة المماليك منذ حربها مع التتار في عين جالوت وحتى معركة مرج دابق مع العثمانيين في 1516م لم تدخل في حرب كبرى.

وظهرت في هذه الفترة مساوئ عدم وجود نظام وراثي في السلطنة، فكان السلطان يحاول توطيد نفوذه بالاعتماد على مشترياته، ومن هنا كانت شدة معاداته لمماليك أسلافه .وزاد في الأمر في هذه الفترة أنَّ قِصَر عهد السلاطين - بسبب الثورات عليهم والطمع في حكمهم - أدى إلى إيجاد كتل متعددة من المماليك القرانصة (مماليك السلاطين السابقين)، وبالتالي كثر التعدد في الولاء.

ولعل أهم أسباب ضعف المماليك العسكري هو إهمالهم تمارينهم التقليدية في الفروسية، وكرههم استخدام الأسلحة النارية.

على أن كره المماليك المتأصل للبندقية لم يمنع تسليح العبيد بها في الجيش المملوكي ولكن في وقت متأخر، كما لم يمنع استخدام المدفعية في السلطنة المملوكية قبل ذلك ولكن لأغراض الدفاع أو الحصار، وليس للهجوم، وكانت غالبية المدافع منصوبة على سواحل مصر البحرية - البحر الأحمر خاصة - لمقاومة غزوات البرتغاليين الناشطين آنذاك.

ولكي تكون البندقية سلاحاً فعالاً يجب استخدامها على نطاق واسع، ولم يكن هذا ممكناً لأن الفرسان شكلوا غالبية الجيش في السلطنة بينما كان الأمر على عكس ذلك في الدولة العثمانية، التي كان اعتمادها بشكل متزايد على المشاة مساعداً لاستخدام الأسلحة النارية التي لا تتعارض وطبيعة هذا النوع من الجند. كما وجدت لدى العثمانيين المعادن اللازمة لصناعة الأسلحة بينما كان على المماليك أن يستوردوها.

2 - العامل الاقتصادي : لقد بدأ إنهاك الاقتصاد المملوكي منذ هجوم التتار على سورية والدمار الذي أحدثه، وتلا ذلك نقص متكرر في مياه النيل أضرَّ بالزراعة، إضافة إلى أن كثرة انتشار مرض الطاعون والإصابات المميتة التي سببها، عطّلت الفعاليات البشرية وشلّت بالتالي النشاط الاقتصادي .

وكان من اضطراب الحالة السياسية وضعف السلاطين أن عمّ نظام الحماية، وهو فرض مبالغ من المال من قبل جماعات متنفّذة على الفلاحين بصورة خاصة بحجة حمايتهم. إضافة إلى ازدياد هجمات البدو المتكررة عليهم في هذه الفترة.

وزاد في انحطاط الاقتصاد المملوكي تحوّل طرق التجارة لفترة عن مصر وذلك بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وازدياد منافسة البرتغاليين التجارية للمماليك.

كما أن ازدياد فرض الضرائب من قبل حكام مدن الموانئ الجشعين في مصر على القليل من البضائع الأجنبية جعل التجار الأجانب يمتنعون عن إدخال بضائعهم إليها، مما أفقد البلاد موارد اقتصادية هامة.

كما أن كثرة ما تقاضاه الجند من الخزينة أفقرها بدوره وألجأ القائمين عليها إلى إصدار نقود مشوهة أو مزيفة، وأحياناً إلى إيقاف رواتب بعض الجند. مما دعاهم للقيام بثورات متكررة اعتراضاً على ذلك.

الفــن المملـوكـي

استكثر أغلب الأيوبيين من شـراء المماليك عسى أن يكونـوا عونـاً لهـم ضـد منـافسيهم من أقـاربهـم، وسـلموهم زمـام الجيش والقصر فوصلـوا إلى درجـة عظيمة من النفـوذ ونجحـوا أخـيراً في الاستيلاء عـلى المُلك ، والتربـع على عـرش مصـر أكثر مـن قـرنين ونصف قرن، كانت البـلاد فيهـا من الناحية السياسـية مسرحـاً للفوضى، ولكنهـا بـلغت من الناحيـة الفنـية درجـة سامـية لم تبلغهـا من قبل. والحق أن المماليك اسـتطاعوا أن يكتبوا لأنفسهم في تاريخ الفن المصري صفحـات نقرأهـا فيمـا تركوه وراءهـم من المـساجـد والقبـاب والخـوانق والقصـور والمدارس والخـانات والقـلاع والأسـبلة والمـارسـتانـات ، ومـن التحـف المنقولة التي يفـخر بهـا المتحف الإسلامي بالقاهرة، ودار الكتب المصرية ، وكثير من المتاحف في الشرق والغرب.

المساجد:

وأقدم المساجد المملوكية هو مسجد الظاهر بيبرس (665 هـ) الذي خلع اسمه على حي عظيم من أحـياء القاهـرة (حي الظـاهر) والذي يعـد تاريخـه مختصراً لتاريخ مصر منـذ أمسك المماليك بزمـام الحكم فيهـا حتى العصر الحديث . وهو أول مسجد تمـتاز واجهته بتـلك الظـاهرة التي لعبت دوراً هـامـاً في العمـارة الإسلامية حتى كادت تصبح علمـاً عليهـا، وهي تزين الواجهة بأشرطة عريضـة أفقيـة متوازيـة لونهـا أحمـر وأصفر على التوالي، ويلاحظ أنها هنا إنما أتت نتيجة لاستعمال نوعين من الحجـارة يختلف كل منـهما عن الآخر في لونه.

القباب:

وأبرز القباب قبـة قلاوون (683 هـ) التي تعتـبر من أروع المـدافن الأثـرية الإسلامية في مصر - وهي تتكون من غرفة مربعـة الشكل يتوسطها مثمن تعتـمد عقوده على أربعـة أكتاف وأربعـة أعمدة من الغرانيت الأحمر، ومحرابها قطعـة من الفن الجميل وواجهتهـا مـن الداخـل ومـن الخارج مثـال نـاطـق عـلى مـدى مـا وصل إليه البنـاء المصري في عصـر الممـاليك من النضوج الفني . والواقع أن هذه القبة لترهف الوجدان بجمالهـا الرائـع وتغـذي النفـس بصنعتهـا المحكمـة وتوسـع أفـق العقل بما فيها من كتابات تاريخية، وإذا كانت التأثيرات الأندلـسيه قد ظهـرت على اسـتحياء في العصر الفاطـمي في بعض نوافـذ جامـع الحـاكم، وأسـفرت قـليـلاً عن نفسهـا في العصـر الأيـوبي في زخارف قبة الإمام الشافعي، فهي في عصر الممـاليك تبدو قوية واضحة في زخارف الواجهة الداخلية لهـذه القبة التي تذكرنا عـند مشاهدتهـا بالزخـارف الجصـية لقصر الحمـراء .

المارستانات:

والمارسـتان أو(دار الشفاء) بناء يتكون من أبهاء وحجرات بها أسرّة بعضها للنساء، وبعضها للرجـال، ولكل مرض قسم خاص، وفي مخازنه ملابس خاصة للمرضى، وثمـة أطباء يتفقـدون شؤونهـم، يعاونهم موظفون يقومون بطبخ الأدوية والأغذية.

ومارستان قلاوون (683 هـ) امتدت إليه يد الزمن فلم يبق منـه إلا الأرض التي يشغلهـا اليـوم مسـتشفى حـديث للرمَـد يحمـل اسـم " قلاوون "، وإلا بقـايـا لاتستحق الذِكر ، ولعـل من المهـم هـنا أن نسـتعيد العبارة التي قالهـا السلطان قلاوون عند الفراغ من بناء هذا المارستان: (إني بنيته لوجه الله لمعالجة المرضى من جميـع الطبقـات والأجنـاس، ممن هـو مثـلي أو دونـي ، للغـني والفـقير، للحـر والـعبـد، للذكـور والإناث).

الخوانق:

والخانقاه (دار للصوفية) أشبه ما تكون بالدير عند المسيحيين، وقد نشأت فكرتها عند المسلمين عندما ضعفت روح الدين في النفوس مما دفع بعض الناس إلى العزلة زهداً في الحياة الاجتماعية التي أصبحت حافلة بألوان اللهو، فشيدوا هذه الأبنية التي تحتوي على غرف متعددة يعيش فيها هؤلاء المتصوفون. وقد ظهرت الخوانق في مصر أول الأمر في عصر صلاح الدين، وتعد خانقاه سنجر الجاولي (703 هـ) من أجمل ما شيد من هذا النوع، فالقبتان المتماثلتان مظهراً، المختلفتان ارتفاعاً، والمئذنة القائمة إلى جوارهما تكون معاً لوحة فنية تتوافر فيها أصول الجمال الفني بصور رائعة.

القصور:

وقصر "الأمير بشتك" (735 هـ) كان من أعظم مباني القاهرة، يستطيع الإنسان أن يشرف من أعلاه على القاهرة والقلعة والنيل والبساتين، كما يقول المقريزي . ولم يبق لنا منه إلا قدر قليل يتمثل في قاعة عظيمة ذات سقف جميل ونافورة رائعة.

المدارس:

عرفها المسلمون لأول مرة في القرن الخامس الهجري في إيران ثم انتشرت بعد ذلك في العالم الإسلامي، ودخلت مصر مع الناصر صلاح الدين.

وتعد مدرسة السلطان حسن (757هـ) من أعظم الآثار الإسلامية في العالم وأروعها في مصر، وتلخص لنا واجهتها الرئيسية جميع خصائص هذا الفن ، ففيها الخط الكوفي والخط النسخي، وفيها الزخارف التي تعلمها المسلمون ممن قبلهم من الأمم والزخارف التي أبدعوها وصارت من أخص مميزات فنهم. وتصميم المدرسة يقوم على صحن مكشوف تتوسطه نافورة، وتطل عليه من الجهات الأربع أربعة عقود عظيمة، وفي الزوايا الأربع لهذا الصحن أقيمت أربع مدارس يتكون كل منها من ديوان، وفناء تتوسطه نافورة، وتحف به مساكن بعضها فوق بعض أعِدت ليعيش فيها الطلاب والأساتذة، واختصت كل مدرسة بتدريس مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، ويتصل بهذه المدرسة أو الجامعة على الأصح مدفن أعد لكي يدفن فيه مؤسسها السلطان حسن، تعلوه قبة شاهقة وتزينه زخرفة جميلة.

الخانات :

وخان الخليلي الذي ذاعت شهرته يستمد اسمه من سيف الدين جرجس الخليلي أحد أمراء المماليك الذي كان يعيش في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وقد كان الخان في الأصل أشبه ما يكون بفنادق اليوم مع فارق واحد، هو أنه كان يتسع لدواب الناس المسافرين، وقد كان أغلبهم من التجار، ويتسع كذلك لما يحملونه من بضاعة، ففي صحنه المكشوف كانت تربط الدواب، وفي غُرفه المطلة على الصحن تحفظ البضاعة، وفي غرفه التي تفتح على الطريق العام تُعرض هذه السلع للبيع أو المبادلة. وفي الطبقة العليا غرف أعدت لنزول التجار وغيرهم من المسافرين. وقد هدم السلطان الغوري هذا الخان، وأنشأ مكانه حواصل وحوانيت وجعل له ثلاثة أبواب، لاتزال تحمل اسمه حتى اليوم.

الأسبلة:

وسبيل السسلطان قايتباي، (884 هـ) بالصليبة يعد من أروع ما شيده هذا السلطان من عمائره الكثيرة، ومن أجمل ما يجلو لنا هذا النوع من الأبنية، وهو يتكون في أسفله من مورد ماء عذب يشرب منه الناس، وفي أعلاه " كتّاب " لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والحساب، وقد كان السبيل (والكتاب) جزءاً من المدرسة أو المسجد ثم استقلا بوجودهما، وأقبل الناس على الإكثار منهما وحبسوا عليهما الأعيان التي يصرف ريعها إلى طلبة العلم ومعلميهم ، وعلى توفير ماء الشرب للناس في بلد اشتهر بجوه الحار.

من آثار العصر المملوكي



مبخرة كروية مثقبة، نقشت وطعّمت بالفضة، وخاصة الكتابات، والتي تتضمن اسم ولقب أمير مملوكي مهم هو بدر الدين بايساري الذي مات سجيناً عام 1298م



إبريق من النحاس المصفح منقوش ومطعّم بالفضة والذهب، تحتوي كتاباته الدقيقة على ألقاب أمراء وسلاطين بخطين مزدوجين، وكأنه صنع بقصد التطعيم، في دمشق أو القاهرة في العصر المملوكي أواخر القرن الرابع عشر للميلاد، وفيه زخارف وتصميمات مبالغ فيها مستوحاة - ربما - من المنسوجات الصينية - ويبلغ ارتفاعه نحو 28.5 سم



صندوق طعام (سفرطاس) من النحاس، منقوش ومطلي بالقصدير، يحتوي على ثلاثة أدوار وغطاء وعلى جدرانه أشعار وكتابات كانت مألوفة على الصناعات المعدنية المملوكية في ذلك الوقت الارتفاع 18.4 سم - دمشق، القرن الخامس عشر للميلاد - التاسع للهجرة.

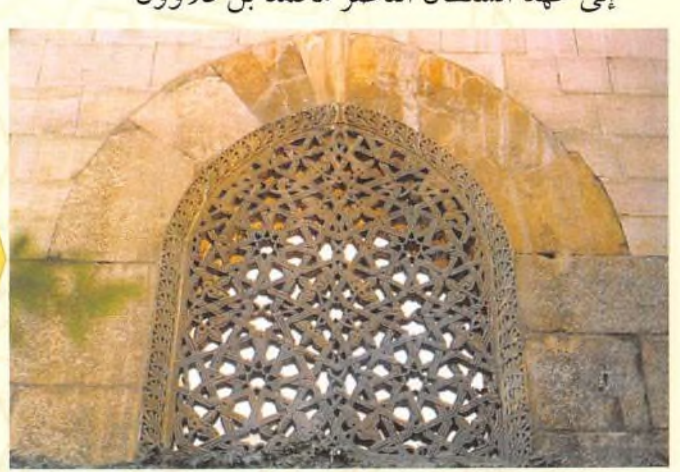
من آثار العصر المملوكي



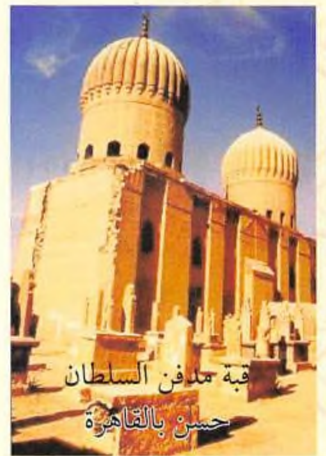
قناطر مجرى العيون على النيل بالقاهرة، ترجع إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون



صحن مسجد السلطان حسن بالقاهرة



البيمارستان النوري بدمشق، بني في عهد الزنكيين، وطرأت عليه تجديدات في عصر المماليك منها هذه النافذة.



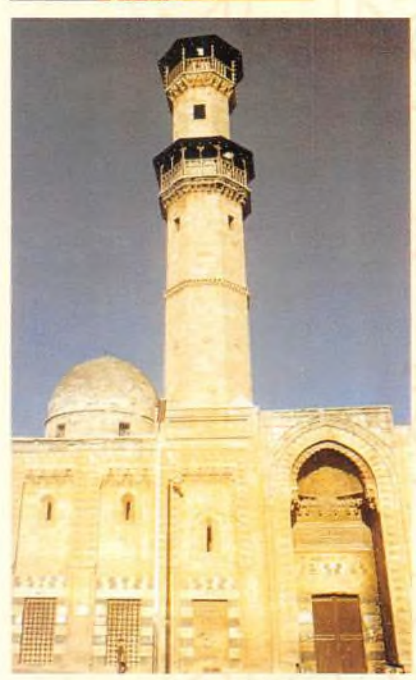
قبة مدفن السلطان حسن بالقاهرة



محراب المدرسة الظاهرية بدمشق



باب المزهرية بالقاهرة

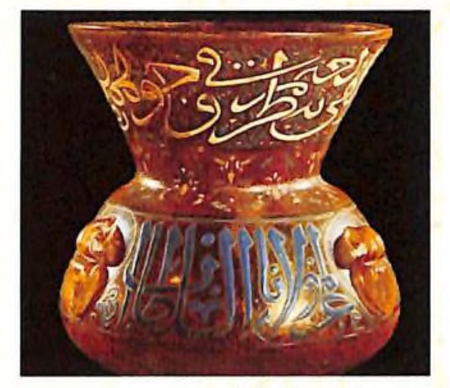


جامع الطروشي بحلب، من أجمل الآثار المملوكية الباقية

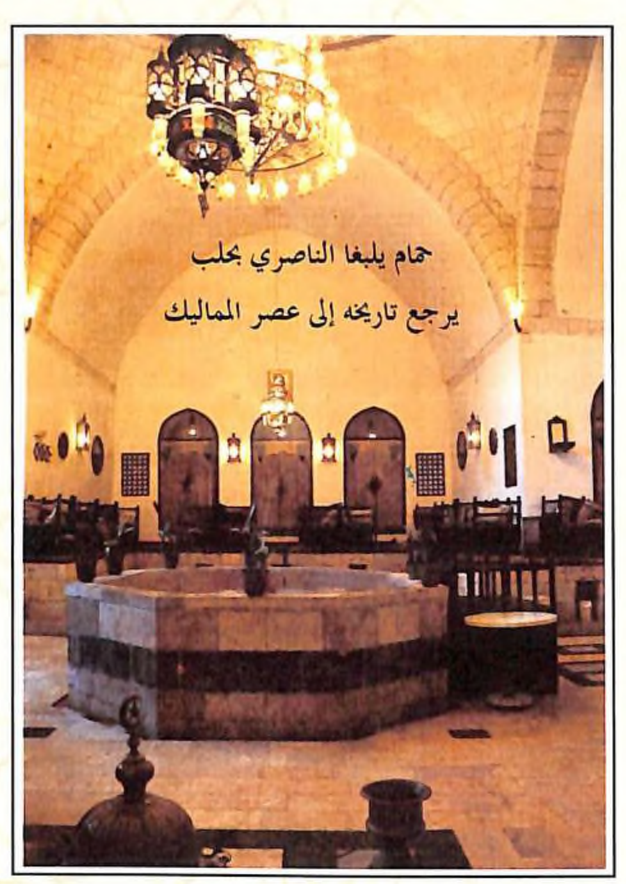
من آثار العصر المملوكي




مزهريتان من العصر المملوكي



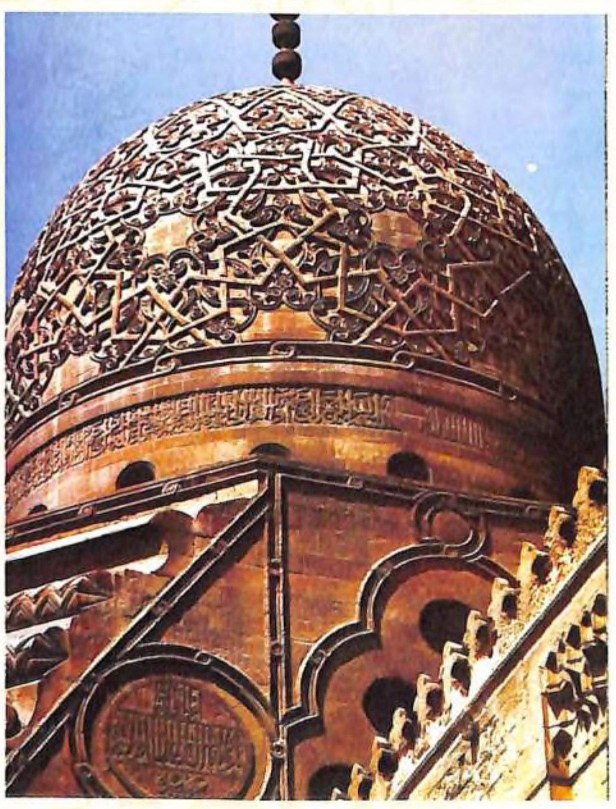

مشكاتان من العصر المملوكي



حمام يلبغا الناصري بحلب
يرجع تاريخه إلى عصر المماليك

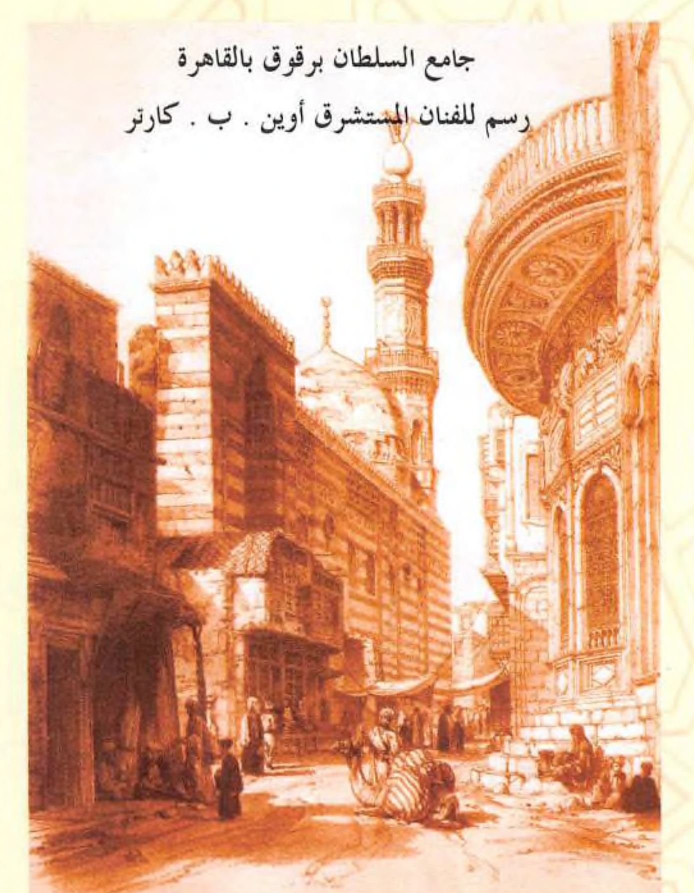


آنية زجاجية مزخرفة وملونة ترجع إلى العصر المملوكي



مدفن السلطان قايتباي بالقاهرة 1472 – 1474 م

من آثار العصر المملوكي



جامع السلطان برقوق بالقاهرة
رسم للفنان المستشرق أوين . ب . كارتر



قلعة قايتباي بالإسكندرية



قرافة المماليك الشرقية





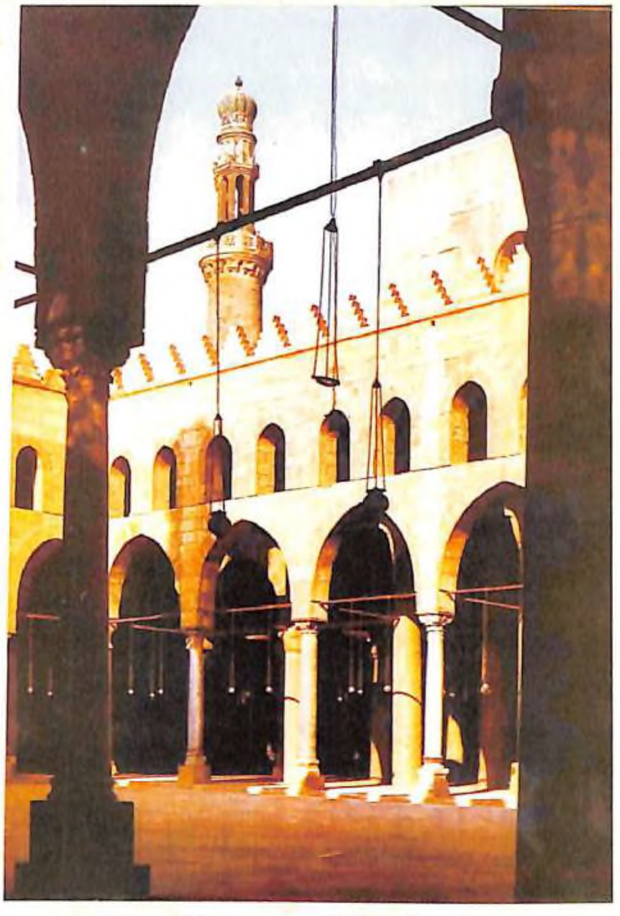
دينار ذهبي مملوكي ضرب حلب
سنة **800** هـ / **1398** م
على عهد الملك الظافر سيف الدين
برقوق– قطره **2.6** سم



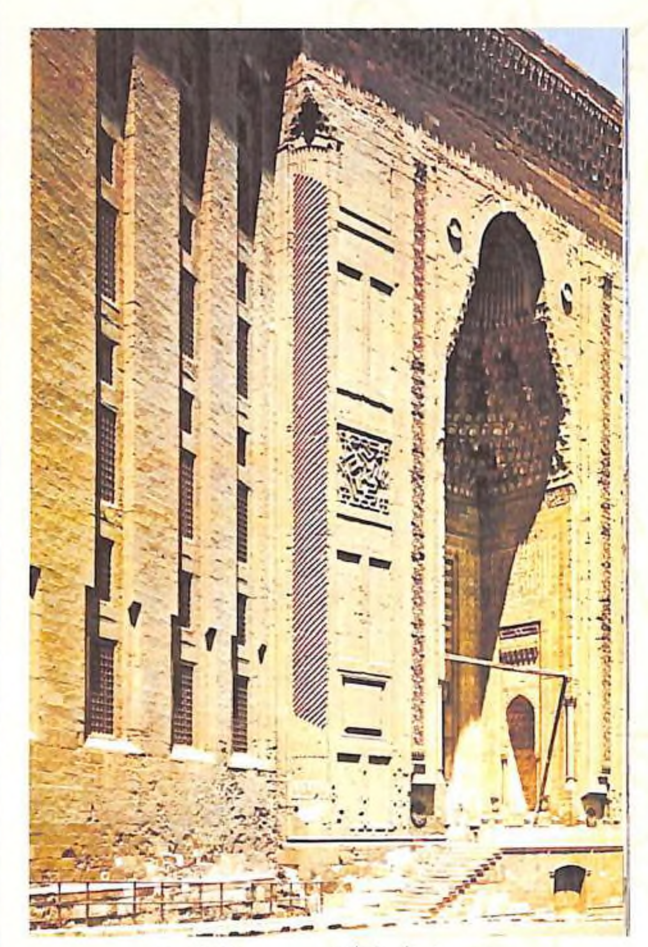


دينار ذهبي مملوكي ضرب القاهرة
سنة الضرب غير معلومة
على عهد الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس – قطره **2.3** سم

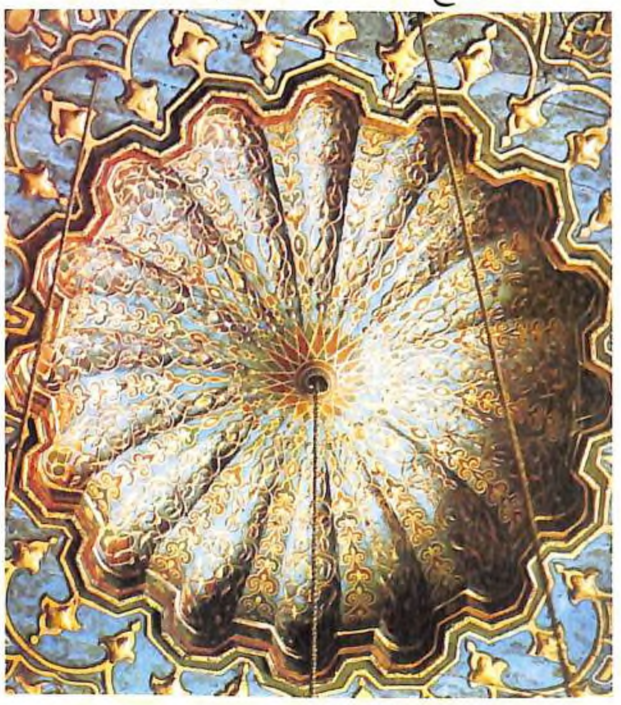
من آثار العصر المملوكي



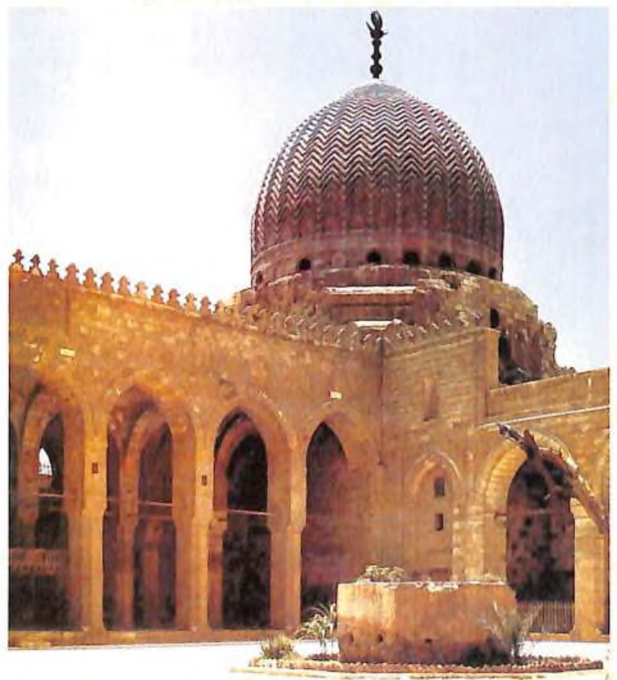
جامع السلطان محمد بن قلاوون



مدرسة السلطان حسن بالقاهرة

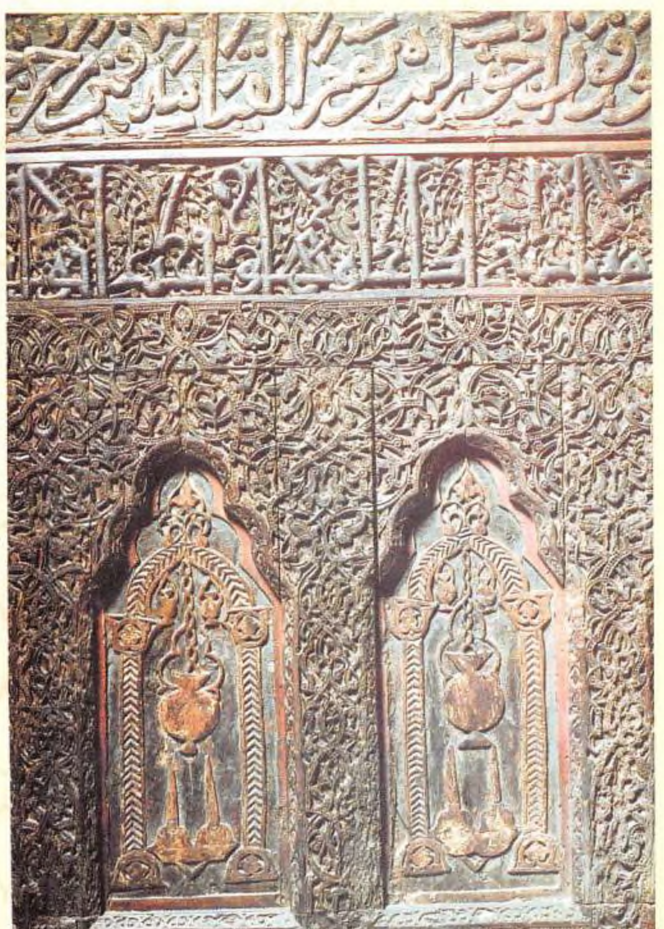


تفصيل زخرفي بديع من قبة مدفن برسباي

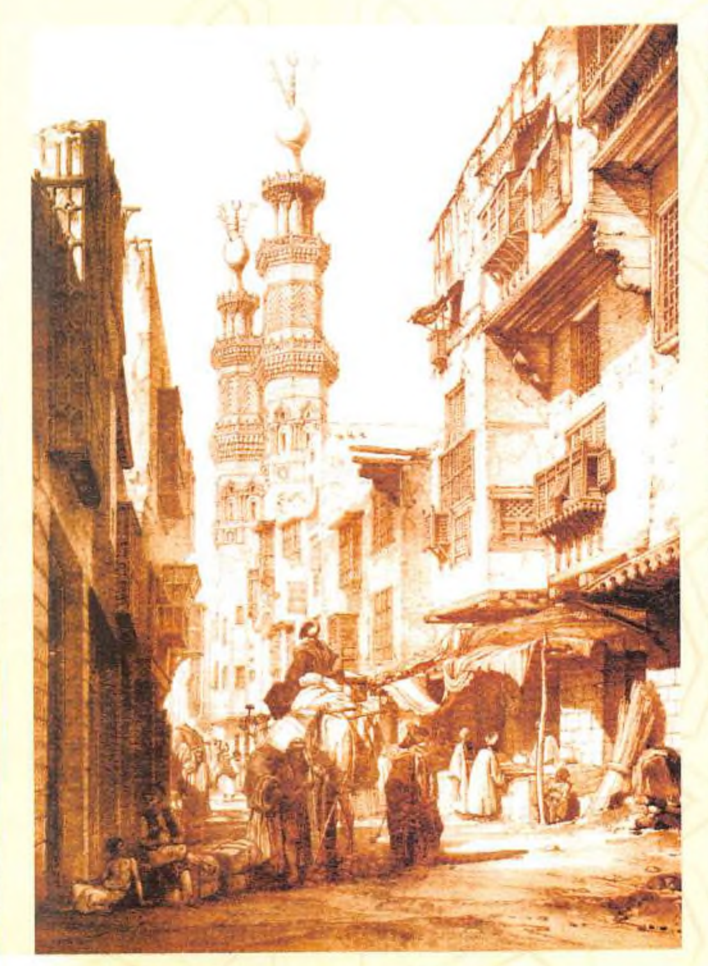


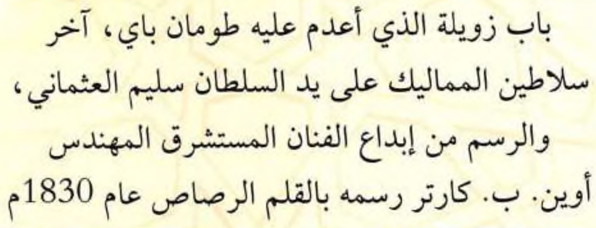
مدفن السلطان برقوق بالقاهرة

من آثار العصر المملوكي



باب خشبي محفور ومزين بآيات من القرآن الكريم بالخطين الثلث والكوفي - صنع بأمر الملك الظاهر بيبرس سنة 664 هـ/1265 م لمدفن الصحابي الجليل خالد بن الوليد بحمص - المتحف الوطني بدمشق



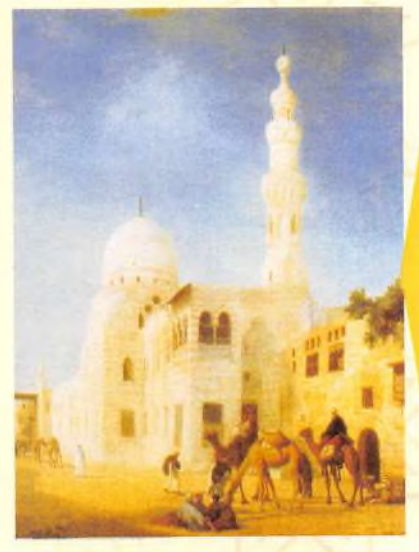


باب زويلة الذي أعدم عليه طومان باي، آخر سلاطين المماليك على يد السلطان سليم العثماني، والرسم من إبداع الفنان المستشرق المهندس أوين. ب. كارتر رسمه بالقلم الرصاص عام 1830م



وكالة السلطان الأشرف قايتباي بالقاهرة

جامع السلطان الأشرف قايتباي بالقاهرة، أحد روائع العمارة الإسلامية في العصر المملوكي من رسم الفنان الفرنسي مونشو



انحسرت سلطة المرابطين لصالح الموحدين في عام 1147م. وقد عُدّت دولتهم أهمَّ الدول التي حكمت في شمالي أفريقية والأندلس بعد توحيدها جميعاً إضافة إلى الازدهار الثقافي والاقتصادي الذي شهدته دولة الموحدين خصوصاً في تلمسان. غير أن وحدة منطقة المغرب لم تدُم طويلاً ففي حوالي عام 1250 عادت الفوضى إلى المنطقة ، وتفككت الدولة الواحدة ، وقام على أنقاض دولة الموحدين حكمُ الحفصيين في تونس والجزائر، وحكمُ بني مَرين في المغرب الأقصى، ثم امتد نفوذهم إلى المشرق. ومن أكبر ملوكهم أبو الحسن، الذي وحّد أفريقية الشمالية من جديد، بعد استرجاعه المغرب الأوسط والأدنى، وإن كانت انتصاراته لم تدم طويلاً. وكذلك ابنه أبو عنان مؤسس مدرسة أبي عنان بفاس. وهذه الدولة هي التي أعطت المغرب الأقصى الشكل الذي استقر عليه باعتباره أمة لها نظُمُها وقواعدها الخاصة. وبلغت فاس في عهدهم مستوىً لائقاً من الحضارة . واستمر حكم المرينيين حوالي 250 سنة.

وجاء بعدهم بنو وطاس الذين احتل الإسبان على أيامهم الشواطىء المغربية (سبتة، والقصر الصغير، وأصيلا وطنجة ومليلية...وغيرها من ثغور السواحل)، فتضايق المسلمون من هذا التوسع الصليبي، وخاصة عقب طرد المسلمين من الأندلس، والتنكيل الذي لحق بهم، ففرت جموعهم هاربة من محاكم التفتيش الإسبانية الصليبية باتجاه بلاد المغرب فتأثر المسلمون كثيراً لما حل بأهل الأندلس، وقد أثّر ذلك في سقوط أسهم بني وطاس.

حكم السعديين:

اتجهت الأنظار نحو شيخ السعديين أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله الذي كان يعلن دائماً عن أمله في إنقاذ المغرب واستعادة بلاد الأندلس، فالتفّت الجموع حوله وتمّت مبايعته عام 1509 م ـ 916 هـ. فأعلن الجهاد، والتف حوله الناس فقضى على حكم بني وطّاس، كما قاتل البرتغاليين وانتصر عليهم وأخرجهم من الأراضي التي احتلوها لمدة 72 سنة، وبعد وفاته بويع ابنه أبو العباس الأعرج الذي سار على سياسة والده في محاربة الإسبان والبرتغاليين، فأحرز انتصارات بارزة . إلا أن عدة خلافات وقعت بينه وبين أخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، انتهت لمصلحة أبي عبد الله الذي تولى قيادة الأمور في البلاد ، وتابع مسيرة الحرب ضد الوطاسيين والبرتغاليين والإسبان.

وعقب دخول العثمانيين للجزائر، ساءت العلاقات بين السعديين والعثمانيين ، لاسيما وأن الجزائر كانت تتبع للسعديين، وبعد أن لجأ أبو حسون الوطاسي إلى العثمانيين لقي منهم كل ترحيب ودعم ، ليعيد الحرب على السعديين، حتى لقد استطاع أبو حسون ومعه الجيش العثماني من دخول فاس عام 1560 م. لكن أبا عبد الله الشيخ تمكن من استرجاعها وقُتل أبو حسون الوطاسي وأُسر قائد الجيش العثماني مما زاد التوتر بين الدولتين.

وفي بداية حكم أحمد المنصور السعدي (أشهر سلاطين الأسرة السعدية) توترت العلاقات مع العثمانيين ثم تم الصلح بينهما، فتفرغ المنصور أحمد لبلاده حيث عمل على توسيع رقعتها فضم إليه مناطق غربي السودان واستفاد من خيراتها إضافة إلى العديد من الإصلاحات التي قام بها في مختلف أنحاء دولته، وبناء القصور والأبراج والحصون (قصر البديع في مراكش ، وبرج باب الفتوح في فاس).

وبموت المنصور بدأ نجم دولة السعديين بالأفول فقام ولداه يتنازعان ملك أبيهما فكانت بينهما حروب كثيرة ضربت معظم ما بناه المنصور، وفقد المغرب بسببها سلطانه على بلاد السودان إلى أن انقرضت هذه الدولة على أيدي أشراف الأسرة العلوية.

محاكم التفتيش

سقطت غرناطة -آخر قلاع المسلمين في إسبانيا- سنة (897هـ/1492م)، وهاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى الشمال الإفريقي فراراً من اضطهاد الإسبان لهم، وعادت إسبانيا إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين، فقد أُجبروا على التنصّر أو الرحيل.

ونشط ديوان التحقيق أو "الديوان المقدس" الذي يدعمه العرش والكنيسة في ارتكاب الفظائع ضد الموريسكيين (المسلمين المتنصرين)، وصدرت عشرات القرارات التي تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم، وصدر أمر ملكي يوم (22 ربيع أول 917هـ/20 يونيو 1511) يُلزم جميع السكان الذي تنصروا حديثاً أن يسلّموا سائر الكتب العربية التي لديهم ، ثم تتابعت المراسيم والأوامر الملكية التي منعت التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الإجباري على المسلمين، فحمل ذلك كثيراً منهم على قبول التنصر ملاذاً للنجاة، وآثر آخرون الموت، وفر آخرون بدينهم، وكتبت نهايات متعددة لمأساة واحدة هي رحيل الإسلام عن الأندلس.

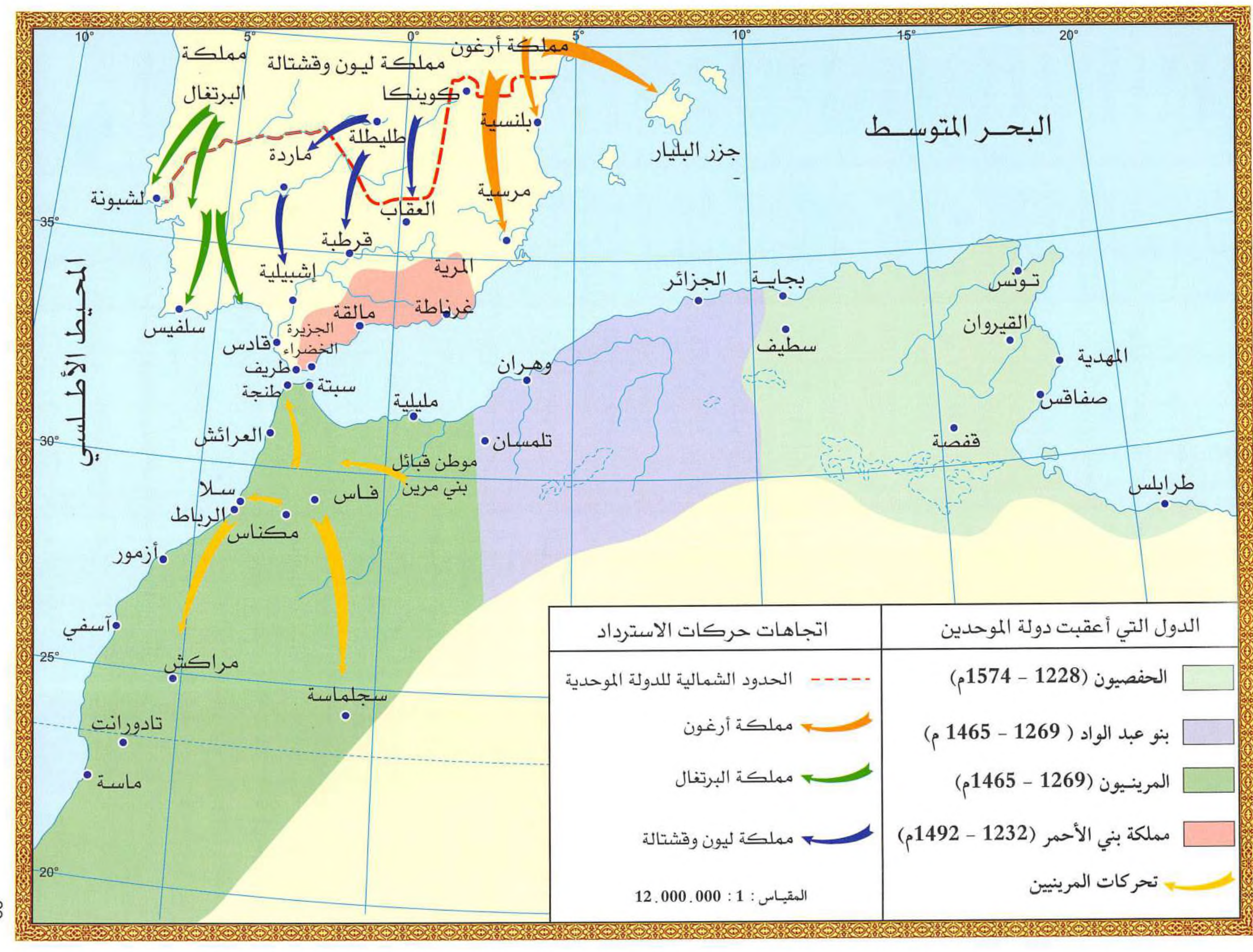
لبث "فرناندو الخامس" زهاء عشرين عامًا بعد سقوط الأندلس يُنزل العذاب والاضطهاد بمن بقي من المسلمين في إسبانيا، وعندما مات في (921هـ /1516م) خلفه حفيده "شارل الخامس"، فتنفس الموريسكيون الصعداء بعد موت فرناندو وهبت عليهم رياح جديدة من الأمل، ورجوا أن يكون عهد "شارل الخامس" خيرًا من سابقه، وأبدى الملك الجديد - في البداية - شيئًا من اللين والتسامح نحو المسلمين والموريسكيين وجنحت محاكم التحقيق إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم، وكفت عن التعرض لهم في "أراغون" بسعي النبلاء والسادة الذين يعمل المسلمون في ضياعهم، ولكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة أعوام، وعادت العناصر المتعصبة في البلاط وفي الكنيسة ، فغلبت كلمتها ، وصدر مرسوم في (16 جمادى الأولى 931هـ/12 مارس 1524م) يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه ، وإخراج كل من أبى النصرانية من إسبانيا، وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصر أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة، وأن تحوّل جميع المساجد الباقية إلى كنائس.

وكان قدَر هؤلاء المسلمين أن يعيشوا في تلك الأيام الرهيبة التي ساد فيها إرهاب محاكم التحقيق، وكانت لوائح الممنوعات ترِد تباعًا ، وحوت أوامر غريبة منها : حظر الختان ، وحظر الوقوف تجاه القبلة، وحظر الاستحمام والاغتسال، وحظر ارتداء الملابس العربية. ولما وجدت محكمة تفتيش غرناطة بعض المخالفات لهذه اللوائح، عمدت إلى إثبات تهديدها بالفعل، وأحرقت اثنين من المخالفين في (شوال 936هـ/مايو 1529م) في احتفال ديني.

كان الإمبراطور شارل الخامس حينما أصدر قراره بتنصير المسلمين، وعد بتحقيق المساواة بينهم وبين النصارى في الحقوق والواجبات، ولكن هذه المساواة لم تتحقق قط، وشعر هؤلاء أنهم ما زالوا موضع الريب والاضطهاد، ففرضت عليهم ضرائب كثيرة لا يخضع لها النصارى، وكانت وطأة الحياة تثقل عليهم شيئًا فشيئًا، حتى أصبحوا أشبه بالرقيق والعبيد، ولما شعرت السلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة، صدر قرار في سنة (948هـ/1514م)، يحرم عليهم تغيير مساكنهم، كما حرم عليهم النزوح إلى بلنسية التي كانت دائماً طريقهم المفضل إلى الهجرة، ثم صدر قرار بتحريم الهجرة من هذه الثغور إلا بترخيص ملكي، نظير رسوم فادحة. وكان ديوان التحقيق يسهر على حركة الهجرة ويعمل على قمعها بشدة.



الأندلس
في عصر ملوك الطوائف
حدود الأراضي الإسلامية في بداية عصر ملوك الطوائف
أراض فرنسية
أراض إسبانية
مملكة غرناطة
بلاد الغال (فرنسا)
مملكة فرنسا
سبتمانيا
خليج بسكاي (الباسك)
مملكة نافار
مملكة أراغون
كونتية كاتالونية
مملكة ليون
بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)
خيخون
كوفادونغا
أبيط
لك
ليون
إشترقة
بنبلونة
جاقة
شيرب
بليارش
تطيلة
وشقة
سرقوسطة
أفراغة
لاردة
برشلونة
تركونة
طرطوشة
بلدوليد
سمورة
نهر دويرو
سلمنقة
تماس
شقوبية
برتقال
سرقوسطة
بنو هود
410-536هـ/
1019-1141م
السهلة
بنو رزين
قلعة هنارس
وبذة
قونكة
الفنت
بنو قاسم
مملكة بلنسية
العامريون
412-478هـ/
1021-1085م
مرتلة
قسطلونة
بريانة
بلنسية
شاطبة
دانية
مينورقة
مايورقة
يابسة
الجزائر الشرقية
العامريون
بحر الروم (البحر الشامي)
بطليوس
بنو الأفطس
418-487هـ/
1023-1094م
قورية
قصرايش
شنترين
شنترة
لشبونة
يابرة
ماردة
بطليوس
بازو
قلمرية
طلبيرة
نهر تاجو
طليطلة
طليطلة
بنو ذي النون
427-478هـ/
1035-1085م
ترغالة
نهر وادي آنة
مملكة دانية
العامريون
نهر شقورة
لقنت
تدمير (مرسية)
مملكة مرسية
قرطاجنة
لورقة
بنو صمادح
433-484هـ/
1041-1091م
المرية
قرطبة
بنو جهور
422-461هـ/
1031-1068م
غرناطة
بنو زيري
403-483هـ/
1012-1090م
غرناطة
بنو الأحمر
629-897هـ/
1231-1491م
البيرة
إشبيلية
بنو عباد
414-484هـ/
1023-1091م
باجة
ميرتلة
نهر الوادي الكبير
قرطبة
إشبيلية
أستجة
ولبة
أكشونبة
شلب
فارو
بنو مزين
بنو حمود
407-460هـ/
1016-1067م
مالقة
شذونة
قادش
طريف
باب الزقاق (مجاز الأندلس)
(مضيق جبل طارق)
سبتة
طنجة
تطوان
أصيلة
مليلة
وهران
تلمسان
المغرب
سلسلة جبال الأطلس
44°
42°
40°
38°
10°
8°
6°
4°
2°
0°



البحـر المتوسـط
المحيط الأطلسي
جزر البليار
مملكة البرتغال
مملكة ليون وقشتالة
مملكة أرغون
كوينكا
طليطلة
ماردة
لشبونة
العقاب
بلنسية
مرسية
قرطبة
إشبيلية
المرية
غرناطة
مالقة
الجزيرة الخضراء
سلفيس
قادس
طريف
سبتة
طنجة
مليلية
العرائش
موطن قبائل بني مرين
فاس
سلا
الرباط
مكناس
أزمور
آسفي
مراكش
سجلماسة
تادورانت
ماسة
وهران
تلمسان
الجزائر
بجاية
سطيف
تونس
القيروان
المهدية
صفاقس
قفصة
طرابلس
10°
5°
0°
5°
10°
15°
20°
35°
30°
25°
20°
الدول التي أعقبت دولة الموحدين
الحفصيون (1228 - 1574م)
بنو عبد الواد (1269 - 1465 م)
المرينيون (1269 - 1465م)
مملكة بني الأحمر (1232 - 1492م)
تحركات المرينيين
اتجاهات حركات الاسترداد
الحدود الشمالية للدولة الموحدية
مملكة أرغون
مملكة البرتغال
مملكة ليون وقشتالة
المقياس : 1 : 12.000.000

مصير التراث العلمي في الأندلس

ازدهرت حركة التأليف، ونسخ الكتب، وصناعة الكتاب، في الأندلس ازدهاراً عظيماً، فوصل عدد المكتبات، زهاء سبعين مكتبة، قدّر البعض موجودات واحدة منها بستمائة ألف مجلد.

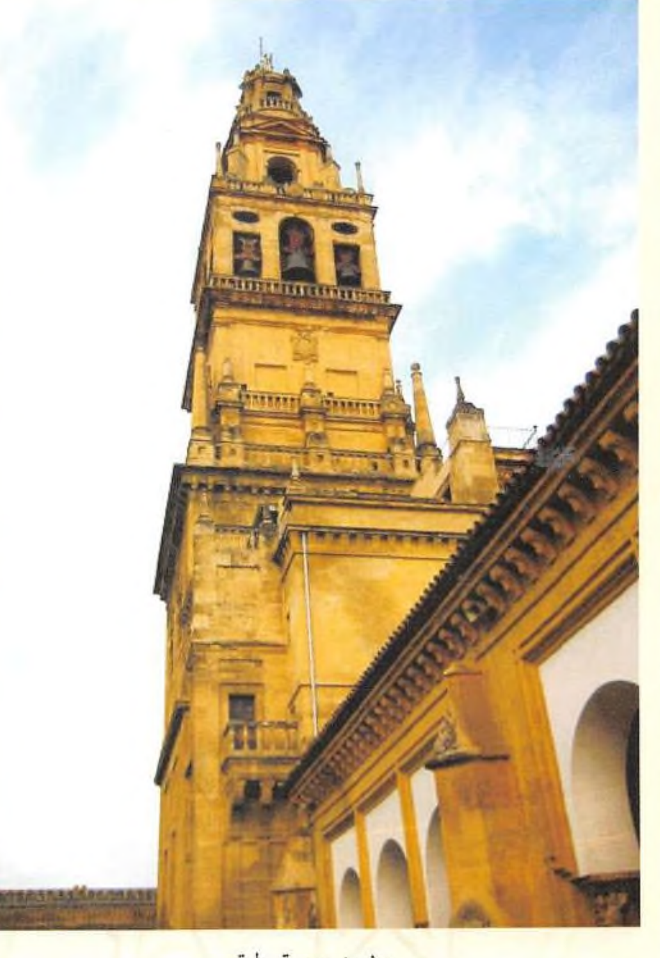
وقد تعرض جزء كبير من التراث لعملية إبادة بربرية، بعد سقوط غرناطة عام 1492م، حيث أمر الكاردينال خمنيس، بجمع كل ما يستطاع جمعه من الكتب العربية، وفيها كثير من المصاحف البديعة الزخرف، وآلاف من كتب الآداب والعلوم، وأضرمت فيها النار جميعاً، ولم يُستثن منها سوى ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم حُمِلت إلى الجامعة التي أنشأها في قلعة هنارس.

وفي النصف الأول من القرن السادس عشر، جُمعت مقادير عظيمة أخرى، من التراث الأندلسي، من غرناطة وبلنسية ومرسية، حيث كانت لدى من عُرفوا بالموريسكيين (المسلمين الذين أكرهوا على التنصر) وأودعت في المكتبة الملكية في الإسكوريال أيام الملك فيليب الثاني. وقد ضوعفت المجموعة العربية في الإسكوريال عام 1612م، بعد أن ضُم إليها نحو ثلاثة آلاف سفر من كتب الفلسفة والأدب والدين، من محتويات "مكتبة مولاي زيدان الحسني" عندما كانت مشحونة في سفينة فاستلبها أسطول إسباني، وحُملت غنيمة إلى قصر الإسكوريال، وبذلك بلغت المجموعة العربية في الإسكوريال في أوائل القرن السابع عشر، نحو عشرة آلاف مجلد، ولبثت هذه الآلاف العشرة من المخطوطات الأندلسية والمغربية، في قصر الإسكوريال زهاء نصف قرن، وكانت أغنى وأنفس مجموعة من نوعها في إسبانيا، وفي أوروبا كلها، ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري، ففي سنة 1671م شبت النار في قصر الإسكوريال، والتهمت معظم هذا الكنز الفريد، ولم ينقذ منه سوى زهاء ألفين، هي التي تثوي اليوم في أقبية الإسكوريال.

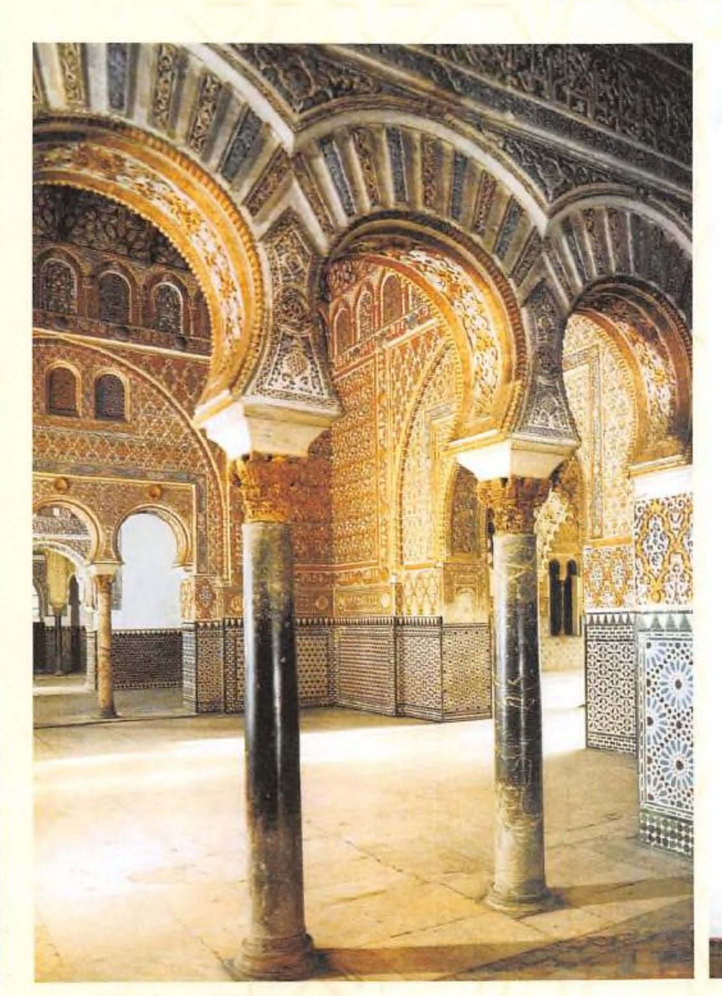
تاريخ سقوط أهم المدن الأندلسية

374 هـ \ 985 م: برشلونة	Barcelona
446 هـ \ 1055 م: سلمنقة	Salamanca
456 هـ \ 1064 م: قلمرية	Colambra
457 هـ \ 1065 م: بربشتر	Barbastro
476 هـ \ 1084 م: مدريد	Madrid
477 هـ \ 1085 م: طليطلة	Toledo
489 هـ \ 1096 م: وشقة	Huesca
507 هـ \ 1114 م: تطيلة	Tudela
512 هـ \ 1119 م: سرقسطة	Zaragoza
543 هـ \ 1148 م: قونقة	Cuonca
585 هـ \ 8948 م: شلب	Silves
619 هـ \ 1222 م: ماردة	Merida
627 هـ \ 1229 م: بطليوس	Badajos
628 هـ \ 1230 م: ميورقة (من جزر الباليار)	Mallorca
632 هـ \ 1235 م: يابسة	Ibza
633 هـ \ 1236 م: قرطبة	Cordoba
633 هـ \ 1236 م: طلبيرة	Tolavera
636 هـ \ 1238 م: دانية	Denia
640 هـ \ 1242 م: قرطاجنة	Cartagena
641 هـ \ 1443 م: مرسية	Murcia
644 هـ \ 1246 م: جيان	Jaen
645 هـ \ 1247 م: لشبونة	Lisbaana
645 هـ \ 1247 م: شاطبة	Jativa
646 هـ \ 1248 م: إشبيلية	Sevilla
647 هـ \ 1249 م: لاردة	Lerida
661 هـ \ 1262 م: ولبة	Huelva
661 هـ \ 1262 م: لبلة	Nibela
661 هـ \ 1262 م: قادس	Cadis
686 هـ \ 1287 م: منورقة (بقية جزر الباليار)	Menorca
702 هـ \ 1310 م: جبل طارق	Giraltar
818 هـ \ 1415 م: سبتة	Ceuta
890 هـ \ 1485 م: رندة	Ronda
893 هـ \ 1487 م: مالقة	Malaga
894 هـ \ 1488 م: وادي آش	Cudix
894 هـ \ 1488 م: المرية	Almeria
898 هـ \ 1492 م: غرناطة	Granada

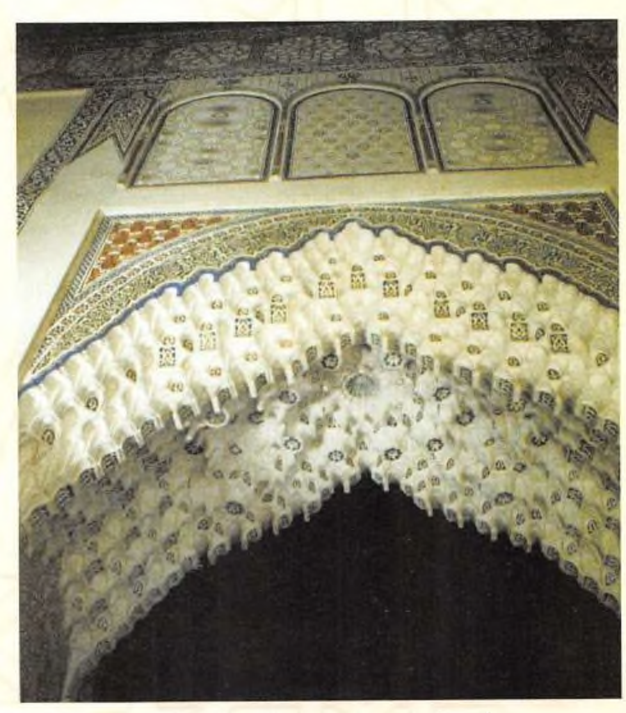
آثار مغربية وأندلسية



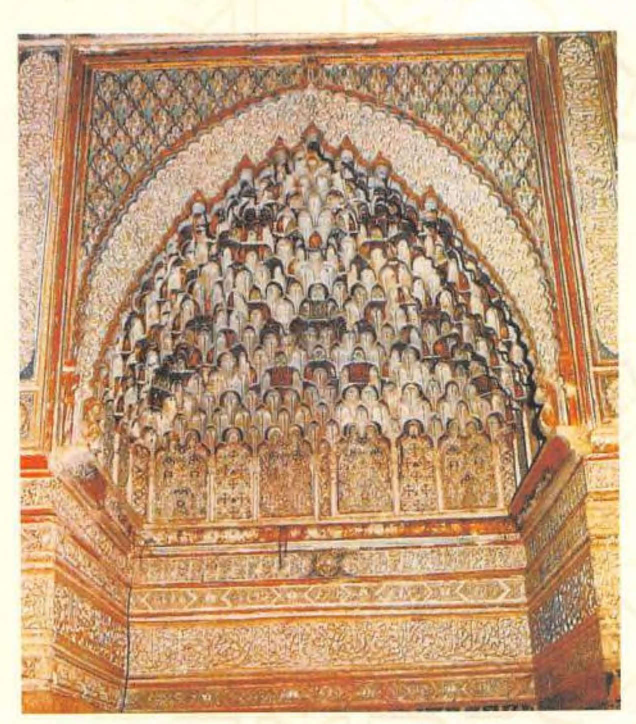
مشهد من قرطبة



مدرسة بو عنانية في فاس تم بناؤها سنة 759هـ - 1357م

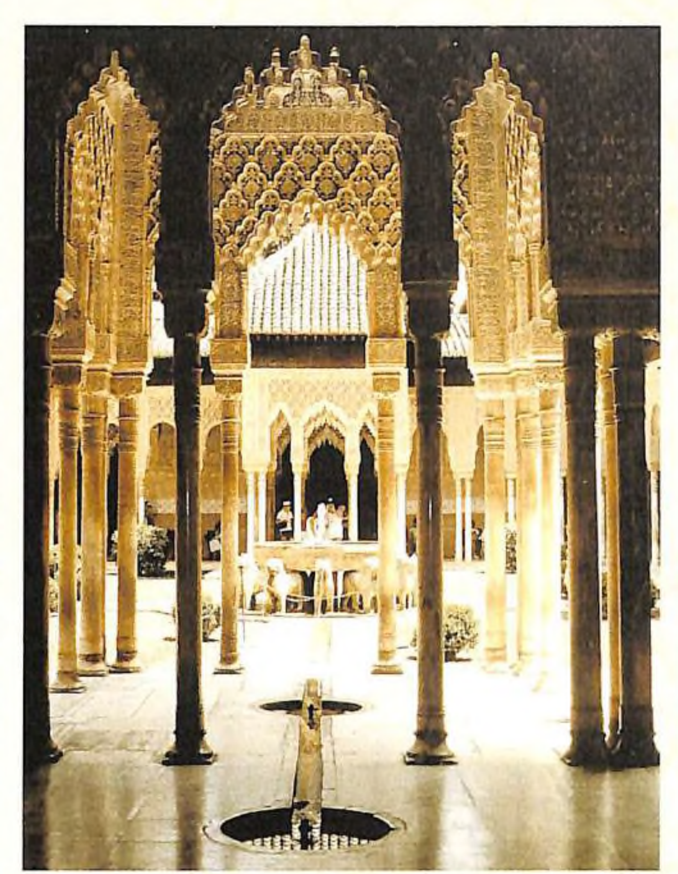


أحد أقواس القصر الملكي في فاس

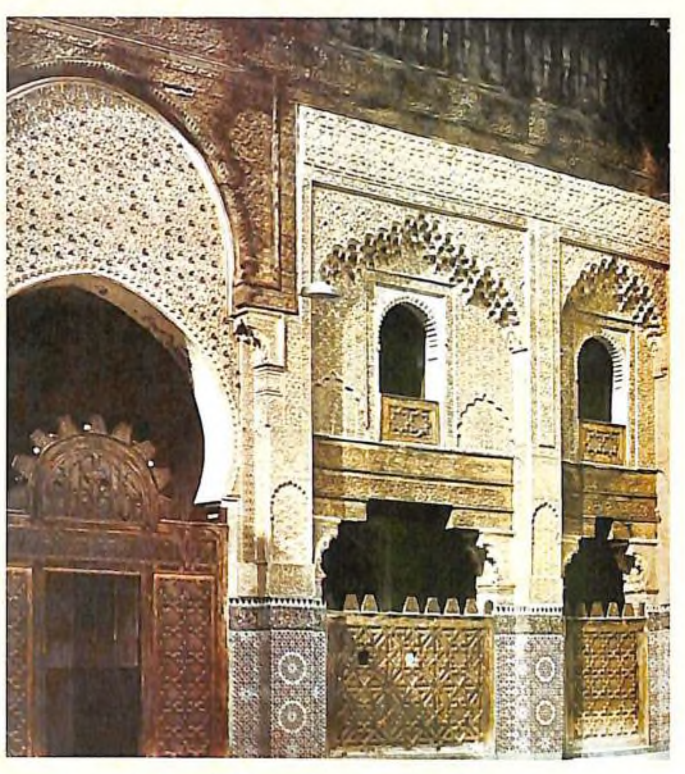


من آثار السعديين في مراكش

قصر الحمراء بغرناطة



ساحة الأسود بقصر الحمراء - غرناطة



قصر الحمراء فى غرناطة تم بناؤه سنة 799 هـ/ 1396م
صرح فني شامخ لم يزل إلى اليوم شاهداً
على رفعة الذوق الفني الأندلسي

تفصيلات
من قصر
الحمراء
بغرناطة

جوانب من الازدهار الحضاري في الأندلس وتأثيراته على النهوض الأوربي

شهدت الصناعات المعدنية في بلاد الأندلس تقدماً عظيماً، فاشتهرت مرسية بمصنوعاتها من الحديد، كما اشتهرت طليطلة بالسيوف، وقرطبة بالدروع، وازدهرت كذلك الصناعات اليدوية.. وكان في قرطبة وحدها (13000) نسّاج، وكان الإقبال في كل مكان على شراء السجاجيد والوسائد والأرائك الأندلسية، واخترع ابن فرناس القرطبي في القرن التاسع الميلادي النظارات، والساعات الدقاقة المعقدة التركيب، كما اخترع آلة طائرة.

وقد ظلت الأكاديميات العلمية في أوروبا قروناً تعتمد المراجع العلمية التي استعارتها من الأندلس، ونقلتها من العربية إلى اللاتينية.

يقول المستشرق الإسباني الدكتور بدور مارتينيز مونتابث: «إن إسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضاري، لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظل الإسلام وحضارته، وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى أوروبا المجاورة، المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والتخلف».

وكان أهل الأندلس من أنبغ الشعوب في فلاحة الأرض، وتربية الماشية، وغرس الحدائق، وتنظيم طرق الري والصرف، ومعرفة أحوال الجو، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة، وخواص النبات، وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والنماء، وقد نقل العرب من المشرق وشمال إفريقية إلى إسبانيا كثيراً من المحاصيل والأشجار، كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل، الذي ما زالت تزدان به الحدائق والمدن الإسبانية الجنوبية، والزيتون الذي غدا فيما بعد، وحتى اليوم أعظم محاصيل إسبانيا..

وهكذا «كان حكم العرب ـ كما يقول ديورانت ـ نعمة وبركة "قصيرة الأجل" على الزراع من أهل البلاد، ذلك أن الفاتحين لم يبقوا على الضياع التي كبرت فوق ما يجب... وحرروا رقيق الأرض من عبودية الإقطاع... وكان العرب في معظم الأحوال يتركون أعمال الزراعة إلى أهل البلاد، ولكنهم كانوا يستعينون بأحدث ما أُلف من الكتب في علومها، وبفضل توجيههم بلغت هذه العلوم في إسبانيا من التقدم أكثر مما بلغته في أوروبا المسيحية... وكان هناك أسطول تجاري يزيد على ألف سفينة يحمل غلات الأندلس ومصنوعاتها إلى إفريقية وآسية..».

كما أن الفنون الزراعية انتقلت على يد المسلمين إلى فرنسا وسويسرا، وكان علماء النبات الأندلسيون هم أعظم من نبغ في هذا الميدان في العالم الإسلامي، ومنهم أبو العباس بن الرومية الإشبيلي المتوفى سنة (637 هـ 1239م) وتلميذه ابن البيطار المالقي المتوفى سنة (646هـ 1248م) كانا من أعظم علماء النبات بعد ديسقوريدس اليوناني. واشتهر آخرون في الأندلس بذلك، ووصلت إلينا مؤلفاتهم، ومن أنبغهم: أبو عبد الله بن بصّال الطليطلي، وابن مالك الطغنري الغرناطي، وابن العوام الإشبيلي، وابن لونكو القرطبي.

وعموماً كان الأندلسيون كما يؤكد المؤرخ ويل ديورانت أقدر أهل زمانهم على تصريف الشؤون العامة في العالم الغربي، فكانت قوانينهم قائمة على العقل والرحمة، تشرف على تنفيذها هيئة قضائية حسنة النظام، وكان أهل البلاد المغلوبون يُحكَمون في معظم الأحوال حسب قوانينهم، وعلى أيدي موظفين منهم، وكان في المدينة شرطة تسهر على الأمن فيها، وقد فرضت على الأسواق والمكاييل والموازين رقابة محكمة، وكانت الحكومة تقوم بإحصاء عام للسكان والأملاك، في فترات منظمة، وكانت الضرائب معقولة مقارنة بما كانت تفرضه منها روما أو بيزنطة.

بنو حفص (الحفصيون)

ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر بن يحيى الهتاني، ومن أبنائه أبو زكريا يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص، الذي تغلب على تونس فاستبد بالأمر وخالف الموحدين، ودعا لنفسه و أعلن استقلاله عن الموحدين، ووسع نفوذه فاستولى سنة 628 هـ، على قسنطينة وبجاية، وفي سنة 632هـ استولى على مدينة الجزائر وشلف البطحا وسائر مدن المغرب الأوسط، كما بايعته الأندلس الشرقية سنة 635هـ .

ثم توالى خلفاء بني حفص على عرش الدولة، غير أن الخلافات بدأت تظهر بين أفراد العائلة، ووقع بينهم التحاسد، وافترقت كلمتهم وضعفت قوتهم ووقعوا تحت وطأة تهديد دولة بني مرين من جهة، والغزاة الإسبان والنمساويين من جهة أخرى، وعندما تولى محمد بن الحسن و هو آخرهم، كانت الدولة قد انكمشت، فلم يبق تحت سيطرته إلا مدينة تونس، عندما وصل الجيش العثماني واستولى على تونس سنة 982هـ، وقضى على الدولة الحفصية.

من نقود الحفصيين







تسلسل الأسرة الحفصية

- أبو زكريا يحيى 1 (627-647هـ / 1228-1249م)
- أبو عبد الله محمد 1 (647-676هـ/1249-1277م)
- أبو زكريا يحيى 2 (676-678هـ/1277-1279م)
- أبو إسحاق إبراهيم 1 (678-681هـ/1279-1282م)
- أبو فارس بن إبراهيم 1 (681-683هـ/1282-1284م)
- أبو حفص عمر 1 (683-695هـ / 1284-1295م)
- أبو عبد الله محمد 2 (695-709هـ/1295-1309م)
- أبو يحيى أبو بكر[الشهيد] (709 - 709 هـ/1309م)
- أبو البقاء خالد 1 (709-711هـ/1309-1311م)
- أبو يحيى زكريا 1 (711-717هـ/1311-1317م)
- أبو دربة (717 - 718هـ/1317 - 1318م)
- أبو يحيى أبو بكر 2 (718-747هـ/1318-1346م)
- أبو حفص عمر 2 (747-748هـ/1346-1347م)
- الاحتلال المريني الأول (748-750هـ/1347-1349م)
- أبو العباس أحمد (750-771هـ / 1350-1369م)
- أبو إسحاق إبراهيم 2 (758-758هـ/1357-1357م)
- الاحتلال المريني الثاني (771-772هـ/1369-1370م)
- أبو العباس أحمد (772-797هـ / 1370-1394م)
- أبو فارس عبد العزيز (797-838هـ/1394-1434م)
- أبو عبد الله محمد 4 (838-839هـ/1434-1435م)
- أبو عمر عثمان (839-894هـ / 1435-1488م)
- أبو زكريا يحيى 3 (894-895هـ / 1488-1489م)
- عبد المؤمن (895-895هـ / 1489-1489م)
- أبو يحيى زكريا 2 (895-900هـ / 1489-1494م)
- أبو عبد الله محمد 5 (900-933هـ/1494-1526م)
- مولاي الحسن (933-949هـ / 1526-1542م)
- السلطان أحمد 3 (949-977هـ / 1542-1569م)
- مولاي محمد 6 (977-982هـ / 1569-1574م)

الأشراف السعديون

أسس هذه الدولة الشريف السعدي أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله سنة 917هـ بمبايعة قبائل السوس المغربية له.

وظل هذا الشريف قائماً بالأمر إلى أن توفي سنة 923 هـ، فخلفه ابنه أبو العباس أحمد الأعرج، الذي حارب البرتغاليين و انتصر عليهم، واتخذ من مراكش عاصمة لدولته، وفي سنة 960هـ، ثار عليه أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي، غير أنه تمكن منه، وتمكن في سنة 961هـ من القضاء على دولة بني مرين ودخول فاس، غير أنه قتل سنة 964هـ، وتوالى بعده الأشراف السعديون على عرش الخلافة، وقد اشتهر منهم السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي، الذي استقرت أحوال المغرب في عهده، واستطاعت جيوشه إنهاء الوجود البرتغالي في المغرب، وبوفاته سنة 1012هـ، ضعفت قوة الدولة السعدية وتقلص نفوذها، واشتدت النزاعات بين أولاده على كرسي الملك، مما أدى إلى تفكك الدولة في فترة حكم محمد الشيخ الثاني (الأصغر)، واقتصر نفوذها على مراكش، وما أن حلت سنة 1069هـ حتى انتهت دولة الأشراف السعديين بمراكش.

من نقود الأشراف السعديين



تسلسل الأشراف السعديين

(1)
أبو عبد الله محمد (الشيخ المهدي)
962-965هـ/1554-1557م

(2)
مولاي عبد الله الغالب
965-982هـ/1557-1574م

(3)
مولاي محمد المتوكل أبو عبد الله
982-984هـ/1574-1576م

(4)
أبو مروان عبد الملك
984-986هـ/1576-1578م

(5)
المنصور الذهبي (أبو العباس أحمد)
986-1017هـ/1578-1608م

الفرع المراكشي:

مولاي زيدان (أبو المعالي) 1012-1038هـ/1603-1628م

أبو مروان عبد الملك 1038-1041هـ/1628-1631م

الوليد بن زيدان 1041-1046هـ/1631-1636م

محمد الشيخ الأصغر بن زيدان 1046-1065هـ/1636-1654م

أحمد العباس بن محمد الشيخ 1065-1070هـ/1654-1659م

الفرع الفاسي:

مولاي المأمون الشيخ 1019-1022هـ/1610-1613م

عبد الله الشيخ بن المأمون 1022-1034هـ/1613-1624م

عبد الملك بن المأمون 1034-1036هـ/1624-1626م

أقطار العالم العربي
في نهاية العصر المملوكي

العـــراق:

تعرض المشرق العربي لخطرين متتاليين: الحملات الصليبية على بلاد الشام، ثم الخطر المغولي على بغداد مركز الخلافة الإسلامية. ولم يكد ينتهي خطر الحملات الصليبية بانتصار صلاح الدين الأيوبي في حطين عام 1187م وتحرير القـــدس، ومن ثم تصفية الجيوب الصليبيـــية على أيدي المماليك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، حتى لاحت علائم الخطر المغولي من الشرق. فقد أخذت موجات المغول بزعامة جنكيز خان تغزو معظم بقاع العالم كأوربا واليابان وكوريا والصين وآسيا. وبدأ غزوه لفارس عام 1221م وتوقف بموته عام 1227م. ثم استأنف حفيده هولاكو الزحف نحو الغرب، حتى احتل بغداد عام 1258م، وأنهى الخلافة العباسية وقتل الخليفة المستعصم وأولاده في مجزرة رهيبـــة، ودمر كل أسبـــاب الحضارة وخرب الزراعة والاقتصاد والإدارة.

وفقد العراق بذلك أهميته وغدا تابعاً للدولة الإيلخانية المغولية التي أسسها هولاكو وكانت عاصمتها تبريز في فارس. وكان الإيلخانيون وثنيين حـتى عام 1295م، حيث أظهر أميرهم قازان اعتناق الإسلام، وتبعه المغول، وتحسن الموقف قليلاً بذلك. وخرج العراق من سلطة الإيلخانيين، لتحكمه أسرة مغولية أخرى هي الجلائرية التي حكمت من 1345م حتى 1410م. ثم ظهر تيمورلنك (الأعرج)، وهو أيضاً من سلالة جنكيز خان، وكان أمير سمرقند، فاحـتل فارس والعراق، ودخل بغداد مرتين في 1393م، ثم في 1401م، وكان حكمه مدمراً، حيث قـتل كثيراً من أهلها في المرة الثانية، واستردها الجلائريون عام1455م.

ثم حكمت العراق قبائل تركمانية أخرى اندفعت من أواسط آسيا هرباً من ضغط المغول، وشكلت إمارتين: "الحمل الأسود" التي احتلت الموصل عام 1375م ثم استردت بغداد من الجلائريين عام 1440م، وحكمتها حتى 1467م، وإمارة "الحمل الأبيض" التي تمكنت من احتلال بغداد عام 1467م على يد زعيمها أوزون حسن (حسن الطويل)، وقضت على إمارة "الحمل الأسود". ثم تمزقت دولته بعد وفاته عام 1478م، لكنها ظلت تحكم بغداد حتى عام 1508م، حيث احتلها إسماعيل الصفوي شاه فارس، ثم مد حكمه إلى بقية أقاليم العراق. وأعلن التشيع مذهباً رسمياً لدولته التي كانت تبريز عاصمتها، وبذلك دخل في صراع مع العثمانيين السنيين لتزعم العالم الإسلامي.

بلاد الشام ومصر في العهد المملوكي:

كانت تحكم بلاد الشام ومصر الدولة المملوكية (1250 - 1517م) التي خلفت الدولة الأيوبية. وإذا كان قد قدر للدولة الأيوبية أن توحد بلاد الشام ومصر لمقاومة الغزو الصليبي الأوربي، فقد قدر لدولة المماليك أن تتابع هذا الدور، ومن ثم لتتمكن من صد الخطر المغولي القادم من الشرق في موقعة عين جالوت عام 1265م في فلسطين، والتي كانت سبباً في إنقاذ بلاد الشام ومصر والمغرب العربي من الخطر المغولي، وحـــصره في العراق. وقد حددت معركة عين جالوت بكل دقة شخصية بيبرس كمنقذ للإسلام والمسلمين من خطر المغول، مما زاد في قوته ونفوذه، حتى عُد مؤسس الدولة المملوكية الحقيقي. تابعت دولة المماليك خلال تاريخها بعد بيبرس مقاومة الأخطار رافعة لواء حماية الإسلام، ومن أهم هذه الأخطار غزو تيمورلنك لبلاد الشام عام 1400 - 1401م في عهد السلطنة البرجية، ومن حسن حظها أن تيمورلنك عاد إلى بلاده، لكنه خلف دماراً كبيراً في بلاد الشـام. وكان المماليك يسيطرون على شاطئ البحر الأحمر أيضاً والنوبة والحجاز واليمن، حتى سقوط دولتهم بأيدي العثمانيين في عامَي 1516 و 1517م.

شبه الجزيرة العربية:

كانت مناطق شبه الجزيرة - باستثناء ساحل البحر الأحمر حيث الحجاز واليمن - خاضعة لحكم قبلي بدوي. وكانت تسكن منطقة الخليج العربي قبائل عربية تمتهن استخراج اللؤلؤ والرعي والتجارة. وظلت كذلك حتى احتل البرتغاليون بعض المناطق في الخليج، أوائل القرن السادس عشر، مثل البحرين ودولة هرمز. وكانت عُمان أكثرها تقدماً وذات تنظيم سياسي، يحكمها الأئمة الإباضيون في الجبال وفي الداخل، وكانت أقرب إلى الحضارة منها إلى البداوة. وظلت كذلك حتى الفتح العثماني.

أما نجد والأحساء فقد شكلتا أكبر اتساع في شبه الجزيرة، وكانتا خاضعتين للأنظمة القبلية البدوية، وواقعتين مثل المناطق الأخرى تحت نفوذ العثمانيين في القرن السادس عشر.

أما اليمن فقد خضع للأيوبيين منذ عهد صلاح الدين الأيوبي عام 1173م، وكذلك خضعت مكة لهم في القرن الثالث عشر، وحكمتها سلالة الأسرة الرسولية التي حكمت تعز وزبيد في اليمن أيضاً حتى 1446م. وعندما حلت الدولة المملوكية مكان الأيوبيين، فرض بيبرس سلطة اسمية على مكة تحت السيادة الفعلية للأسرة الرسولية عليها وعلى المدينة أيضاً. وفي القرن السادس عشر تولى السلطة في اليمن الأئمة الزيديون، واتخذوا صنعاء عاصمة لهم، وظلوا يعترفون للمماليك في مصر بالسيادة عليهم، كما أن المماليك أقاموا حامية لهم في مكة أيام برسباي. كما كانت منطقة البحر الأحمر منطقة صراع تجاري كان له تأثير كبير على اقتصاد المماليك واليمن والحجاز، وفي أواخر القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر أخذت تظهر في المنطقة سفن البرتغاليين مُنذِرة بالخطر، ومنبهة العثمانيين إلى وجود خطر مسيحي حقيقي مما أدى إلى جذبهم للمنطقة.

السودان:

كانت النوبة شمال السودان مسيحية عندما فتح العرب المسلمون مصر وأخفقت الحملات العربية والأيوبية والمملوكية في السيطرة على السودان وإدخال الإسلام إليه، لكن الذي حدث أن القبائل العربية القاطنة جنوب مصر كانت تتسرب إلى السودان وتتزاوج مع السكان، فنشرت بذلك اللغة العربية والدين الإسلامي، ومن ثم تم انهيار المملكة النوبية المسيحية. وقبيل الاحتلال العثماني لم يكن السودان موحداً تحت سلطة واحدة، حتى قامت مملكة "الفونج" الإسلامية، وحاولت توحيد وادي النيل تحت سلطة عربية إسلامية من الأجزاء المتفرقة. وخاصة في سنار، حيث وطدت سلطتها في الجزيرة ما بين النيلين الأزرق والأبيض على مجرى النيل. أما النوبة السفلى ما بين الشلال الأول والثالث فقد كانت خارجة عن سيطرة "الفونج"، ولهذا كانت هدفاً للاحتلال العثماني، أما شرق النوبة فكانت تسكنها قبائل "البجا" مقابل مينائي سواكن ومصوع، وقد أعاقت هذه القبائل تقدم العثمانيين نحو الداخل بعد احتلالهم لمصوع وسواكن على يد أزدمر باشا.

أقطار المغرب العربي:

ليبيا:

عاشت طرابلس كل الأزمات التي عصفت بالمغرب إثر سقوط دولة الموحدين والمرينيين ومن ثم قيام دول متفرقة في أقطاره، وكانت طرابلس تتبع في كثير من الأحيان للدولة الحفصية في تونس. لكن الطرابلسيين استطاعوا التخلص من حكم الحفصيين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وتصالحت معهم تونس عام 1463م كسلطة مستقلة، غير أن إسبانيا التي كانت تلاحق المسلمين وتحاول استعمار الساحل المغربي، قامت بغارة على طرابلس عام 1510م، واحتلتها بعد مقاومة عنيفة. وإزاء الخطر الذي أخذ يتصاعد ضد

الإسبان من البحارة المسلمين في جزيرة جربة وغرب المتوسط، قبلوا عرضاً من "فرسان القديس يوحنا" المطرودين من رودس بعد الفتح العثماني لها، عام 1522م بتملك طرابلس مقابل الاستمرار في مقاتلة المسلمين لصالح الإسبان. وكان ذلك الاتفاق برعاية البابا وتحت ضغطه وإلحاحه، واحتلّ فرسان القديس يوحنا طرابلس عام 1535م، وكانوا قد أعدوا أنفسهم لحكمها والاستقرار فيها بشكل دائم. وظلوا فيها حتى عام 1551م حيث تمكن العثمانيون من طردهم منها.

تونس:

كانت تحكم تونس الدولة الحفصية التي استقلت عن دولة الموحدين منذ 1230م، ومرت هذه الدولة بمراحل قوة وضعف وصراع على الحكم، وعلى حكم طرابلس في ليبيا وقسنطينة في الجزائر. ثم بلغت الدولة الحفصيه أوج قوتها في عهد اثنين من أشهر سلاطينها وهما أبو فارس (1394- 1434م)، وأبو عمر عثمان (1435- 1488م). وبموت أبي عمر أخذت مظاهر الضعف تبدو في الوقت الذي ظهر فيه الإسبان في البحر أمام السواحل الإفريقية، كما ظهرت قوة العثمانيين أيضاً، ودخل الحفصيون في الصراع، وتمكن خير الدين بربروسا القرصان التركي حاكم الجزائر والمسؤول عن الصراع البحري مع الإسبان في المنطقة من احتلال تونس عام 1534م، ثم انتزعها الإسبان باحتلال آخر في العام التالي. ثم قام العثمانيون من طرابلس والبحر بالتغلغل في تونس حتى تم لهم احتلالها نهائياً عام 1574م وإنهاء الحكم الحفصي وضمت تونس إلى الدولة العثمانية نهائياً.

الجزائر:

كانت تحكم المغرب الأوسط (الجزائر) منذ عهد الموحدين دولة بني عبد الواد أو الدولة الزيانية التي بدأ حكمها عام 1235م، بحكم يغمراسن. وكانت تربطها بدولة الموحدين أواصر التحالف والصداقة. وبعد سقوط دولة الموحدين عانت دولة بني عبد الواد صراعاً طويلاً مع جارتها تونس حيث يحكم الحفصيون، والمغرب الأقصى حيث يحكم المرينيون خلفاء الموحدين، ومرت دولة (بني عبد الواد) بفترات من الرضوخ والاحتلال للحفصيين ثم للمرينيين. لكنها استمرت رغم التدخل المستمر من جارتيها تحكم تلمسان حكماً فيه كثير من الفوضى والفتن وعدم الاستقرار حتى ظهر الصراع الإسباني العثماني أمام الساحل المغربي، حيث تم للعثمانيين إنهاء الصراع واحتلال الجزائر عام 1554م، مع أن هذا التدخل بدأ عام 1516م.

المغرب الأقصى:

حكم بنو وطاس المغرب من 1420 حتى 1554م، وهم فريق من بني مرين تربطهم معهم روابط القرابة والمصاهرة والمصلحة، وعاش المغرب في عهدهم في القلاقل والاضطراب والصراع، كما شهد ظهور الحركات الصوفية الدينية. وكان الإسبان يقومون بحرب أطلقوا عليها اسم "حرب الاسترداد المسيحي" في الأندلس ويطاردون المسلمين فيها، كما أن البرتغال كانت قد بدأت عصر الإمبراطورية والاستعمار والتوسع، فبدأت باحتلال سبتة عام 1415م، ثم تابعت احتلال مناطق كثيرة أخرى على الساحل الأطلسي، وبدأت مرحلة صراع مرير بين الطرفين. وخلال هذا الصراع كان يجري صراع آخر بين الوطاسيين والسعديين المتمركزين في الجنوب والذي انتهى أخيراً بتسلّم السعديين للحكم في المغرب عام 1550م. لكن السعديين وقفوا ضد الوجود العثماني، ورفضوا الخضوع له، مثلما حدث في الجزائر وتونس، وبقي المغرب القطر العربي الوحيد خارج التبعية العثمانية حتى نهايتها.

المشرق في العصر المملوكي

إيلخانات المغول

قابل المغول في إيران حضارة لها جذور عميقة متشعبة، سواء منها ما يرجع لما قبل الإسلام، أو ما كان في ظل الإسلام، ومع مرور الزمن تأثر المغول بهذه الحضارات، ولم يستطيعوا الاستمرار في مقاومتها، فأخذوا لأنفسهم عادات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل، ودفعتهم المعتقدات الدينية التي كانت سائدة إلى أسلوب جديد في حياتهم العامة، حتى قبل أن يدخلوا الإسلام، إذ فرض عليهم المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه ملابس خاصة، وأن يتجهوا في عاداتهم إلى ما لا يثير حفيظة السكان الأصليين ضدهم، وبخاصة أنهم كانوا مضطرين إلى تعيين كثير منهم في بعض المناصب الإدارية.

وبعد جيل أو جيلين من هولاكو خفّت روح القسوة والبطش لدى المغول، كما خفت روح التدمير ليحل محلها اتجاه للبناء والعمران، فيروي رشيد الدين الهمذاني المؤرخ لدول المغول: "أن أرغون حفيد هولاكو كان ملكاً عاقلاً له طبع لطيف وخاطر وقاد، وأن كل من يتحدث معه في مسألة عقلية أو نقلية كان يُعجب به، وقد استراح الناس في ظل رأفته الظليل".

ودخل المغول الإسلام بعد ذلك ملوكاً وجنوداً، فأصبح خُلق الإسلام هو خُلقهم إلى حد كبير. بحيث يُروى عن "غازان" -وهو حفيد المدمر الأكبر هولاكو- أنه أصبح يُعنى بالإدارة الرشيدة، وبالرخاء الشامل لشعبه، وأصبح فرض الضرائب يخضع لنظام عادل نسبياً، وأصبحت الدولة تخضع لقوانين منسقة إسلامية، وقد قطعت علاقاتها بالقوانين المغولية التي كانت مدونة في "الياسا".

وحفل عهد غازان بنهضة عمرانية هائلة، فقد بنى مدينة "السلطانية" التي تقع على سهل فسيح بالقرب من قزوين، فأصبحت عاصمة جديدة بدل تبريز. وقد تنافس السلطان والوزراء في تمويل تشييد القصور والمباني العامة، وشيد غازان بعض العمائر الفاخرة في تبريز، وجعل لها أوقافاً هائلة.

وإذا كان المغول قد دمروا إيران فإن حركة عمرانية كبيرة بدأت بهذه البلاد عقب انتهاء عملية الغزو واستقرار الدولة.

وما يزال في إيران عدد كبير من المنشآت العمرانية المهمة التي شيدت في المدة من موت هولاكو إلى عصر أبي سعيد، بل إن هناك منشآت ترجع إلى هولاكو نفسه، منها مرصد مراغة ودار الخزانة ومقبرة هولاكو.

ومن الآثار البارزة في هذا العصر المسجد الذي بناه الوزير علي شاه وزير "أولغايتو" في تبريز، وكان هذا البناء عند تمامه أشبه بالقصر الساساني المعروف "طاق كسرى" في المدائن.

وقد عرف هذا العصر إضافة إلى المباني أنواعاً من الزخرفة على نماذج من الفخار "القاشاني"، ويمتاز هذا العصر بالبراعة في فن "الميناء" وهو استعمال عدة ألوان ببراعة على الفخار والذهب. كما عرفت "المنمنمات" وهي الصور الصغيرة في شيراز وهيرات، وكثر استعمالها في تجليد المصاحف.

ومن أفذاذ هذا العصر: نصير الدين الطوسي الذي أشرف على تشييد مرصد مراغة. وله كتب كثيرة في الطبيعة والمنطق والفلسفة، وشروح على كتب إقليدس وأفلاطون وأرسطو، وكانت وفاته سنة 672هـ/ 1274م.

ومنهم رشيد الدين الهمداني مؤلف كتاب "جامع التواريخ" الذي دون فيه التاريخ المفصل للمغول، وقد استعان براهب كشميري في تأليف الجزء الذي خصصه لتاريخ الهند. وكان رشيد الدين طبيباً ماهراً، مما أتاح له الدخول على السلاطين، والاشتغال بالسياسة والتاريخ

فبرع فيهما كبراعته في الطب. وقد شغل الهمداني منصب الوزارة في عهد "غازان" وخلفه "أولغايتو"، وأنشأ ضاحية خارج تبريز عرفت بـ "الربع الرشيدي"، وعندما اضطربت الأوضاع في فترة حكم أبي سعيد دبر بعض منافسيه مؤامرة ضده انتهت بإعدامه سنة 718هـ/ 1318م.

نهاية أسرة هولاكو:

تولى أبو سعيد بن أولغايتو السلطة بعد أبيه وكان في الثانية عشرة من عمره، وكان عهده مليئاً بالفتن والاضطرابات، وحدث لأسرة الإيلخانيين ما حدث للغزنويين والسلاجقة وغيرهم من الصراع على الحكم والطمع في السلطة، حتى حققت جماعة من المغول تعرف بـ "الجلائرية" بعض النجاح، غير أنها لم تستطع لمّ شمل المغول حتى ظهر تيمورلنك، وكان ظهوره بداية عهد جديد للدولة الإيلخانية.

الإمبراطورية التيمورية
771- 907هـ/ 1380- 1500م

تُعدّ قفزة تيمورلنك من أسرع القفزات في التاريخ حتى لقد شبّهها المؤرخون بزحف الإسكندر المقدوني السريع والمتسع.

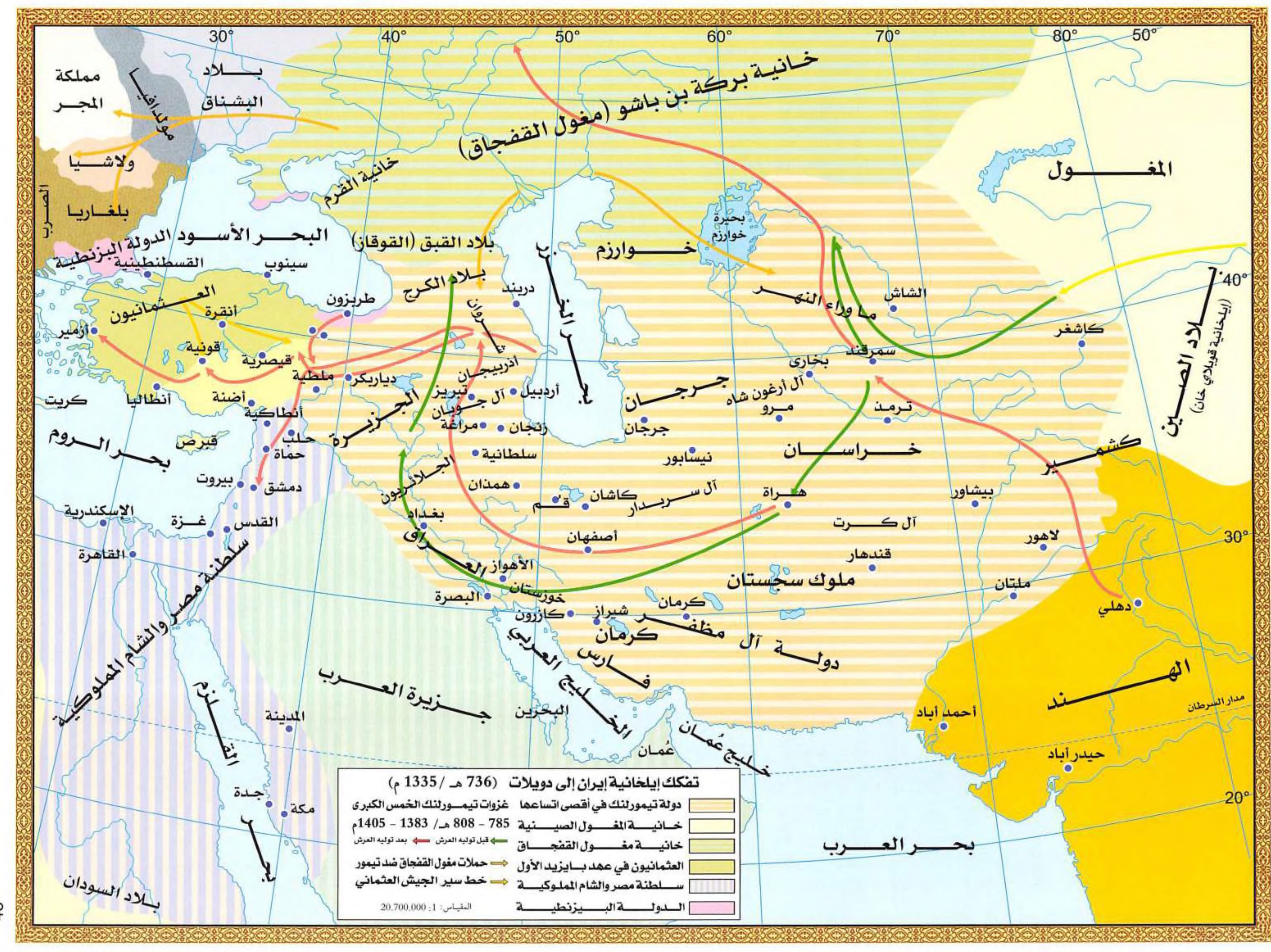
وتيمورلنك كان مغامراً تفوق على أسلافه في سياسة الإرهاب والأعمال الوحشية، وأول ما يعرف عنه أنه كان والياً على بعض مناطق ما وراء النهر للأمير المغولي "حسين" حوالي سنة 761هـ وتزوج بنت الأمير "نوكان خاتون"، ثم كانت بينه وبين الأمير خصومة أدت إلى حرب انتصر فيها تيمورلنك، وبدأ من ثم زحفاً استولى به على خراسان وسجستان ومازندان وأفغانستان وفارس وأذربيجان وكردستان، ثم زحف إلى بغداد فأخذها من الجلائريين سنة 795هـ، ثم اتجه إلى الشمال الشرقي فاستولى على شمال الهند ودلهي وكشمير سنة 800هـ، واتجه إلى الشام فالأناضول حيث هزم العثمانيين في معركة بقرب "أنقرة" وأسر السلطان "بايزيد" سنة 804هـ، ثم عاد إلى سمرقند التي اتخذها عاصمة له، وحاول غزو الصين ولكن الموت عاجله في 807هـ. وتولى السلطة من بعده ابنه "شاه رخ" الذي تابع سيرة أبيه في تثبيت الدولة التيمورية حتى وفاته سنة 850هـ .

واستسلمت الدولة التيمورية بعدهما للفتن والصراعات والقلاقل، ولم تعد إيران للاستقرار إلا على أيدي الصفويين، غير أن الأسرة التيمورية لم تنقرض، واستمرت في الهند على يد "بابر شاه" الذي استطاع أن يقيم فيها ما عُرف بـ "إمبراطورية المغول الكبرى"، ثم احتل أفغانستان سنة 913هـ / 1507م وقد احتفظت هذه الإمبراطورية بكيانها حتى زحف الإنكليز على الهند، وقام صراع كبير بين الأباطرة المغول المتأخرين وبين الإنكليز، ولم يتمكن الإنكليز من القضاء نهائياً على هذه الدولة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأُعلنت الملكة فيكتوريا إمبراطورة للهند سنة 1294هـ/ 1877م.

إيران من المغول للصفويين

عندما اشتدت الفتن بين أبناء تيمورلنك وأحفاده استغلت الفرصة قبائل "قره قوينلو" (سلالة الخراف السوداء) التركمانية واستولت على أذربيجان سنة 815هـ/ 1408م واتسع نفوذهم حتى بلغ بغداد، ثم تمكنت قبائل تركمانية أخرى "آق قوينلو" (الخراف البيضاء) من هزيمتهم والاستيلاء على الإقليم الغربي من إيران، بينما كان التيموريون يحكمون الإقليم الشرقي منها حتى سنة 911هـ.

وظلت إيران في هذا الاضطراب حتى تمكنت قبائل تركية تسمى "القزلباشية" (أصحاب القبعات الحمراء) من الانتصار على "الخراف البيضاء" ودخول تبريز سنة 906هـ/ 1500م تحت قيادة إسماعيل الصفوي، مؤسس الدولة الصفوية.


تفكك إيلخانية إيران إلى دويلات (736 هـ / 1335 م)
دولة تيمورلنك في أقصى اتساعها
خانيــــة المغــول الصيــــنية
خانيـــة مغـــول القفجـــاق
العثمانيون في عهد بـايزيد الأول
سـلطنة مصر والشام المملوكيـــة
الـدولـــة البـــيزنطيـــة
غزوات تيمــورلنك الخمس الكبرى
785 - 808 هـ/ 1383 - 1405م
قبل توليه العرش
بعد توليه العرش
حملات مغول القفجاق ضد تيمور
خط سير الجيش العثماني
المقياس: 1: 20.700.000
خانية بركة بن باشو (مغول القفجاق)
المغـــــول
بــلاد الصـين
(إيلخانية قوبيلاي خان)
مملكة المجر
بلاد البشناق
مولدافيا
ولاشيا
بلغاريا
الصرب
البحر الأسود
الدولة البزنطية
القسطنطينية
سينوب
طربزون
خانية القرم
بلاد القبق (القوقاز)
بلاد الكرج
العثمانيون
أنقرة
أزمير
قونية
قيصرية
ملطية
دياربكر
أنطاليا
أضنة
أنطاكية
كريت
قبرص
حلب
حماة
بيروت
دمشق
القدس
غزة
الإسكندرية
القاهرة
بحر الروم
سلطنة مصر والشام المملوكية
الجزيرة
أذربيجان
شروان
دربند
تبريز
آل جوبان
أردبيل
مراغة
زنجان
سلطانية
همذان
الجلائريون
بغداد
العراق
الأهواز
خوزستان
البصرة
كازرون
شيراز
كرمان
فارس
آل مظفر
دولة آل مظفر
قم
كاشان
أصفهان
آل سربدار
نيسابور
جرجان
خوارزم
بحيرة خوارزم
ما وراء النهر
الشاش
سمرقند
بخارى
آل أرغون شاه
مرو
ترمذ
خراسان
هراة
آل كرت
قندهار
ملوك سجستان
كاشغر
كشمير
بيشاور
لاهور
ملتان
دهلي
الهند
أحمد أباد
حيدر أباد
مدار السرطان
بحر العرب
الخليج العربي
البحرين
عُمان
خليج عُمان
جزيرة العرب
المدينة
جدة
مكة
بحر القلزم
بلاد السودان
30°
40°
50°
60°
70°
80°
20°

الفنون المغولية

ظهر هولاكو وخلفاؤه كرعاة عظام للفن وكانوا جادين ناجحين في عنايتهم بقيادة بلدانهم إلى عهد جديد من الازدهار الثقافي. وتملّك تيمورلنك طموحُه إلى التمدين فلم يدعه يستريح قبل أن يجعل عاصمته "سمرقند" أفخم وأعظم عاصمة في الشرق.

مباني القبور:

استُبقي نموذج البرج في المنشآت السلجوقية في مبدأ الأمر كما كان في ذلك الحين.

ويُلحظ في الأضرحة ذات القباب تحول جديد إلى العمارة التذكارية، يتبيّنه المرء على خير وجه في ضريح "أولغايتو خوده بنده" (1304-1316م) في "سلطانية" التي أسسها وأقام فيها فترة من الزمان.

وقد أصبحت سمرقند بفضل مدافن "شاه زنده" مدينة فريدة من مدائن الأموات في العالم، فقد دفن فيها عديدون من أعضاء أسرة الفاتح العالمي الذي يضم رفاته وهو بمنأى عنها أفخم ضريح في هذه الأضرحة، وقد شيد بين 1490 و1504م.

المسجد والمدرسة والمبنى المدني:

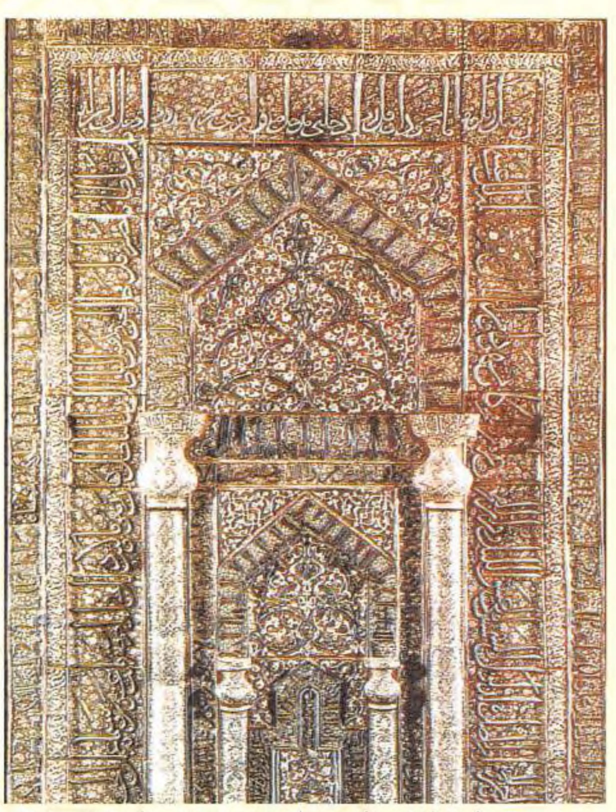
إن الطراز الذي دخل إيران في عهد السلاجقة، كما يمثله "مسجد الجمعة" في أصفهان ظل قائماً فيها في عهد المغول يحل في كل مكان محل ما كان لا يزال باقياً من المباني ذات الصحن والطابع القديم كمسجد "فيرامين" (1322م). وفي سمرقند شيد تيمور مسجداً كبيراً لصلاة الجمعة، كان يقوم وفق الأوصاف المحفوظة على أعمدة حجرية وله أربع مآذن في الأركان. أما المسجد الأزرق الذي كان قائماً في تبريز بالضبط، والذي شيد في أواسط القرن الخامس عشر، فلم يبق منه سوى أطلال.

ولم يطرأ على المدرسة في عهد الهولاكيين تغيير يُذكر، وقد شيدت في أواسط القرن الرابع عشر ببغداد مدرسة المرجانية، ويُرى من حول صحنها قاعات للدرس ومساكن ومصلى ومدفن. وقد علا شأن المعهد في العصر التيموري ونهض نهضة جديدة، بيد أنه مما يدعو إلى الأسف أن النماذج التي تمثل هذا العهد لم يصل إلينا منها إلا القليل، ومعظم هذا القليل قد لحقه الدمار. أما المدرستان الأخريان - مدرستا الفقه اللتان تحيطان، هما وواجهة المدخل بميدان رجستان الرائع - فتاريخهما متأخر لكنهما كانتا ما تزالان محافظتين على تقليد الفترة المغولية الذي كان قائماً في تركستان أيضاً على صور متعددة - هاتان المدرستان هما مدرسة "شيردار" التي شيدت عام 1610م، ويشبه تخطيطها تخطيط مدرسة "خرجرد"، ثم مدرسة "يقللا قاري".

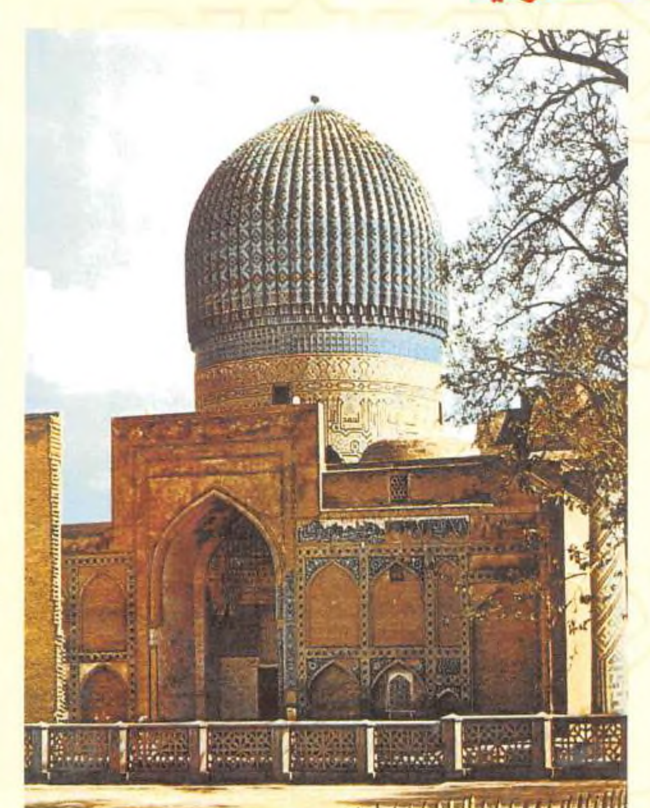
زخرفة البناء:

كانت عملية فسيفساء الطوب والجص المعروفة لنا في "نخجوان" و"قونية" ما تزال تستخدم على سبيل المثال في "سلطانية"، وقد حل محلها في العهد التيموري على وجه عام فسيفساء القاشاني التي بلغت غاية الإتقان، والتي تبدي أروع أمثلتها في "جورامير" ومساجد "مشهد"، وقبل كل شيء في الجامع الأزرق بتبريز. وكان التأثير الذي يصاحب عمليات التحلية مهماً جداً فيما يتعلق بمقرنصات إيوانات الأبواب والمحاريب وغيرها، وهو موضوع كان يزداد ظهوراً على مر الأيام. وقد أدى في إيران إذ ذاك (في مصلى جامع "جوهر شاد" بمشهد على سبيل المثال) إلى قبوات حجرات غنية بالمقرنصات من ذلك النوع الذي كمله طراز الفن المغربي بقصر الحمراء في القرن الرابع عشر. وفي العهد الخاني وحده استعملت في الواقع محاريب ذات بريق معدني وبلاطات لها هذا البريق، ويمكننا أن نتتبع في الدور الخاصة كذلك التغشية بالبريق المعدني حتى نهاية القرن الرابع عشر فقط. أما في العهد التيموري فيلوح أنه قد عُدل عنها، وإن كان قد استعيض عنها تدريجاً بالبلاط المتعدد الألوان.

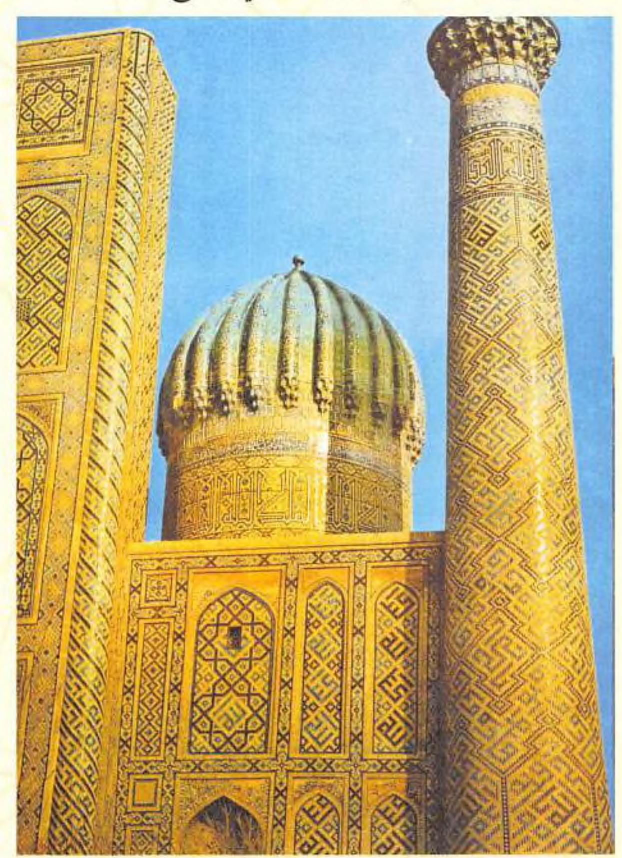
من آثار الإيلخانات المغولية



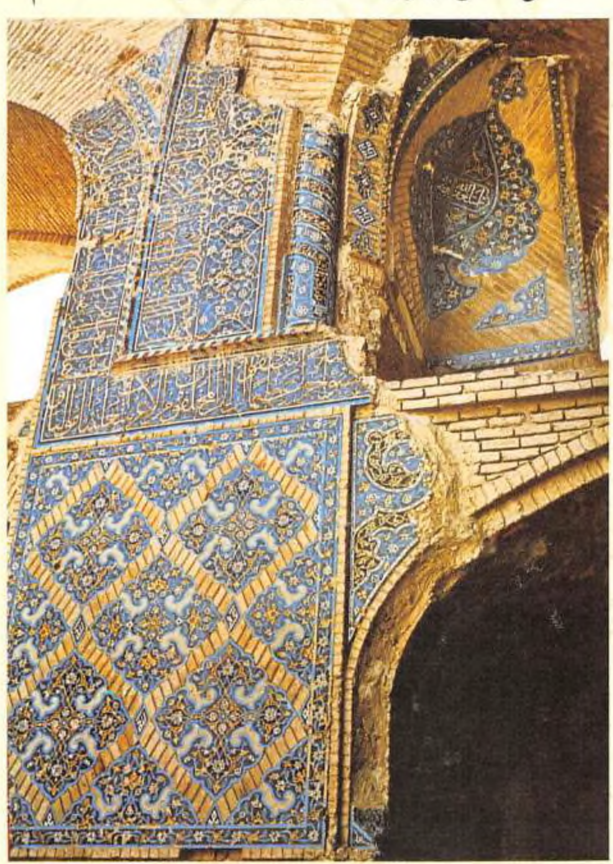
محراب من البلاط ذي البريق المعدني بجامع الميدان بقاشان



مدخل مدفن تيمورلنك (غورامير) سمرقند - 1404م

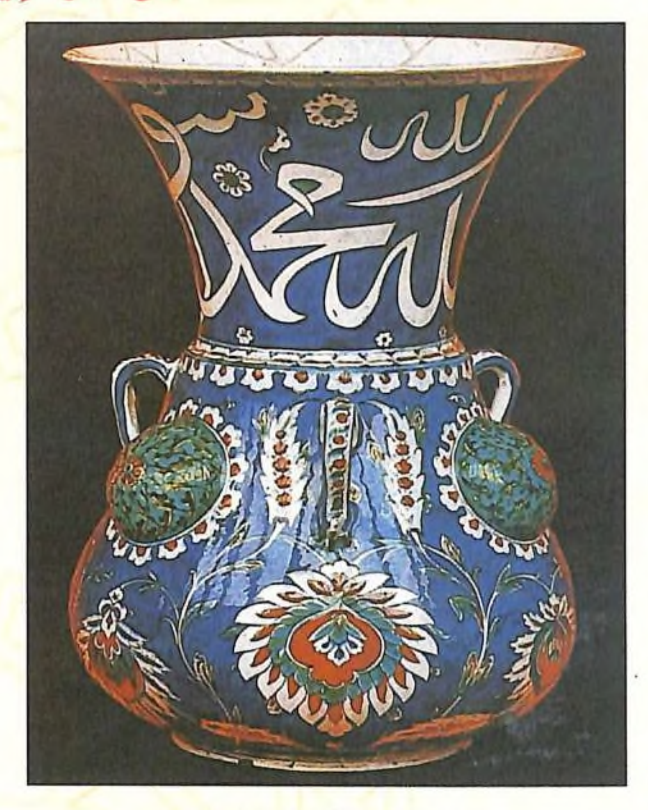


"بيبي هانم" مدخل مدفن والدة تيمورلنك
سمرقند 1399- 1404م



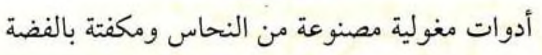
أطلال زخرفة الحرم في المسجد الأزرق
- تبريز - 1465م

من آثار الإيلخانات المغولية



مزهرية من الخزف القاشاني





أدوات مغولية مصنوعة من النحاس ومكفتة بالفضة



آنية ذات رقبة طويلة وفتحتها على هيئة كوب
مزخرفة ومذهبة - إيلخانة إيران - القرن 7 هـ



إناء من الخزف الميناثي من بخارى

القِسمُ الثّاني

عَصرُ الدَّولَةِ العُثمانيّةِ

العلاقات العثمانية - المملوكية *

من الطبيعي أن تتأزم العلاقات بين السلطنة المملوكية والإمبراطورية العثمانية بسبب متاخمة أراضيهما وبسبب صراعهما على النفوذ، خاصة وأن السلطنة المملوكية كانت في مرحلة الانحطاط، بينما الإمبراطورية العثمانية كانت في طريقها إلى الأوج، وتطمع بزعامة العالم الإسلامي، شأن الدول الإسلامية الكبرى. وقد وجدت عدة مناسبات للاحتكاك ثم الاصطدام بين العثمانيين والمماليك في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر.

1- الصراع على النفوذ في منطقة (ألبستان):

تركز الصراع على النفوذ بين المماليك والعثمانيين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر في منطقة ألبستان (Albistan) على الفرات الأعلى بين مرعش وملاطية، وسميت المنطقة بذلك نسبة لمدينة فيها تحمل نفس الاسم. وقد احتلها الصليبيون ثم الدانشماند، المتمركزون في سيواس، ثم سلاجقة الروم المتمركزون في قونية. وفي الفترة بين 738 - 740هـ/ 337 1-1339 م أصبحت ألبستان عاصمة إمارة ذي القدر، وهي سلالة تركمانية حكمت حتى928هـ/1522م. وقد احتل تيمور هذه الإمارة في سنة 1400 م، كما أن السلطان العثماني محمد الأول تزوج من ابنة أميرها.

وفي عهد حاكم ألبستان: ملك أرسلان (858 - 870هـ/ 454 1- 1465م) تهددت هذه الإمارة من قبل أوزون حسن (حسن الطويل)، حاكم إمارة الحمل الأبيض .(Aq Qoyunlu) وفي سنة 870هـ /1465م اغتيل ملك أرسلان بتآمر أخيه شاه بداق، الذي كان يؤيده السلطان المملوكي خوش قدم، والذي احتل مكانه. ولكن أخاً لشاه بداق يسمى شاه سوار، استطاع طرده واستلام الحكم بمساعدة السلطان العثماني محمد الثاني. وحين قوي شاه سوار رفض حماية العثمانيين له، مما مكن المماليك من مهاجمته وأسره وقتله في سنة 877هـ/1472م، وأعيد شاه بداق إلى الحكم. ولكن العثمانيين أيدوا أخاً آخر لشاه بداق يدعى علاء الدولة، الذي تزوجت ابنته من السلطان العثماني بايزيد الثاني، وولدت له سليماً الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم الأول. وفي عام 884هـ/1479م استطاع علاء الدولة أن يطرد شاه بداق من الحكم.

وفي الفترة بين 890 -896هـ/ 1485 -1492م، حين حدثت اصطدامات مسلحة بين العثمانيين والمماليك، مال علاء الدولة إلى المماليك، فحاول العثمانيون طرده، ولكنه - بازدياد ضعف المماليك، استطاع التفاهم مع العثمانيين، وبقي يحكم إلى أن دخل في نزاع مع الشاه إسماعيل الصفوي، الذي هاجم ألبستان في 913هـ /1507م وأخضعها لنفوذه.

وعندما توجه السلطان العثماني سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوي في 1514م لم يساعده علاء الدولة، حاكم ألبستان، فطرده بعد عودته ووضع مكانه علياً ابن شاه سوار. وشاع في دمشق في جمادى الأولى 921هـ/حزيران - تموز1515م، أن السلطان سليماً قتل علاء الدولة. وقد اشترك علي مع العثمانيين في معركة مرج دابق في 1516م، ولكنه أثار فيما بعد حسد فرهاد باشا، القائد العثماني أثناء قمع ثورة جان بردي الغزالي في دمشق، وقتل هو وأسرته في 928هـ/1522م وأصبحت إمارته ولاية عثمانية مركزها مرعش.

2- ثورة الأمير "جم"، ولجوؤه إلى المماليك:

- و"جم" هو ابن السلطان العثماني محمد الثاني، وقد عُين حاكماً على سنجق قسطموني (شمال شرقي الأناضول)، ثم ذهب إلى أدرنة لحمايتها، حين كان السلطان محمد الثاني منشغلاً في القتال مع أوزون حسن. وحين انقطعت لفترة أخبار محمد الثاني عن

* بلاد الشام ومصر لعبد الكريم رافق 43- 50 بتصرف وإيجاز.

"جم" أقنعه مستشاروه في 878هـ /1473م بالبيعة له مكان أبيه، ولكن حين عاد محمد الثاني قتل مستشاري "جـــم".

ويدل هذا الحادث على أن "جم" كانت تحدثه نفسه بالسلطنة، متجاوزاً بذلك أسبقية أخيه الأكبر بـيازيد، وبالفعل بقي يعمل في هذا الاتجاه. وقد عين "جم" في 1474 حاكماً على ولاية كرمان، وكان قرماني محمد باشا، الصدر الأعظم في الفترة بـين 1476-1481، مقرباً إلى "جم"، في حين أن بيازيد كان يعارض سياسة القرماني، وخاصة إجراءاته المالية.

وعندما توفي الســلطان محمد الثاني في 13 أيار 1481 تجمع أعداءا الصدر الأعظم، القرماني، فعزلوه وجعلوا بيازيد سلطاناً في إستانبول ولكن "جم" توجه إلى "بروسه" وأعلنت الخطبة له فيها وضربـت النقـود باسمه كسلطان. وقد رفض بيازيد اقتراح "جم" باقتسام السلطنة، وهزم "جم" في موقعة ينيشهر (Yenishehir) في 0 2 حزيران 1481م، وهرب إلى قونية ومنها إلى طرسوس التي كانت تحت نفوذ المماليك. وانتقل الأمير "جم" في السنة ذاتها إلى حلب فدمشق، التي دخلها في 22 جمادى الأولى886هـ/19 تموز 1481م، ثم سافر منها في 3 رجب /28 آب، متوجهاً إلى مصر، حيث رحب به السلطان المملوكي قايتباي. وقد حـج الأمير "جم" في تلك السنة ليعرّف المسلمين كما يبدو بقضيته. وبعد أن ترك الأمير "جم" في مصر أمه وولده، جهزه السـلطان قايتبـاي بـالعتاد ضد بـيازيد. وفي 7 ربـيع الأول887 /26 نيسان 1482 خرج الأمير "جم" من دمشق باتجاه حلب فالأناضول حيث فشل في القـتال ضد بـيازيد مرة أخرى. وكان دعم السـلطان قايتبـاي للأمير سببـاً هاماً في تأزم العلاقــات العثمانية - المملوكية، التي انتهت بعد توتر دام ثلاث سنوات زال في نهايتها خطر الأمير "جم" باصطدامات مسلحة بين الطرفين.

طلب بيازيد من أخيه "جم" العيش في القدس لقاء تقديم ما يحتاجه من مال، إلا أن "جم" عقد اتفاقاً مع رئيس فرسان القديس يوحنا في رودس ليساعده في العبور إلى روميلية لمتابعة الثورة ضد بـيازيد. وقـد اتصل رئيس الفرسـان بالبابـا طالبـاً مسـاعدته لتأييد "جم"، وذلك لتحطيم الدولة العثمانية، ولكن السلطان بيازيد عقـد اتفاقاً مع رئيس الفرسان تنازل بيازيد بموجبه عن بعض الامتيازات لقـاء احـتجاز "جم" في رودس، وبـالفعل خدع رئيس الفرسان "جم" بأن أعلمه بأنه سينقله بطريق فرانسا إلى هنغاريا لمتابعة الثورة منها، ولكنه احتجزه مدة سبـع سـنوات بـدأت في 877هـ/1482م. وقـد توسط السلطان قايتباي وملك هنغاريا لإنقاذ "جم" دون جدوى. وفي سـنة 894هـ/ 1489م نقــل "جم" إلى رومة، وأرسل بيازيد وفداً إلى البابا لاحـترام الاتفاق الذي عقده مع رئيس الفرسان، وقد حاول أيضاً ملك فرنسا نقل "جم" إليه ليسـاوم عليه، ولكن "جم" توفي في نابولي في سنة 900هـ/ 1495م.

وهكذا نرى كيف أن المســاعدة التي قـــدمها المماليك للثائر "جم" قد أفسدت العلاقة بينهم وبـين العثمانيين. ولكن سوء العلاقة هذا بجانب الصراع على النفوذ في إمارة ألبستان قد أضيف إليه عنصر ثالث أدى بـصورة غير مباشـرة إلى ازدياد تأزم العلاقـات بــين المماليك والعثمانيين.

3 - قـــيام الإمارات التركمانية وأثر ذلك في العلاقات بين العثمانيين والمماليك:

- شهدت منطقة جنوب شرقي الأناضول، منذ معركة ملازكرد في 462هـ 1070م تجمع قبائل تركمانية تمكن بــعضها أحــياناً من تشــكيل إمارات فيها مثل إمارة ألبستان، أو دعم إمارات غازية مثل إمارة الدانشماند، وكان هذا - بـالإضافة إلى طبـيعة المنطقـة الهضبـية المتوسطة الموقع بين سهوب آسية وغربي الأناضول وروميلية البعيدة نسبياً عن سيطرة مراكز المدن الكبرى- مشجعاً للتركمان على اللجوء إليها.

وفي منتصف القرن الرابع عشـر شـكلت القبـائل

التركمانية المتجمعة في ديار بكر إمارتين عرفتا بالحمل الأبيض(Aq Qoyunlu) ، وكانت منطقة نفوذها في ديار بكر، والحمل الأسود (Qara Qoyunlu) وكانت منطقة نفوذها شمالي بحيرة وان (Van) ، وربما كانت التسمية نسبة لتربية الحملان أو نسبة لطوطم خاص بهذه القبائل. وكانت هاتان الإمارتان على نزاع مع بعضهما، وزاد في حدة ذلك أن إمارة الحمل الأبيض كانت سنية بينما كانت إمارة الحمل الأسود شيعية.

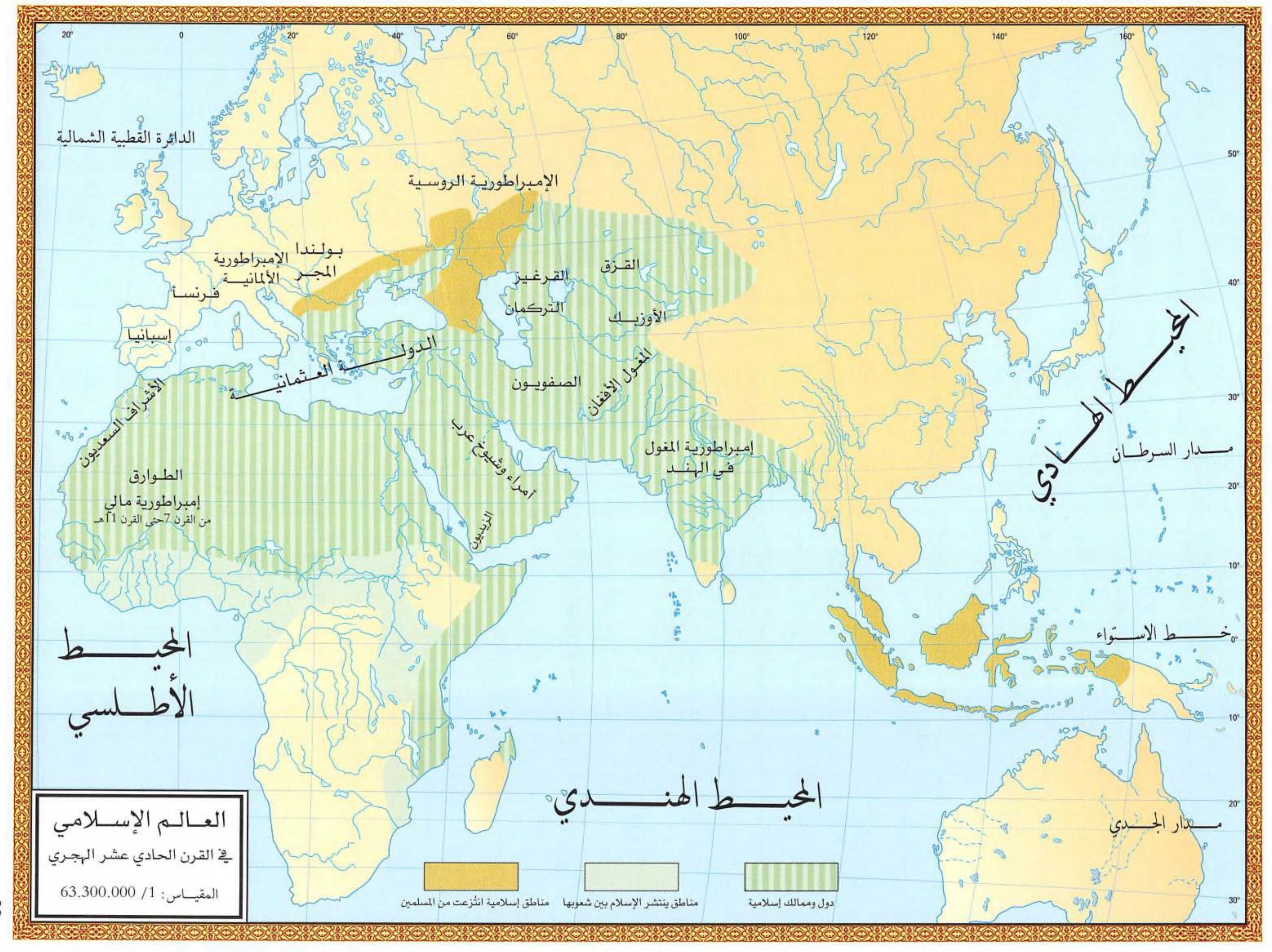
كان مؤسس إمارة الحمل الأبيض يدعى قره يولاق عثمان، وقد تغلب على زعيم إمارة الحمل الأسود قره محمد حوالي عام 1389م، كما تغلب على برهان الدين حاكم سيواس العثماني حوالي سنة 1397م. وبمجيء تيمور في أوائل القرن الخامس عشر وقف إلى جانبه قره يولاق عثمان، واشترك معه في معركة أنقرة سنة 1402م، فكافأه تيمور بإعطائه حكم منطقة ديار بكر. ولكن قره يولاق عثمان لم يستطع بعد موت تيمور إثبات نفوذه في وجه منافسيه أمراء الحمل الأسود، وبقي الأمر كذلك حتى موته في 1435م. ثم تلت ذلك فترة من الصراع بين أبناء قره يولاق عثمان إلى أن ظهر أوزون حسن (حسن الطويل)، وقد حكم في الفترة بين 871-882هـ/1466- 1478م، ورفع من شأن إمارة الحمل الأبيض.

انتصر أوزون حسن في سنة 1467 على شاه جيهان، آخر حاكم من إمارة الحمل الأسود، وبذلك ازدادت سلطته كثيراً وامتدت على أرمينية الكبرى وشمالي العراق وجزء من فارس، مما أوقعه في نزاع مع العثمانيين. وكان هؤلاء آنذاك يحاولون -بعد أن توطدت فتوحاتهم في البلقان- الاستيلاء على ما بقي من الإمارات المسلمة في الأناضول، مما اضطر أمراء كرمان المهددين أن يتفقوا مع جارهم في الشرق أوزون حسن. وقد أخذ العثمانيون يخشون أوزون حسن، لأنه كأمير تركماني سني باستطاعته تهديد سلطتهم المدنية والدينية في منطقة حدودهم الجنوبية الشرقية حيث يسكن كثير من التركمان، كما خشوا احتمال اتفاقه مع المماليك ضدهم.

وحدثت عدة اصطدامات بين جيش السلطان العثماني محمد الثاني وجيش أوزون حسن في عامي 1472 و 1473م، وقد هَزَم العثمانيون، في موقعة قرب الفرات جيش أوزون حسن في آب 1473م. وكانت البنادق التي استخدمها الجيش العثماني حاسمة في القتال ضد فرسان الأمير التركماني أوزون حسن، وفي هذا درس بليغ للمماليك. ولم يتابع السلطان العثماني هجومه على أراضي إمارة أوزون حسن فسلمت، ولكن هزيمة أوزون حسن كانت ضربة معنوية له جعلته يطلب النجدة من الدول الأوربية. وليس من المماليك، لأنه كان بالنظر إلى موقع إمارته وإلى توسع سلطته، يعتبر خطراً بالنسبة للمماليك والعثمانيين على حد سواء.

توفي أوزون حسن في رمضان 882 كانون الثاني 1478م، فخلفه ابنه يعقوب الذي حكم حتى عام 896هـ/1490م دون حدوث أزمات كبرى في عهده، وقد حاول التقرب من المماليك، ولم يهدد ممتلكات العثمانيين الذين شغلوا في عهده بثورة "جم"، وبالصراع على النفوذ مع المماليك في إمارة ألبستان.

ثم دبّ النزاع بين أبناء يعقوب بعد وفاته، واستغل ذلك الصفويون الذين بدأوا بتقويض حكم إمارة الحمل الأبيض السنية بواسطة دعاياتهم الشيعية بين قبائل التركمان. وفي عام 1502 تغلب الشاه إسماعيل الصفوي على إمارة الحمل الأبيض في معركة شرور، فانتقل مركز حكم هذه الإمارة إلى ماردين، وساعدت فيما بعد العثمانيين ضد الصفويين، وقُتل آخر أمرائها في حوالي 921هـ/1503م.



العالم الإسلامي
في القرن الحادي عشر الهجري
المقياس: 1/ 63.300.000
الدائرة القطبية الشمالية
الإمبراطورية الروسية
بولندا
المجر
الإمبراطورية الألمانية
فرنسا
إسبانيا
الدولة العثمانية
الأشراف السعديون
الطوارق
إمبراطورية مالي
من القرن 7 حتى القرن 11هـ
القزق
القرغيز
التركمان
الأوزبك
المغول الأفغان
الصفويون
أمراء وشيوخ عرب
الزيديون
إمبراطورية المغول في الهند
المحيط الهادي
مدار السرطان
خط الاستواء
مدار الجدي
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
دول وممالك إسلامية
مناطق ينتشر الإسلام بين شعوبها
مناطق إسلامية انتُزعت من المسلمين

الصفويـون

907-1148هـ/1502-1736م

إيران من المغول إلى الصفويـين:

عندما اشتدت الفتن بين أبناء تيمورلنك وأحفاده استغلت الفرصة قبائل "قره قوينلو" (سلالة الخراف السوداء) التركمانية واستولت على أذربيجان سنة 815هـ/ 1408م واتسع نفوذهم حتى بلغ بغداد، ثم تمكنت قبائل تركمانية أخرى "آق قوينلو" (الخراف البيضاء) من هزيمتهم والاستيلاء على الإقليم الغربي من إيران، بينما كان التيموريون يحكمون الإقليم الشرقي منها حتى سنة 911هـ.

وظلت إيران في هذا الاضطراب حتى تمكنت قبائل تركية تسمى "القزلباشية" (أصحاب القبعات الحمراء) من الانتصار على "الخراف البيضاء" ودخول تبريز سنة 906هـ/ 1500م تحت قيادة إسماعيل الصفوي، مؤسس الدولة الصفوية.

كان في إيران شيخ متصوف تقي زاهد اسمه صفي الدين الأردبيلي (650- 735هـ/ 1252-1334م)، وكان محترماً من الملوك والوجهاء، حتى إن تيمورلنك المتجبر كان يستجيب لمطالبه، وعندما اضطربت الأوضاع في إيران والعراق بعد موت "شاه رخ" كان لأحفاد الشيخ صفي الدين مشاركة في الأحداث السياسية، حتى آلت رياسة الأسرة إلى "إسماعيل" وهو الابن الثالث لحيدر حفيد الشيخ، فاستطاع تحقيق النصر لأسرته وأتباعه، وتأسيس الدولة الصفوية سنة 907هـ/ 1502م، واتخذ تبريز عاصمة له.

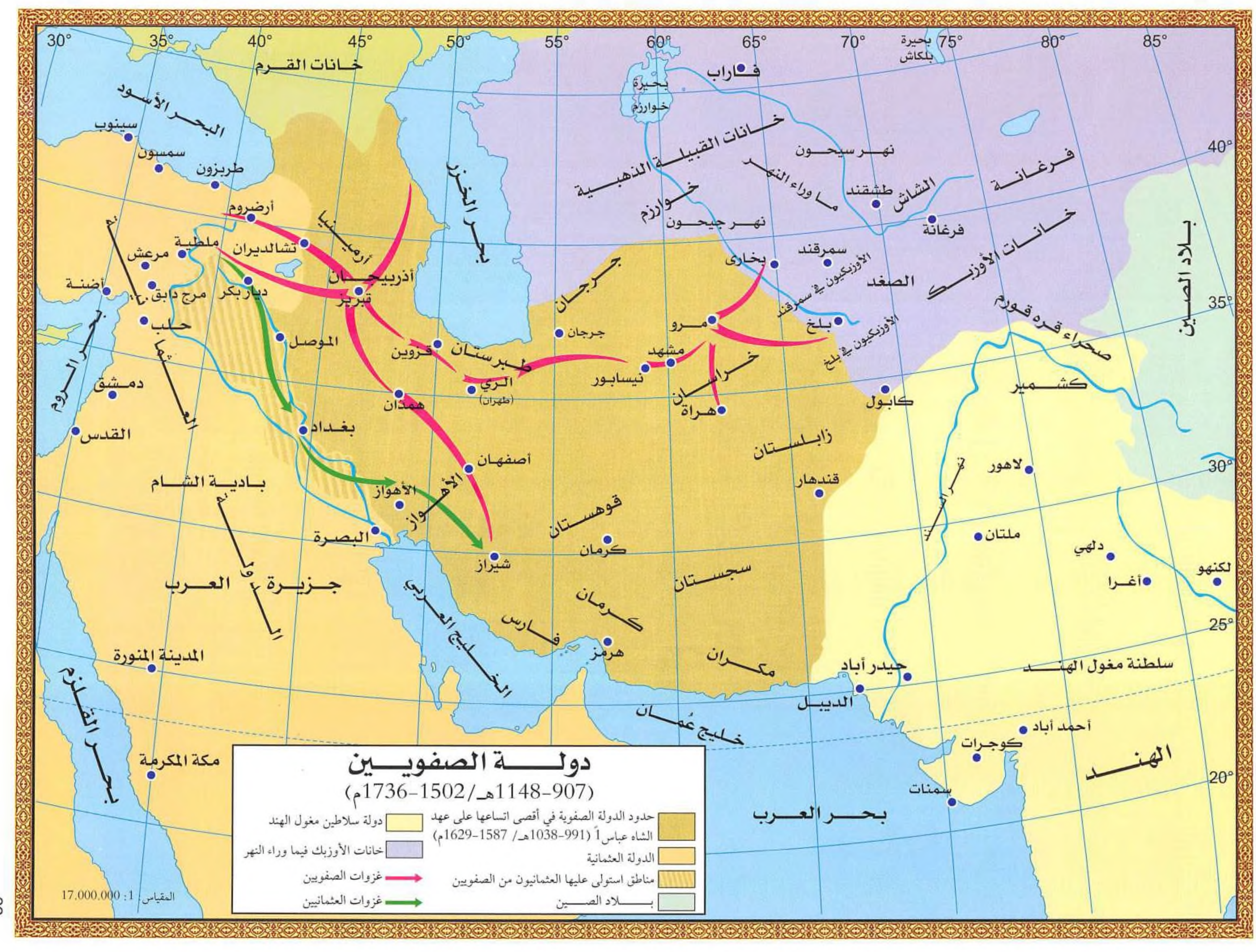
كانت إيران قبل الصفويين خاضعة للمغول لعدة قرون، وكان هؤلاء وثنيين، وربما اعتنق بعضهم النصرانية، أو دخل الإسلام، دون أن يتشبع بروحه وحضارته، وغلب التشيع على من أسلم من حكام المغول، أما الشعب فكان حائراً ضعضعته الأحداث والقلاقل، فلما جاء الصفويون ووقفوا أمام العثمانيين وجهاً لوجه، أعلنوا تشيعهم ليكوّنوا جبهة في مواجهة العثمانيين، ويبدو أن السياسة كانت من أهم العوامل التي دفعت الصفويين إلى إعلان تشيع إيران، لأنها كانت محاصرة من جبهتين "سنيتين": الهند والأتراك في الشرق، والعثمانيين والمماليك في مصر والشام والحجاز، حتى لقد قيل: إن الضغط الخارجي على إيران كان عاملاً قوياً في توحيد أجزائها وإخلاص أهلها للملوك الصفويين وللمذهب الشيعي.



نماذج من العملات الذهبية التي سكها الصفويون

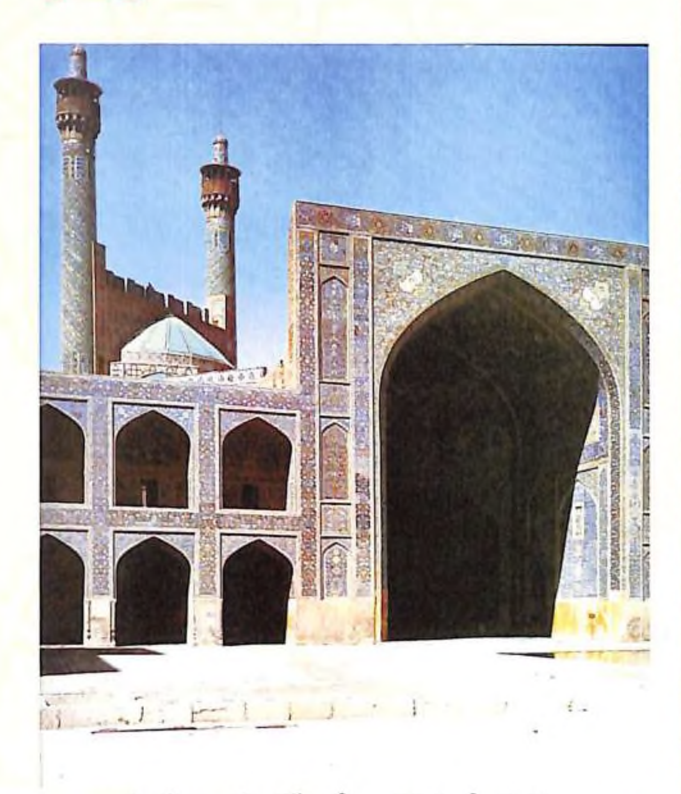
سلسلة حكام الدولة الصفوية

الشاه إسماعيل الأول 907-930هـ/1501-1523م
طهماسب الأول 930-984هـ/ 1523-1576م
إسماعيل الثاني 984- 985هـ/ 1576- 1577م
محمد خدا بنده 985- 995هـ/ 1577- 1586م
الشاه عباس الأول 995- 1037هـ/1586-1627م
صفي الأول 1037- 1052هـ/ 1627- 1642م
عباس الثاني 1052- 1077هـ/ 1642- 1666م
صفي الثاني 1077- 1105هـ/ 1666- 1693م (وقد جلس على العرش باسم سليمان الأول)
سلطان حسين 1105- 1135هـ/ 1693- 1722م
طهماسب الثاني 1135-1144هـ/ 1722-1731م
عباس الثالث 1144-1148هـ/ 1731- 1735م

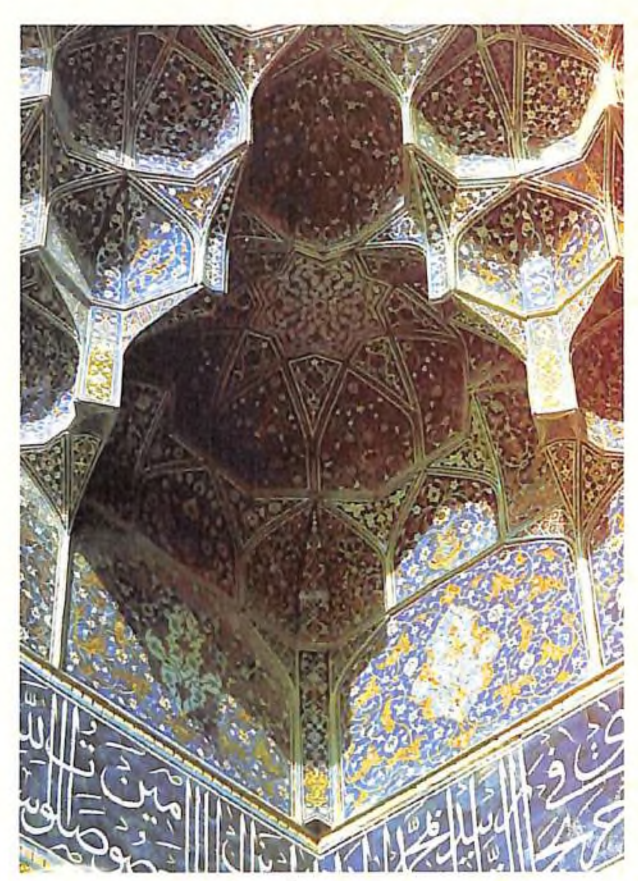


دولـــــة الصفويـــين
(907-1148هـ/1502-1736م)
حدود الدولة الصفوية في أقصى اتساعها على عهد الشاه عباس الأول (991-1038هـ/ 1587-1629م)
الدولة العثمانية
مناطق استولى عليها العثمانيون من الصفويين
بـــلاد الصـــين
دولة سلاطين مغول الهند
خانات الأوزبك فيما وراء النهر
غزوات الصفويين
غزوات العثمانيين
المقياس 1 : 17.000.000
خانات القرم
البحر الأسود
بحر الخزر
خانات القبيلة الذهبية
ما وراء النهر
خوارزم
بحيرة خوارزم
بحيرة بلكاش
فاراب
نهر سيحون
نهر جيحون
فرغانة
خانات الأوزبك
الشاش
طشقند
سمرقند
بخارى
الصغد
الأوزبكيون في سمرقند
الأوزبكيون في بلخ
بلخ
مرو
صحراء قره قورم
بلاد الصين
سينوب
سمسون
طربزون
أرضروم
أرمينيا
تشالديران
ملطية
مرعش
أضنة
مرج دابق
ديار بكر
أذربيجان
تبريز
حلب
الموصل
قزوين
طبرستان
جرجان
مشهد
نيسابور
خراسان
هراة
الري
(طهران)
همذان
بغداد
بحر الروم
دمشق
القدس
أصفهان
الأهواز
كابول
كشمير
زابلستان
قندهار
لاهور
بادية الشام
البصرة
شيراز
قوهستان
كرمان
سجستان
ملتان
دلهي
لكنهو
أغرا
جزيرة العرب
الخليج العربي
فارس
هرمز
مكران
سلطنة مغول الهند
حيدر أباد
الديبل
خليج عُمان
أحمد أباد
كوجرات
الهند
المدينة المنورة
مكة المكرمة
بحر القلزم
سمنات
بحر العرب

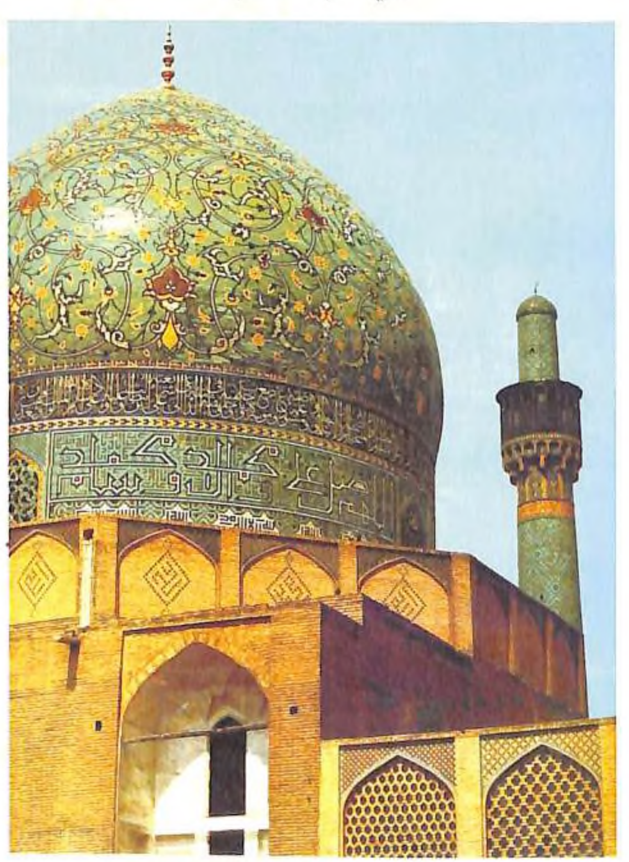
من آثار العهد الصفوي



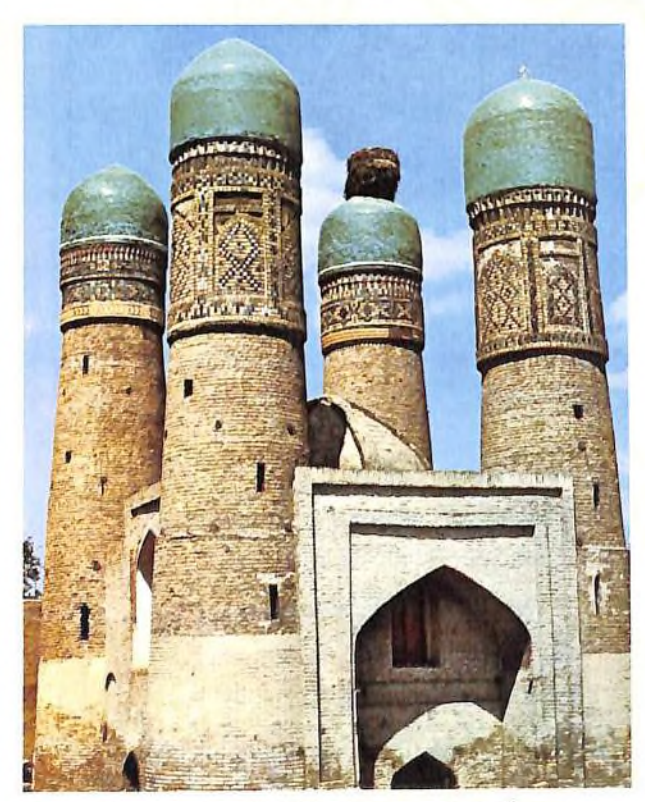
مسجد الشاه بأصفهان من أهم آثار العصر الصفوي
بني عام 1611م



تفصيل من مسجد أصفهان

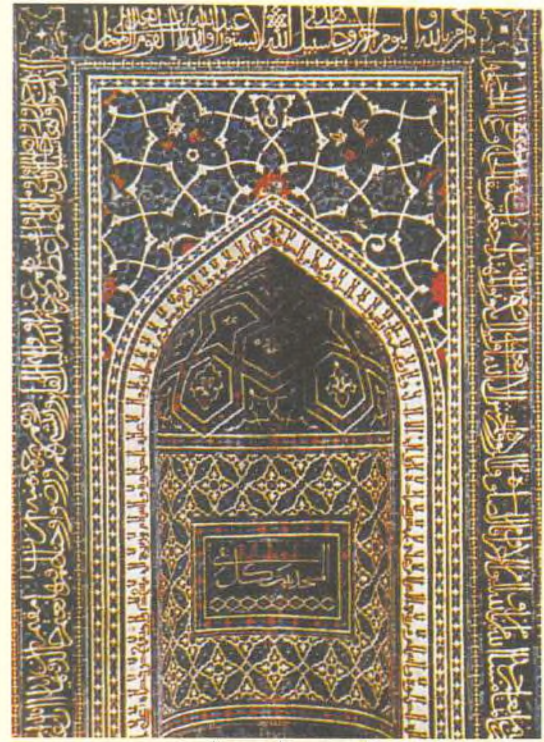


مدرسة بسمرقند بنيت عام 1646م في العهد الصفوي



مدرسة في أصفهان بنيت عام 1704م على عهد الصفويين

من آثار العهد الصفوي



محراب من العهد الصفوي



السجادة البولونية، ظهرت في عهد الشاه عباس الصفوي وعُرفت بذلك نسبة إلى النسر البولوني الذي كان يُرسَم عليها، وقد اشتهرت حتى ظهرت قطع مماثلة في أكثر بلاطات أوربا، وتبين أنها جُلبت من "فارس" بواسطة السفراء، حيث كانت إيران تصنع منتجات منها خاصة لتُهدى إلى بعض ملوك وأباطرة الغرب.



يرجع الفضل للشاه عباس الكبير في التوصية والتوجيه في تصميم مدينة أصفهان لتكون مقراً حديثاً للحكم، وقد كان من جملة ما شيد فيها إقامة جسور على النهر غاية في روعة البناء، بصفوف حناياها المؤلفة من طبقتين، وعلى رأسها ووسطها بنايتان غاية في الفخامة لا تزال قائمة إلى اليوم.

العثمانيون

من الإمارة إلى الإمبراطورية*

كان للعثمانيين إمارة من إمارات الغزاة في الأناضول، اندفعت أمام موجات المغول القادمة من تركستان إلى الأناضول في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد، وكان يقود قبيلة "الأوغوز"، التي ينتسب العثمانيون إليها، "أرطغرل بن سليمان" حيث أقطعهم السلطان علاء الدين السلجوقي منطقة في الشمال الغربي من الأناضول مقابل العاصمة البيزنطية القسطنطينية، مما أعطاها شهرة على الإمارات التركية الأخرى في الأناضول.

وقد أعلن عثمان بن أرطغرل استقلال إمارته بعد انهيار دولة سلاجقة الروم. ولهذا يعد هو المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، وله ينتسب العثمانيون، وقد اكتسب شهرة بعد محاصرته نيقية عاصمة البيزنطيين عام 1301م. وفي عهد أورخان بن عثمان تمكن العثمانيون من احتلال بورصة ونيقية (1326 و1331م)، كما وضع أورخان قدمه في أرض بيزنطة الأوربية عام 1345م، وحافظ عليها وتقدم فيها نحو أوربا، وتمكن مراد الأول بن أورخان من احتلال أدرنة ونقل العاصمة العثمانية إليها. كما تمكن هو وأحفاده من احتلال البلقان وصد هجمات أوروبية متعددة مثل معركة نيقوبوليس في بلغاريا عام 1396م، حيث تسمى السلطان بايزيد الأول بعدها (بالصاعقة)، وبالرغم من هزيمة بايزيد الأول أمام تيمورلنك عام 1402م في معركة أنقرة، فقد أعاد ابنه محمد الأول توحيد الدولة وتابع سيرة أجداده هو ومن أتى بعده بالتقدم في البلقان، حتى تمكن مراد الثاني من محاصرة القسطنطينية، كما أحرز انتصاراً ساحقاً في معركة فارنه عام 1444م أمام القوى المسيحية الأوربية المتحالفة، وهزم المجريين في معركة قوصوه عام 1448م. وعندما تولى ابنه محمد الثاني (الفاتح)، كانت الإمبراطورية البيزنطية مقتصرة على القسطنطينية وبعض الأراضي المجاورة، وتمكن محمد الثاني من فتحها وضمها إلى دولته عام 1453م وجعلها عاصمة لها. ثم تابع فاحتل أجزاء من أوربا، كما ضم كل منطقة الأناضول وشواطئ البحر الأسود، وبهذا وصلت الدولة العثمانية إلى أقصى اتساع لها، لم تتجاوزه إلا في فترة حكم سليمان القانوني 1525 - 1566م.

لم يقم بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بدور أبيه، وعانى مشاكل داخلية مع أخيه ثم ابنه سليم على السلطة، حتى استولى سليم على السلطة بعد خلع والده عام 1512م. وأخذ يستعد للقيام بدور خطير في الدولة العثمانية وهو الاستيلاء على البلاد العربية، على عكس أجداده الذين كانوا يفتحون أوربا البلقانية والبيزنطية.

أسباب الفتح العثماني للبلاد العربية:

* التشبع من أوربا:

وصل العثمانيون في تقدمهم في أوربا إلى دول وإمبراطوريات عريقة وقوية كالمجر والنمسا. ولكن في عهد سليمان القانوني بن سليم الأول، بدأ عهد الدفاع العثماني عن هذه الأراضي بدلاً من الهجوم. بحيث وصلت الدولة العثمانية من أوربا إلى حد الإشباع.

* الصراع ضد الصفويين:

وإذا كان التشبع من أوربا يعد سبباً أولياً فإن أسباباً أخرى جذبت العثمانيين إلى الشرق، وأهمها الصراع الذي قام بينهم وبين الصفويين الشيعة في إيران من أجل تزعم المنطقة. والدولة الصفوية تنتسب إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (1252- 1334م)، وكان زاهداً متصوفاً بين قبائل التركمان، وفي القرن الخامس عشر تمكن حفيده إسماعيل الصفوي (1487 - 1524م) من الاستيلاء على إيران، وإنشاء الدولة الصفوية بعد التفاف التركمان حوله، إذ كان يحظى بينهم بالتعظيم والتقديس. وأخذ ينشر الدعاة للمذهب الشيعي، وكان قسم كبير من التركمان الذين اتبعوا هذا المذهب يعيشون

* تاريخ العرب الحديث د. علي سلطان 15- 46 بتصرف وإيجاز.

في الأناضول الشرقـي الخاضع للدولة العثمانية، مما خلق تماساً مباشراً بين الطرفين.

وثمة سبب مهم آخر، تمثل في علاقة التحالف التي قامت بين البرتغاليين الذين احتلوا هرمز عام 1507م وبين الشاه إسماعيل ضد الدولة العثمانية. وهذا السبب جعل المماليك يبتعدون عن محالفة إسماعيل ويتحالفون مع السلطان سليم عام 1513م، مما جعله يركز كل قواته على جبهة القتال ضد إسماعيل بعد أن اطمأن إلى موقف المماليك.

حشد سليم جيشاً كثيفا من (140) ألف مقاتل يستخدمون الرصاص (البندق)، وترافقهم المدفعية. حيث تقدم نحو تبريز لإجبار إسماعيل على خوض المعركة، التي وقعت في سهل جالديران عام 1514م، في (23 آب، أغسطس) وانتصر فيها سليم انتصاراً ساحقاً بفضل قوة النيران، واحتل تبريز، وذكر اسمه في خطبة الجمعة. أما إسماعيل فقد فر من المعركه بعد جرحه، وتفرق جنده عنه، ثم ضم سليم إلى دولته ولايتي ديار بكر وكردستان، ونقل آلافاً من الحرفيين والتجار والعلماء من تبريز إلى القسطنطينية.

ورغم ذلك لم يقض سليم نهائياً على الصفويين بسبب الشتاء البارد ونقص التموين وصعوبة المسالك الجبلية، لذلك تراجع إلى "قره باغ" في القوقاز على أمل العودة للهجوم في السنة التالية. ولكن موت آلاف الرجال من جيشه جعله يؤجل ذلك ليتعامل مع قضايا أخرى، كالمماليك، والتمرد في شرق الأناضول.

* الصراع ضد المماليك، فتح الشام ومصر:

بالرغم من أن المماليك لم يشعروا كثيراً بقيام الدولة العثمانية، لكنهم أحسوا حقيقة وجودها منذ أن أصبحت قوة دخلت البحر المتوسط، والمماليك قوة فيه، كما أن إمارة ألبستان أو (ذي القدر) كانت نقطة التماسّ البري بينهما في أعالي دولة المماليك في بلاد الشام، حيث كان كل من الدولتين يؤيد أميراً تركمانياً فيها. لكن يمكن لنا أن نميز علاقات تحالف وصداقة طوراً وعلاقة نزاع وعداوة طوراً آخر. فقد واجه الطرفان خطراً واحداً من المغول قادماً من الشرق، ثم من البرتغال قادماً من الغرب، ولولا هزيمة بايزيد الأولى على يد تيمورلنك في معركة أنقرة عام 1402م لكان قد تم التحالف بين الطرفين. وظهرت فكرة التحالف من جديد عندما هدد البرتغاليون دولة المماليك فساعدها بايزيد الثاني بإمدادها بالخشب اللازم لصناعة السفن وبالمدافع والبارود، كما اشتركت السفن العثمانية مع المملوكية في معركة ضد سفن فرسان القديس يوحنا قريباً من مياه الإسكندرية عام1510م. وكانت مظاهر الصداقة تتجلى في الأفراح والاحتفالات التي كانت تقام في القاهرة بمناسبة الانتصارات العثمانية في البلقان، وخاصة فتح القسطنطينية، حيث احتفل السلطان المملوكي "إينال" بذلك رسمياً. وكان احتلال إسماعيل الصفوي لإمارة القدر (ألبستان) عام 1507م قد جعل العثمانيين والمماليك يشعرون بالخطر المشترك الشيعي مما قارب بينهما وإن لم يصل إلى حد التحالف النهائي.

إلا أن الذي فجر الموقف بين الطرفين إنما هو الحرب بين العثمانيين والصفويين، حيث كان موقف قانصوه الغوري السلطان المملوكي أقرب إلى موقف المتفرج، وهو ما أغاظ السلطان سليم، لأنه كان يعتقد أن الغوري -كونه سلطان دولة سنية- كان عليه أن يقف حليفاً له ويدعمه في حربه، إلا أن الغوري كان يخشى زيادة قوة العثمانيين لو انتصروا على الصفويين، كما أنه لم يرجح التحالف مع الصفويين لإضعاف العثمانيين، بسبب الخلاف المذهبي.

في طريق عودته من تبريز إلى القسطنطينية، احتل سليم إمارة ذي القدر، فجمع قانصوه الغوري كل جيوشه وأمواله وخزائنه، وتقدم إلى حلب في شمال سورية صيف 1516م. وتبادل الغوري وسليم الرسائل وأهان كل منهما رسل الآخر. والذي حدد مصير المعركة قبل أن تبدأ، هو خيانة بعض زعماء المماليك كخاير بك والي حلب، وجان بردي الغزالي والي حماة، اللذان

كانا يراسلان سليماً ويحضانه على حرب الغوري مقابل مناصب وأموال كما جاء في أغلب الروايات.

وفي 23 آب أغسطس 1516م حدثت المعركة عند مرج دابق، وفي البداية أحرز المماليك بعض التقدم، ثم انسحب خاير بـك وجان بـردي الغزالي من الميمنة والميسرة، كما دكت مدفعية العثمانيين جيش الغوري فاختل، وعندما عزم الغوري على الهجوم علم أن الدائرة دارت عليه. وأمام الخيانة المفجعة، طلب كأساً من ماء، فشربَ منه قليلاً، وسقط ميتاً، وهكذا انهارت دولة المماليك في طرفة عين.

تابع سليم إلى حلب، وكان يرافقه الخليفة العباسي المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المستمسك بالله، الذي كان بصحبة الغوري. ودخل سليم حلب، وخُطب له في 3 أيلول -سبتمبر- 1516م في صلاة الجمعة، ولُقِّب بخادم الحرمين الشريفين. وتابع سليم فاحتل حماه وحمص ودخل دمشق، حيث هرب المماليك الآخرون. وفي دمشق استقبله الزعماء ورجال الدين، وأرضى السكان بإلغاء الإجراءات الجديدة الخاصة بفرض الضرائب عليهم، ووزع المال على العلماء وزار قبر محي الدين بن عربي في الصالحية، ووزع المال على أهلها وعلى رجال الصوفية. ودهش أهل دمشق لمنظر المدفعية وهي تطلق نيرانها في الاحتفال، فظنوا أن السماء انطبقت على الأرض. وكان سليم يحاول كسب الشعب، فأمامه معركة في مصر.

بعد انتصارات سليم على الصفويين والمماليك، لم يكن متحمساً كثيراً في تلك الأثناء لاحتلال مصر، بسبب بعدها عن قواعده واجتيازه صحراء سيناء، وخوفه من عودة إسماعيل الصفوي إلى محاربته من جديد. وكان المماليك في مصر قد ولوا طومان باي سلطاناً على مصر، وكان زاهداً فيها كما كان محبوباً من الجميع، لكن الظروف وضعته في الموقف الصعب. وعندما عرض عليه سليم حكم مصر باسمه على أن يذكر اسمه في الخطبة ويسكه على النقود، رفض طومان باي، فتوجه السلطان سليم إلى مصر، وأرسل أمامه الخليفة العباسي كي يضفي بنشاطه بين المصريين صفة الشرعية على أعمال السلطان سليم. كما كان أبوه المستمسك يقوم بالمهمة نفسها لصالح طومان باي والمماليك.

وفي 23 كانون الثاني - يناير- 1517م وصل الجيش العثماني إلى مصر وهزم المماليك في معركة الريدانية، ثم دخل القاهرة وخُطب للسلطان سليم في جوامعها. وحدثت معارك عنيفة في الشوارع بين طومان باي وسليم، وانتقل طومان باي إلى الجيزة، فتبعه الجيش العثماني حتى تمكن منه، وأمر السلطان سليم بشنقه، فعبر به الشوارع إلى باب زويلة، حيث تم تنفيذ حكم الإعدام فيه. وانطوت الصفحة الأخيرة من تاريخ دولة المماليك بكل ما فيها من مجد ودفاع عن مصر والشام أمام المغول والصليبيين، وبكل ما حملت من شقاء وتعاسة.

قصة انتقال الخلافة إلى سلاطين العثمانيين:

بعد احتلال سليم للقاهرة ومصر، وردت البعثات إليه من العالم الاسلامي، وكان منها بعثة شريف مكة بركات بن محمد الذي أرسل ابنه "أبا نمي" حاملاً للسلطان سليم مفاتيح الكعبة. وبذلك أصبح سليم هو الحامي الحقيقي للأماكن المقدسة الإسلامية في مكة والمدينة، والمسؤول عن إرسال الكسوة للكعبة كوارث للمماليك. كما أرسل سليم قوة للجزائر. وبذلك غدا أعظم حاكم مسلم، وهذا يجعله أَولى الحكام المسلمين بمنصب الخليفة؛ ولكن لا يوجد أي إثبات تاريخي على أن "الخليفة العباسي" المتوكل تنازل لسليم عن الخلافة، ولم يذكر ذلك أي من المؤرخين للدولة العثمانية، مع أن بعضهم كابن إياس كان يورد في تاريخه أدق التفاصيل عما كان يحدث بين سليم والمتوكل. كما لم يرد ذكر لذلك في رسائل السلطان سليم لابنه سليمان، الذي كان يخبره بكل أعماله . ولو أن ذلك حدث لأثار جدالاً فقهياً في مسألة نقل الخلافة من العرب إلى العثمانيين.


اتساع الدولة العثمانية
اتساع الدولة العثمانية حتى عام 1520 م
اتساع الدولة العثمانية حتى عام 1566 م
اتساع الدولة العثمانية حتى عام 1683 م
مناطق تابعة للسيادة العثمانية
أقصى اتساع للدولة العثمانية
خطوط اتساع الدولة العثمانية
خطوط امبراطورية النمسا والمجر
محاولات روسية للهجوم على أراض عثمانية
المقياس: 1 : 26.000.000
المحيط الأطلسي
إنجلترا
لندن
مملكة فرنسا
باريس
المملكة الألمانية
فيينا
البندقية
ميلان
جنوة
روما
إسبانيا
البرتغال
مدريد
برشلونة
الجزائر الشرقية
سردينيا
مملكة الصقليتين
صقلية
مالطة
شلب
قادش
مالقا
طنجة
مليلة
وهران
تطوان
وجدة
تلمسان
المتيجة
بليدة
الجزائر
لقنت
عنابة
بنزرت
تونس
سوسة
إيالة الجزائر
إيالة تونس
إيالة طرابلس
المملكة الشريفية
طرابلس
بني غازي
درنة
الإسكندرية
القاهرة
ولاية مصر
البحر المتوسط
بولندا
لتوانيا
روسيا
قبائل آق قيون لو
القوزاق
القرغيز
استراخان
خانات استراخان
بحيرة آرال
ملدافيا
البغدان
ولاشيا
(الأفلاق)
المجر
بودابست
ترانسلفانيا
بلغراد
بلاد البلغار
قوصوة
صوفيا
أدرنة
استانبول
المورة
البحر الأسود
سينوب
سمسون
طربزون
قسطمونى
أنقرة
كوتاهية
قونية
أزمير
مرسين
أضنة
ملطية
مرج دابق
أنطاليا
رودس
قبرص
قطاكية
حلب
الموصل
بلاد الشركس
بلاد الكرج
تفليس
أذربيجان
تبريز
بحر قزوين
طهران
همذان
قم
دولة الصفويين
بغداد
العراق
البصرة
عبدان
شيراز
الخليج العربي
الشام
حماة
حمص
دمشق
بانياس
طرابلس
بيروت
صيدا
حيفا
القدس
غزة
أيلة
القلزم
نجد
الحجاز
المدينة المنورة
مكة المكرمة
جدة
بلاد العرب
البحر الأحمر
النوبة
بلاد السودان
مصوع
الحبشة
اليمن
صنعاء
عدن
خليج عدن
حضرموت
الربع الخالي
عمان
خط الاستواء



سلسلة سلاطين العثمانيين

(أولاً) - دور القوة

سليمان

أرطغرل

1- (عثمان الأول)
680- 725هـ/ 1281-1324م

2- (أورخان)
725- 763هـ/ 1324-1360م

3- (مراد الأول)
763- 792هـ/ 1359-1389م

4- (بايزيد يلدرم - الصاعقة)
792- 806هـ/ 1389-1402م

فترة خلافات بين أولاد بايزيد ونفوذ أجنبي (مغول)
816- 825هـ/ 1413-1421م

(سليمان) 1403-1410م
5- (محمد الأول) 1403م
(موسى) 1403-1413م

ثم انتهى سلطان المغول وانفرد محمد الأول بالسلطة من
816- 825هـ/ 1413-1421م

6- (مراد الثاني)
825-855هـ/ 1421-1451م

7- (محمد الثاني - الفاتح)
855-886هـ/ 1451-1481م

8- (بايزيد الثاني)
886-918هـ/ 1481-1512م

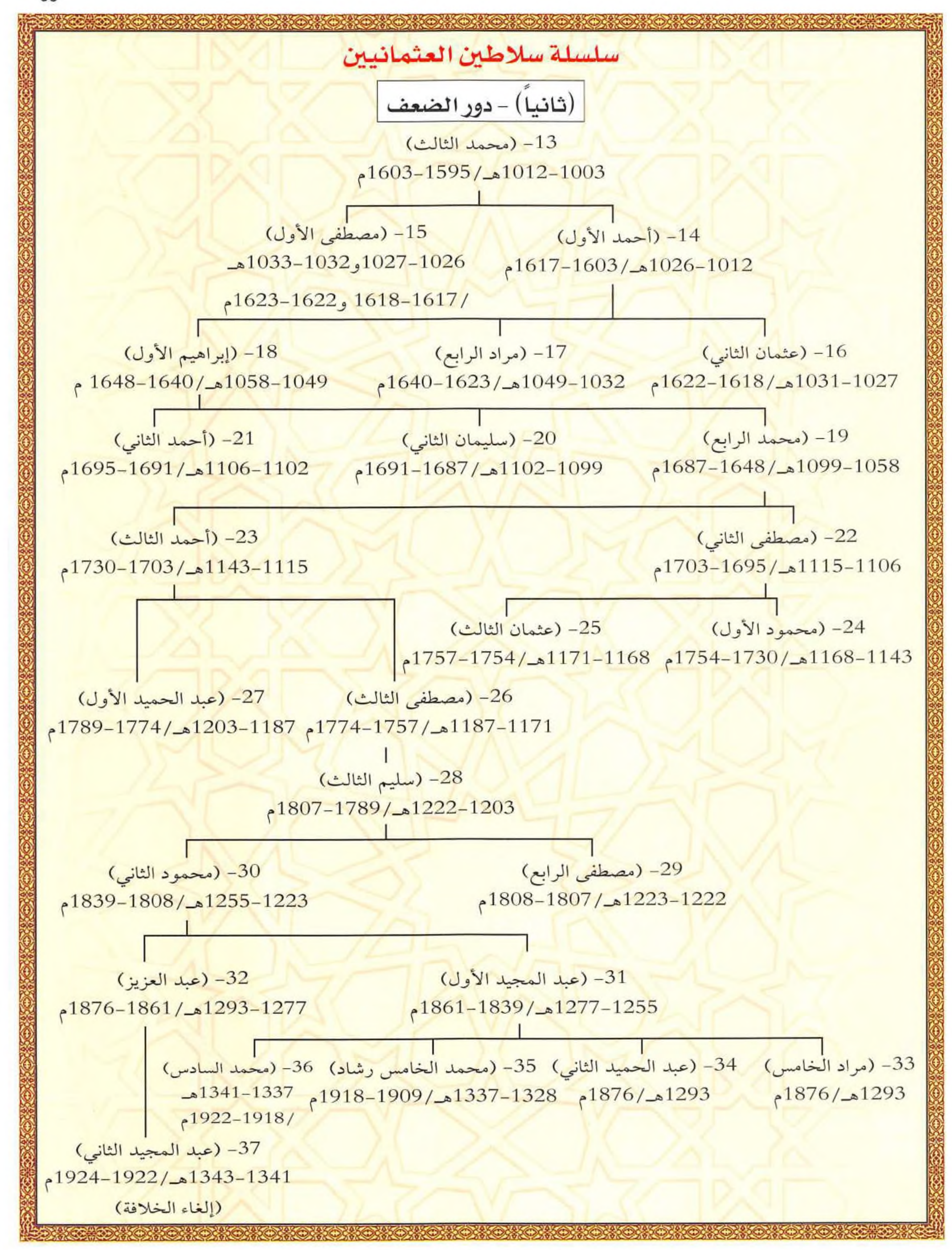
بعد مناوشات استمرت سبعة أعوام ضد أخيه الأصغر (جم) الذي كان أبوه ولاه العهد.

9- (سليم الأول)
918-926هـ/ 1512-1520م

10- (سليمان الأول- القانوني)
926-974هـ/ 1520-1566م

11- (سليم الثاني)
974-982هـ/ 1566-1574م

12- (مراد الثالث)
982-1003هـ/ 1574-1595م



سلسلة سلاطين العثمانيين
(ثانياً) - دور الضعف
13- (محمد الثالث)
1003-1012هـ/1595-1603م
14- (أحمد الأول)
1012-1026هـ/1603-1617م
15- (مصطفى الأول)
1026-1027و1032-1033هـ
/1617-1618 و1622-1623م
16- (عثمان الثاني)
1027-1031هـ/1618-1622م
17- (مراد الرابع)
1032-1049هـ/1623-1640م
18- (إبراهيم الأول)
1049-1058هـ/1640-1648 م
19- (محمد الرابع)
1058-1099هـ/1648-1687م
20- (سليمان الثاني)
1099-1102هـ/1687-1691م
21- (أحمد الثاني)
1102-1106هـ/1691-1695م
22- (مصطفى الثاني)
1106-1115هـ/1695-1703م
23- (أحمد الثالث)
1115-1143هـ/1703-1730م
24- (محمود الأول)
1143-1168هـ/1730-1754م
25- (عثمان الثالث)
1168-1171هـ/1754-1757م
26- (مصطفى الثالث)
1171-1187هـ/1757-1774م
27- (عبد الحميد الأول)
1187-1203هـ/1774-1789م
28- (سليم الثالث)
1203-1222هـ/1789-1807م
29- (مصطفى الرابع)
1222-1223هـ/1807-1808م
30- (محمود الثاني)
1223-1255هـ/1808-1839م
31- (عبد المجيد الأول)
1255-1277هـ/1839-1861م
32- (عبد العزيز)
1277-1293هـ/1861-1876م
33- (مراد الخامس)
1293هـ/1876م
34- (عبد الحميد الثاني)
1293هـ/1876م
35- (محمد الخامس رشاد)
1328-1337هـ/1909-1918م
36- (محمد السادس)
1337-1341هـ
/1918-1922م
37- (عبد المجيد الثاني)
1341-1343هـ/1922-1924م
(إلغاء الخلافة)



1- (عثمان الأول)
680-725هـ/1281-1324م
2- (أورخان)
725-763هـ/1324-1360م
4- (بايزيد يلدرم - الصاعقة)
792-806هـ/1389-1402م
5- (محمد الأول)
816-825هـ/1413-1421م
6- (مراد الثاني)
825-855هـ/1421-1451م
7- (محمد الثاني - الفاتح)
855-886هـ/1451-1481م
8- (بايزيد الثاني)
886-918هـ/1481-1512م
9- (سليم الأول)
918-926هـ/1512-1520م
10- (سليمان الأول- القانوني)
926-974هـ/1520-1566م
11- (سليم الثاني)
974-982هـ/1566-1574م
12- (مراد الثالث)
982-1003هـ/1574-1595م
13- (محمد الثالث)
1003-1012هـ/1595-1603م
15- (مصطفى الأول)
1026-1027 و1032-1033هـ
/1617-1618 و1622-1623م
16- (عثمان الثاني)
1027-1031هـ/1618-1622م
17- (مراد الرابع)
1032-1049هـ/1623-1640م
18- (إبراهيم الأول)
1049-1058هـ/1640-1648 م


19- (محمد الرابع)
1058-1099هـ/1648-1687م
21- (أحمد الثاني)
1102-1106هـ/1691-1695م
22- (مصطفى الثاني)
1106-1115هـ/1695-1703م
23- (أحمد الثالث)
1115-1143هـ/1703-1730م
24- (محمود الأول)
1143-1168هـ/1730-1754م
25- (عثمان الثالث)
1168-1171هـ/1754-1757م
26- (مصطفى الثالث)
1171-1187هـ/1757-1774م
28- (سليم الثالث)
1203-1222هـ/1789-1807م
29- (مصطفى الرابع)
1222-1223هـ/1807-1808م
30- (محمود الثاني)
1223-1255هـ/1808-1839م
31- (عبد المجيد الأول)
1255-1277هـ/1839-1861م
32- (عبد العزيز)
1277-1293هـ/1861-1876م
34- (عبد الحميد الثاني)
1293-1328هـ/1876-1909م
35- (محمد الخامس رشاد)
1328-1337هـ/1909-1918م
36- (محمد السادس)
1337-1341هـ/1918-1922م

إستانبول (القسطنطينية)

تاريخ العاصمة العثمانية

أول نشأة لإستانبول كانت على أطلال مدينة صغيرة تسمى بيزنطة تقع على مضيق البوسفور. وفي عام 330م استولى عليها الإمبراطور قسطنطين الأول نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز، وأقام حولها سوراً حصيناً، وأعلنها عاصمة له فنسبت إليه، وعرفت بالقسطنطينية. وبقيت أكثر من ألف عام عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية وخط دفاعها الحصين.

وفي العصور الإسلامية جرت عدة محاولات لفتحها، كانت أولاها على عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفان، سنة 34هـ/654م وكانت قيادة هذه الحملة لأمير الشام معاوية بن أبي سفيان. وقد حالت أسوار القسطنطينية الحصينة دون تمكن المسلمين من فتحها، ثم تكررت المحاولة عندما آل الحكم إلى معاوية، وفي هذه الحملة توفي الصحابي "أبو أيوب الأنصاري" ودفن عند أسوارها. ثم كانت محاولة ثالثة في عهد سليمان بن عبد الملك. وبقيت القسطنطينية منيعة على محاولات الفتح إلى عهد العثمانيين، الذين قاموا بعدة محاولات لم تُكلل بالنجاح، حتى كان عهد السلطان العثماني السابع محمد الثاني بن مراد الثاني، الذي سار إليها بجيش عدته أكثر من مئتي ألف، مدعومين بالمدفعية الثقيلة، وكان في مقدمة الجيش الشيوخ والعلماء وكبار رجال الدولة يتقدمهم السلطان. وتحت وابل من النيران والسهام اقتحم الجنود أسوار المدينة، وتدفقت جموعهم إليها كالسيل الجارف، ودخلها السلطان محمد الثاني فاتحاً في يوم الثلاثاء 20 من جمادى الأولى 857هـ/ 29 من مايو 1453م. وقد لقب من يومها "بالفاتح"، حتى غلب اللقب على اسمه، فصار لا يعرف إلا به. ولما دخل المدينة ترجل عن فرسه، وسجد لله شكراً، ثم توجه إلى كنيسة آيا صوفيا وأمر بتحويلها إلى مسجد، وأمر بإقامة مسجد في موضع قبر أبي أيوب الأنصاري.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية، وأطلق عليها اسم (إسلام بول) أي دار الإسلام، وقد أظهر السلطان محمد الفاتح تسامحاً عالياً في معاملته لسكان المدينة، فمنح المسيحيين حرية كاملة في ممارسة عباداتهم، بل إنه أوكل إليهم الفصل في القضايا الخاصة بهم، وأمر بانتخاب بطريرك لهم، وسمح لليونانيين الذين غادروا المدينة أثناء الحصار بالعودة.

وغدت إستانبول في عهد السلطان محمد الفاتح درة الشرق، واستمر الاهتمام بها بصفتها العاصمة الجديدة والمركز الحضاري والفكري الأول في العالم الإسلامي، بفضل تنافس السلاطين العثمانيين على تعميرها، وجلب أمهر الصناع والفنيين إليها من مختلف أنحاء البلاد. ولما انتقلت الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين أصبحت إستانبول عاصمة الخلافة الإسلامية.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، قام الحلفاء باحتلال إستانبول في الفترة من عام 1337هـ / 1918م إلى عام 1341هـ / 1922م، ثم قام مصطفى كمال أتاتورك بنقل العاصمة من إستانبول إلى أنقرة، لينهي بذلك خمسة قرون كانت فيها إستانبول عاصمة الخلافة العثمانية.

المعالم الحضارية: القصور: تميزت إستانبول منذ إنشائها بكثرة قصورها، ففي خلال فترة الحكم العثماني كان قصر "طوب قابي" الذي أقامه السلطان محمد الفاتح مقراً للحكم، واستمر كذلك لسلاطين آل عثمان لفترات طويلة. إذ كان مقر سكنهم. وإليه كانت تفد البعثات الدبلوماسية الأجنبية، لمقابلة السلاطين، إذ كانت إستانبول العاصمة الدبلوماسية على غرار باريس ولندن، ومقر السفراء الأجانب، في حين كانت بقية الولايات العثمانية مقراً للقناصل

الأجانب، والقصر محاط بالأسوار والحصون وتبلغ المساحة الواقعة داخل الأسوار حوالي (700000) م2، وتضم القصور والمكاتب والمساجد والمكتبة والمتاحف والمطابخ، وقد استمر بناء هذا القصر حوالي عشرة أعوام امتدت إلى عام 882هـ/ 1478م، وله سبعة أبواب أهمها "باب همايون". وحول "قصر طوبقابي" انتشرت مجموعة كبيرة من القصور تطل على البسفور، وهي قصور الصدر الأعظم والوزراء وقادة العسكر. وفيها "قصر يلدز" الذي يطل على ربوة عالية تحيطه الحدائق الخضراء.

البيمارستانات "المشافي": ظهرت أولى البيمارستانات في إستانبول في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حيث أقيمت ثلاثة بيمارستانات كبيرة. فأنشئت "بيمارخانة خاصكي" عام 946هـ / 1539م. وظلت تعمل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. كما أقيمت "دار شفاء سليمان ومدرسته الطبية" عام 963هـ / 1555م، وفي عام 991هـ / 1583م أقيمت "بيمارخانة طوب طاشي" التي استخدمت كمستشفى حتى 1345هـ/ 1927م. وفي عام 1025هـ / 1616م عمل أحمد الأول على إقامة مستشفى كبير خلف ميدان سباق الخيل البيزنطي القديم قرب مسجده المشهور.

كما أقيمت مستشفيات عسكرية أخرى ومدارس طبية. لتفي بالحاجات الطبية للجيش. وفي عام 1243هـ / 1827م. أقيمت مدرسة جديدة للطب والجراحة في إستانبول. وفي عام 1316هـ / 1898م أنشأ السلطان عبد الحميد "مستشفى شيشلي" للأطفال، الذي كان من أكبر المشافي في إستانبول. وقد بلغ ما أقيم فيها على مدى خمسة قرون ما يقرب من سبعين مستشفى.

المساجد: تشتهر إستانبول بكثرة مساجدها التي بلغ عددها حوالي 500 مسجد، وهي في غالبيتها مساجد تاريخية وأثرية منها: جامع السلطان أحمد بإستانبول، الذي يعد آية من آيات فن العمارة الإسلامية؛ إذ يمثل طرازاً فريداً بين المساجد، ومنها مسجد الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي أمر بتشييده محمد الفاتح في نفس السنة التي تم فيها فتح إستانبول. وكذلك مسجد السليمانية الذي تفوق في بنائه وتصميمه على "آيا صوفيا"، حيث يمتاز بسعته وارتفاعه وتفرده بمجموعة من المآذن التي بلغت حد الروعة في جمالها وتناسقها، وقد أقامه المعماري الشهير سنان باشا.(*) ثم هناك متحف آيا صوفيا بلونه البرتقالي وطرازه البيزنطي ومآذنه الأربع. وآيا صوفيا قبل الفتح العثماني كان كنيسة ترجع للعصر البيزنطي، بناها جستنيان الأول عام 537م من الآجر، وبها قبة يبلغ ارتفاع قمتها عن الأرض ستين متراً تقريباً، يتخللها أربعون نافذة مرتبة وفق نظام هندسي بديع، وقد حاول الإمبراطور قسطنطين الدفاع عنها وعن عاصمته، غير أن السلطان محمد الفاتح استطاع السيطرة على العاصمة، والبدء بأسلمة معالمها ومنها هذه الكنيسة التي أمر بتحويلها إلى مسجد.ولما أعلن أتاتورك جمهورية تركيا الحديثة، قام بتحويله إلى متحف وطني. ضم أهم المجموعات الإسلامية الأثرية، زيادة على مقتنيات من كافة أنحاء العالم الإسلامي وعرش فارس الذهبي.

الحمامات:اشتهرت الحمامات التركية خلال فترة الحكم العثماني حتى بلغ عدد الحمامات داخل إستانبول وحدها في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي حوالي (61) حماماً داخلياً و(51) حماماً خارجياً (عامّاً)، علاوة على الحمامات الخاصة الأخرى.

(*) سنان أو خوجه معمار سنان (904-986هـ/1489-1578م) أكبر مهندس معماري تركي، ولد في "قيصرية" من أب مسيحي، لُقب بـ "ميكيل أنجلو الأتراك"، أشرف على بناء المساجد والمدارس والترب والحمامات والخانات في إستانبول وغيرها من المدن، أهمها "جامع سليمان أو التكية السليمانية" بإستانبول. وقد غدت تصاميمه مدرسة في فن الهندسة المعمارية.


فتح القسطنطينية
على يد السلطان العثماني
محمد الثاني (الفاتح)
سنة 857هـ / 1453م
رسم جديد نقلاً عن إبراهيم حلمي الغوري
(القسم الأوربي من الدولة العثمانية)
تراقيا
الأسطول البيزنطي
مضيق البوسفور
خليج بشكطاش
الأسطول العثماني
قلعة روملّلي حصار
غلطة
الخلقدونة
السلسلة التي تغلق مدخل خليج القرن الذهبي
خليج القرن الذهبي
المنطقة التي تم نقل البواخر العثمانية عليها
من مضيق البوسفور إلى خليج القرن الذهبي
الخندق المحيط بالسور
الميناء
باب الميناء
باب أدرنة
باب السيرك
باب القديس رومانوس
باب كالجاريا
الباب الذهبي
القسطنطينية
بحر مرمرة
ميسرة الجيش العثماني المؤلفة من جنود
القسم الأوربي من الدولة العثمانية (تراقيا)
ومن المتطوعين غير النظاميين
بقيادة (قره جه)
قلب الجيش العثماني المؤلف
من الانكشاريين والمتطوعين
بقيادة السلطان
محمد الثاني (الفاتح)
ميمنة الجيش
العثماني المؤلفة
من جنود الأناضول
بقيادة (إسحق باشا)

فتح القسطنطينية

كان محمد الفاتح منذ فتوته يباشر بعض الأعمال السلطانية في حياة أبيه، ويعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، كما كان يعلم بالمحاولات العثمانية السابقة لفتح القسطنطينية، بل ويعلم بما سبقها من محاولات متكررة في العصور الإسلامية المختلفة، فلما ولي السلطنة العثمانية سنة 855هـ/1451م كان يتطلع إلى فتح القسطنطينية.

بذل السلطان محمد الثاني للتخطيط والترتيب لفتح القسطنطينية جهوداً كبيرة في إمداد الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون، كما عني بتدريبه على مختلف فنون القتال وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم لعملية الفتح المنتظرة، كما اعتنى بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً، وغرس فيهم روح الجهاد من خلال تذكيرهم بثناء الرسول (ص) على الجيش الذي يفتح القسطنطينية.

وأقام قلعة (روملي حصار) في الجانب الأوروبي على مضيق البوسفور في أضيق نقطة منه، مقابل القلعة التي أسست في عهد السلطان بايزيد في البر الآسيوي.

واعتنى السلطان عناية خاصة بجمع الأسلحة اللازمة لفتح القسطنطينية، ومن أهمها المدافع التي أخذت اهتماماً خاصاً منه حيث أحضر مهندساً مجرياً يدعى (أوربان) كان بارعاً في صناعة المدافع فأحسن استقباله، ووفر له جميع الإمكانيات المالية والمادية والبشرية، حتى تمكن من تصميم وتنفيذ العديد من المدافع الضخمة وأهمها المدفع السلطاني المشهور.

ويضاف إلى هذا الاستعداد ما بذله الفاتح من عناية خاصة بالأسطول العثماني، وقد ذكر أن السفن التي أعدت لهذا الأمر بلغت أكثر من أربعمائة سفينة.

من الناحية العسكرية تعد القسطنطينية من أفضل مدن العالم تحصيناً، لما عليها من الأسوار والقلاع والحصون إضافة إلى التحصينات الطبيعية، حيث كانت محاطة بالمياه من ثلاث جهات: مضيق البوسفور وبحر مرمرة والقرن الذهبي، ولذلك استعصت على عشرات المحاولات العسكرية لاقتحامها، ومنها إحدى عشرة محاولة إسلامية سابقة.

وكان من استكمال استعدادات الفتح تمهيد الطريق بين أدرنة والقسطنطينية لتصلح لجر المدافع العملاقة خلالها، وقد تحركت المدافع من أدرنة إلى قرب القسطنطينية في مدة شهرين، ووصلت الأجناد العثمانية إلى مشارف القسطنطينية يوم الخميس 26 ربيع الأول 857هـ /6 نيسان- أبريل 1453م، فجمع السلطان الجند وخطب فيهم خطبة حثهم فيها على طلب النصر أو الشهادة، وتلا عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك، كما ذكرهم بالأحاديث المبشرة بفتح القسطنطينية وما فيه من عز ومجد للإسلام والمسلمين.

في اليوم التالي قام السلطان بتوزيع جيشه البري أمام الأسوار الخارجية للمدينة، مشكّلاً ثلاثة أقسام رئيسية تمكنت من إحكام الحصار براً على مختلف الجبهات، كما أقام جيوشاً احتياطية خلف الجيوش الرئيسية، ونصب المدافع أمام الأسوار، كما وضع فرقاً للمراقبة، في حين انتشرت السفن في المياه المحيطة بالمدينة.

ومن جهة أخرى توالت المساعدات المسيحية من أوروبا لحماية القسطنطينية، فوصلت إمدادات من "جنوة" مكونة من خمس سفن يقودها القائد الجنوي جوستنيان، مع 700 مقاتل متطوع من دول أوروبية متعددة، مما أثر في رفع معنويات البيزنطيين.

في يوم 18 نيسان- إبريل تمكنت المدافع العثمانية من فتح ثغرة في الأسوار البيزنطية عند وادي ليكوس في الجزء الغربي من الأسوار، ولكن المدافعين عن المدينة بقيادة جستنيان استماتوا في الدفاع عن الثغرة والأسوار، وأصدر الفاتح أمره للمهاجمين بالانسحاب متحينين فرصة أخرى للهجوم.

ولاحت للسلطان فكرة بارعة وهي نقل السفن من مرساها في بشكطاش إلى القرن الذهبي، وذلك بجرها

على الطريق البري الواقع بين الميناءين مبتعداً عن حي "غلطة" خوفاً على سفنه من الجنوبيين، وقد كانت المسافة نحو ثلاثة أميال، كلها وهاد وتلال.

وأمر السلطان بتمهيد الأرض وتسويتها، ودهنت ألواح من الخشب بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاق السفن وجرها، وجُرّت السفن من البوسفور إلى البر بسحبها على تلك الأخشاب المدهونة بالزيت، حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأنزلت في القرن الذهبي، وكانت أكثر من سبعين سفينة، وكان السلطان يشرف بنفسه على هذه العملية الليلية بعيداً عن أنظار العدو ومراقبته.

ووضع العثمانيون مدافع على الهضاب المجاورة للبوسفور والقرن الذهبي، لتدمير السفن البيزنطية والمتعاونة معها في القرن الذهبي والبوسفور والمياه المجاورة، مما شلّ حركة سفن الأعداء.

ولجأ العثمانيون إلى أسلوب جديد في محاولة الاقتحام، حيث صنعوا قلعة خشبية شامخة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار، بارتفاع أعلى من الأسوار، مكسوة بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران، مما أوقع الرعب في قلوب المدافعين، حينما زحف العثمانيون بها مقتربين من الأسوار.

أيقن محمد الفاتح أن المدينة على وشك السقوط، ومع ذلك حاول أن يكون دخولها بسلام؛ فكتب إلى الإمبراطور رسالة دعاه فيها إلى تسليم المدينة دون إراقة دماء وأن تحقن دماء الناس في المدينة ولا يتعرضوا لأذى، ولما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع المستشارين وعرض عليهم الأمر، فمال بعضهم إلى التسليم، وأصر آخرون على استمرار الدفاع عن المدينة حتى الموت، فمال الإمبراطور إلى رأي القائلين بالقتال حتى آخر لحظة."، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: "حسناً.. عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر".

وعقد السلطان اجتماعاً ضم مستشاريه وكبار قواده بالإضافة إلى الشيوخ والعلماء، فأشار عليه بعضهم بالانسحاب، ولكن الصوت الأغلب كان مع مواصلة العمل حتى إتمام الفتح. وأيد العلماء الرأي بمواصلة الجهاد، فاطمأن إليه السلطان، حيث كان يعبر عن رأيه ورغبته في مواصلة الهجوم حتى الفتح.

وفي الإثنين 28 أيار- مايو كانت الاستعدادات العثمانية على أشدها والمدافع ترمي المدينة بنيرانها، وعند الساعة الواحدة من صباح اليوم التالي بدأ الهجوم العام على المدينة، وكان هجوماً متزامناً برياً وبحرياً في وقت واحد حسب خطة دقيقة أعدت بإحكام. وبعد ساعتين أصدر السلطان أوامره للجنود بأخذ قسط من الراحة، بعد أن أرهقوا المدافعين في تلك المنطقة، وفي الوقت نفسه أصدر أمراً إلى قسم آخر من المهاجمين بالهجوم على الأسوار من المنطقة نفسها، ففوجئ المدافعون بتلك الموجة الجديدة بعد أن ظنوا أن الأمر قد هدأ. ومع بزوغ نور الصباح أصدر السلطان الأوامر إلى جنوده بالانسحاب لكي يتيحوا الفرصة للمدافع لتقوم بعملها مرة أخرى، حيث أمطرت الأسوار والمدافعين عنها بوابل من القذائف، وبعد أن هدأت المدفعية تقدم قسم من الإنكشارية يقودهم السلطان نفسه. واستطاع ثلاثون منهم تسلق السور، ورغم استشهاد مجموعة منهم بمن فيهم قائدهم، فقد تمكنوا من تمهيد الطريق لدخول المدينة عند "طوب قابي" ورفعوا الرايات العثمانية عليها.

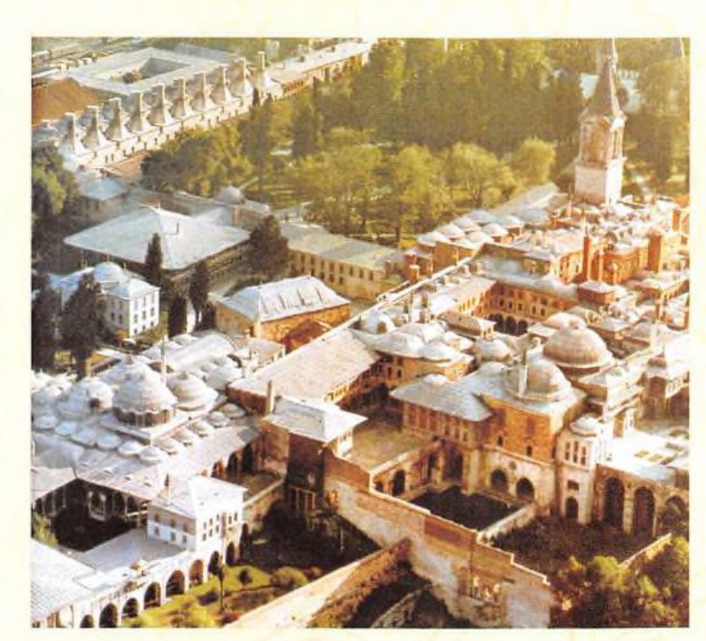
وتمكن العثمانيون في ناحية أخرى من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج، وتدفق الجند العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة، وقُتل قسطنطين، وتمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة حتى تم لهم الاستيلاء عليها وكان الفاتح مع جنده في تلك اللحظات يشاركهم فرحة هذا النصر والفتح المبين.

وأعطى السلطان للمسيحيين حرية إقامة شعائرهم الدينية واختيار رؤسائهم الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى ذلك لرجال كنيسة الأقاليم الأخرى.

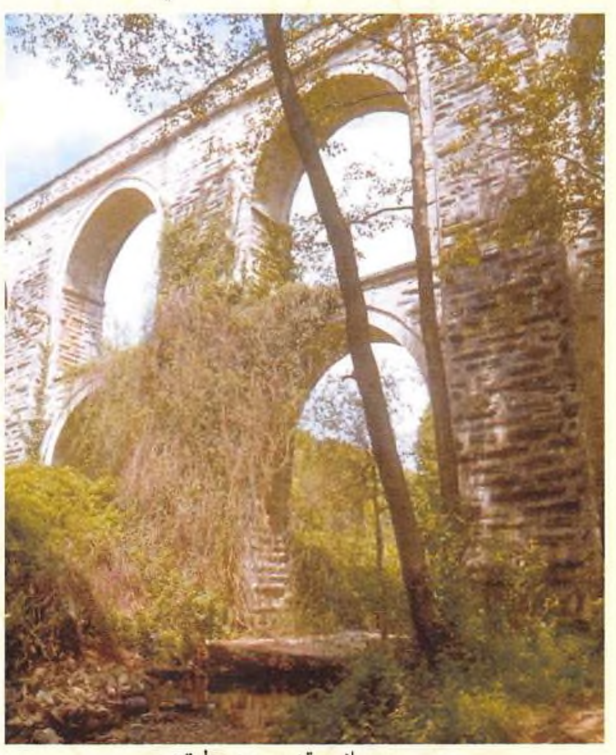
مشاهد من العاصمة العثمانية



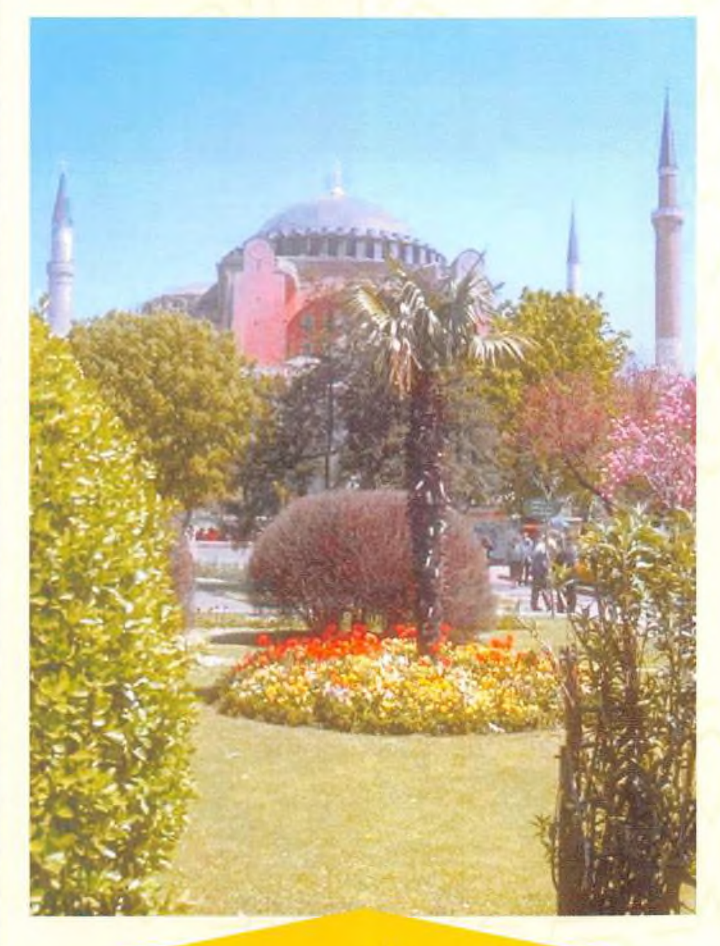
مشهد عام لإستانبول (القسطنطينية -قديماً)
وترى فيه بعض أسوار قلعة (رومللي حصار)



متحف طوب قبو في إستانبول



جسر روماني قديم من طبقتين



جامع "أياصوفيا" أول مسجد في إستانبول
"القسطنطينية - سابقاً"، أمر بتشييده إثر فتحها
السلطان محمد الفاتح، سنة 857هـ/1453م

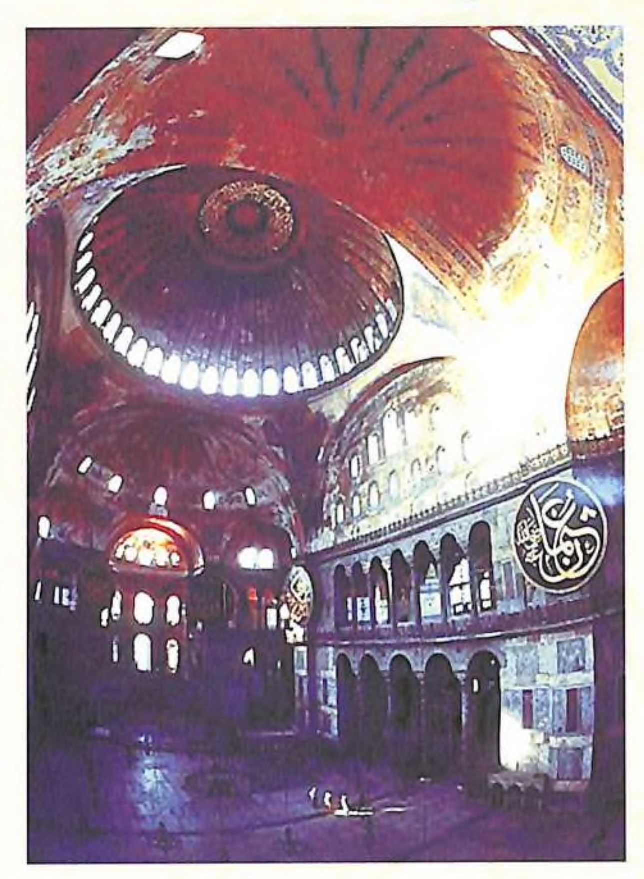


آثار بيزنطية قديمة في إستانبول

مشاهد من العاصمة العثمانية



حرم جامع السلطان (أحمد الأول) في إستانبول



"أياصوفيا" جامع - ومتحف لاحقاً -، مشهد داخلي



ساعة عثمانية قديمة في إحدى ساحات إستانبول



قبة مقامة على ضريح في أحد مساجد إستانبول

العثمانيــون وأوربــا

بدأت أوربا في القرن الرابع عشر تشعر ـ ربما لأول مرة على نحو حقيقي ـ بأن الأتراك العثمانيين يهددون سـلامتها، ففي عام 1356م اجتاز السـلطان "أورخان غازي" المنطقة الجبلية الرهيبة، وأقام الموطن التركي الأول في القارة الأوربية على شبه جزيرة "غاليبولي"، وبـعد مضي خمس سـنوات من هذا التاريخ، زحـف الأتراك إلى اليونان، واستولوا فيها على اثنتين من مدنها الرئيسية.

لم يكن هذا غير البـداية، فقــد حــدث خلال الثلاثمائة سنة التالية أن كانت أوربا الشرقية تحسب على الدوام حساباً لاتساع رقعة الفتوحات العثمانية. وخضع لسلطانهم بالفعل جانب كبـير منها، وفضلاً عن ذلك فقد كان لزاماً على دولة من أقوى وأكبر الدول الأوربية في ذلك الوقت وهي "إمبراطورية النمســا" أن تخوض أعتى المعارك من أجل بقائها وإنقاذ عاصمتها (فيينا).

ومن الغريب حقاً أن يتاح لشعب صغير محدود تحقـيق كل هذه الإنجازات في هذا الزمن القياســي، ولكن الأتراك كان يحفزهم لذلك عاملان أساســيان: الأول - وهو الأهم- أنهم كانوا يتوقــدون بــالحمية الدينية، حمية الإسلام. والعامل الثاني: تفكك الدول الأوربية تماماً، وانشغالها الدائم بخصوماتها الداخلية، وصراعاتها المذهبية.

وقد حقـق العثمانيون انتصاراً واسـع النطاق في بدايات زحفهم على أوربا، لولا أنه كان لزاماً عليهم أن ينتظروا فترة لا تقل عن مائة سنة قبـل أن يحرزوا أكبر انتصاراتهم، الذي تمثل في الاســـتيلاء على مدينة القسطنطينية. ففي غضون عام 1400م كان قد تم إعداد خطة جديدة لحملة هجومية كبرى، حال دون تنفيذها تقــدم الجيوش المغولية المكتسحـــة.. وكان على العثمانيين أن يدافعوا عن أنفسـهم ضد أعتى الجيوش وأقدرها على الغلبة والقهر.



العثمانيون يحاصرون القسطنطينية

وفي عام 1451م آلت أمور القيادة العثمانية إلى السلطان محمد الثاني، وكان شاباً متوقد الحماس، لا يزيد عمره على اثنين وعشرين عاماً، وكان يتصف بحدة الذكاء، والحزم والتصميم، إضافة إلى صفات قـيادية أخرى، أهمها تدينه وسعة مداركه العلمية. فقصر كل همّه وركّز كل نشاطه على هدف محدد هو الاسـتيلاء على القسطنطينية، فأحـكم حـصار المدينة، وأخذت المدفعية القوية تدك الأسوار القديمة، حتى إذا كان يوم 29 أيار ـ مايو عام 1453م اســـتطاع العثمانيون فتح المدينة التي غدت عاصمتهم، وأُطلق عليها اسم جديد هو: "إستانبـــول" التي تعني: مدينة الســـعادة، أو "إسلامبول" على رأي آخر، وتعني: عاصمة الإسلام. وأصبح الطريق إلى قلب أوربـا ممهّداً، فاتجه الجيش العثماني المنتصر بتحركه إلى الشـمال، وغزا المجر، ولكنه أُوقف بعد قتال مرير، كما لم ينجح في هجومه على بلغراد لصمود قائدها الكبير "هتيادوس". ومن ثم

قفل محمد الفاتح راجعاً وأمضى بضع سنوات في احتلال القرم، ولكنه في عام 1480م قام بتنفيذ الخطة الكبيرة التي كان قد أعدها لغزو إيطاليا.

وعلى أي حال فقد بدأ حملته في أول الأمر بشن هجومه على جزيرة "رودس"، ثم عدل عن المضي في مهاجمتها وتوجه إلى الهجوم على إيطاليا، حيث نجح في محاولاته، وسرعان ما استولت قواته على مدينة أوترانتو. ولقد كان في إمكان الجيش العثماني أن يخضع لإمرته كل البلاد الإيطالية؛ ولكن محمد الثاني (الفاتح) توفي عام 1481م وكان ذلك إيذاناً بالتخلي عن متابعة المحاولة.

وترك العثمانيون أوربا لشأنها لمدة 40 عاماً بعد وفاة السلطان محمد الفاتح، كانوا أثناءها مستغرقين في حروبهم مع إيران "الصفويين"، وغزوهم لمصر وسوريا "المماليك". على أن الخطر عاد بعد ذلك يهدد القارة الأوربية عندما أصبح سليمان الأول المعروف "بسليمان العظيم، القانوني" سلطاناً عام 1520م، ففي العام التالي غزا سليمانُ "المجر"، ونجح في الاستيلاء على "بلغراد" التي ظلت فترات طويلة حصناً منيعاً للمسيحيين في وجه الأتراك. ثم شن في عام 1522م هجوماً كبيراً كثيف العتاد على "رودس" التي اضطرت إلى التسليم تحت "شروط مشرّفة" بعد حصار استمر خمسة أشهر.

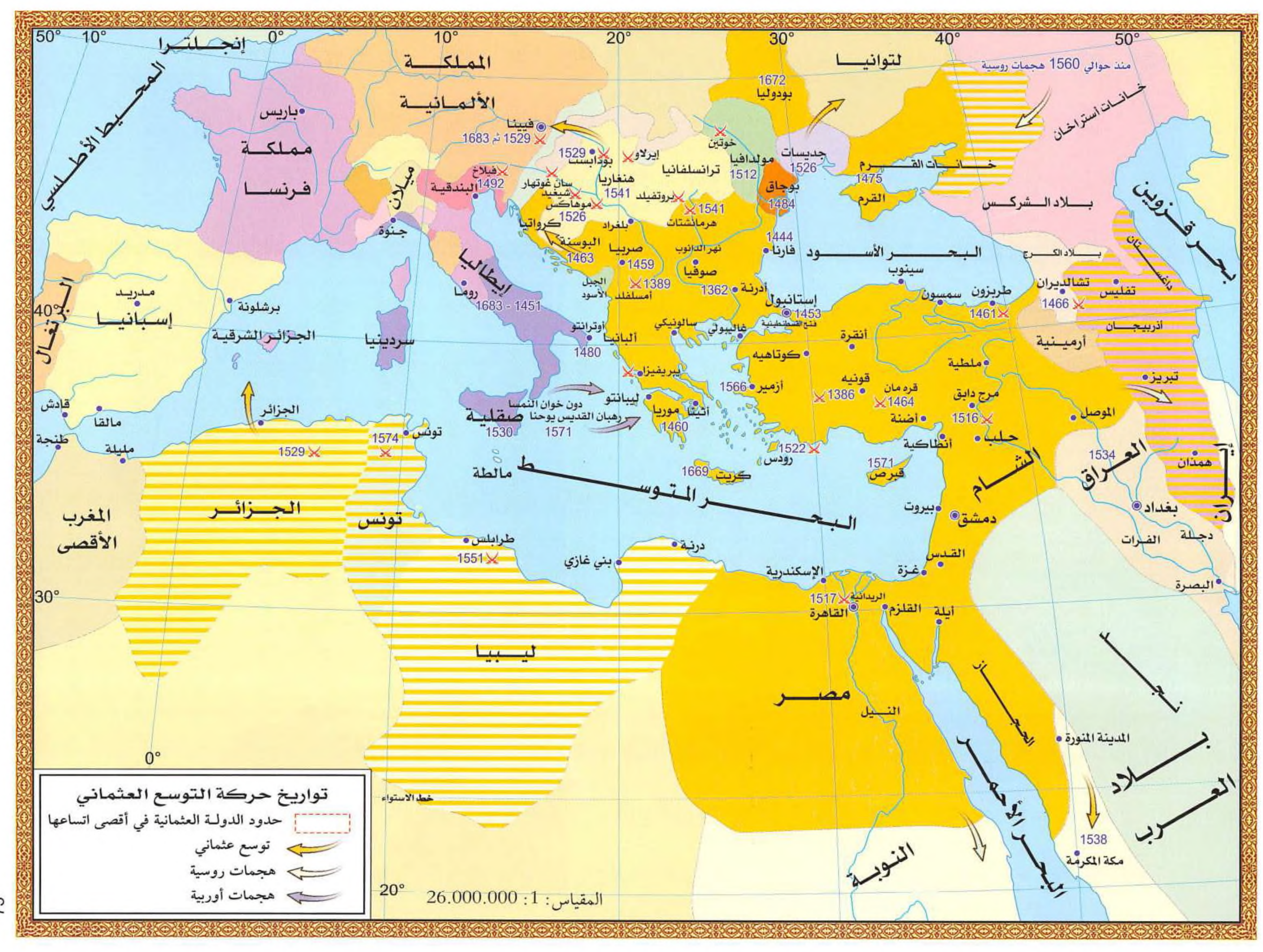
وفي عام 1526م غزا العثمانيون المجر مرة أخرى، ونشبت معركة مروعة في "موهاز" انهزم فيها المجريون شر هزيمة، وقُتل ملكهم "لويس"، وواصل سليمان زحفه بعد ذلك إلى ضفاف "نهر الدانوب"، واستولى على مدينتيها التوأمين وهما "بودا" و"بست"، اللتين أصبحتا المدينة العصرية المعروفة بالاسمين مندمجين معاً: "بودابست". وهُيئ المسرح لعمليات النضال الكبير الناشب بين العثمانيين والنمساويين، ففي سنة 1529م عاد سليمان الأول إلى النمسا على رأس جيش جرار مؤلف من ربع مليون جندي و300 مدفع، ولكنه اضطر تحت وطأة الظروف الطبيعية القاهرة من الأمطار الغزيرة التي صادفته إلى أن يقنع بإحراز تقدم بطيئ، ثم ما لبث أن أقلع عن هذه الخطة، ونجت فيينا من جديد. لكن العثمانيين ظلوا مصدر خطر كبير على أوربا، حتى عام 1547م، حيث أُرغمت النمسا على أن تعقد معهم اتفاقية سلم مهينة، وأن تدفع لهم جزية سنوية.

ولما نشبت الحرب مرة أخرى بعد ذلك بتسع سنوات وجه العثمانيون جهودهم الرئيسية صوب البحر، حيث خُوّل عدد من البحارة المغاربة سلطات واسعة، بحيث أصبحوا يهددون بفرض سيادتهم على حوض البحر المتوسط كله، وما لبثوا أن استردوا طرابلس في عام 1556م، وفي عام 1571م كان على البندقية أن تتخلى عن قبرص.

وفي هذه الأثناء كانت أغلب الدول في أوربا ينتابها الفزع، وهكذا حشد الأسطول الكبير من السفن الإسبانية والإيطالية تحت لواء (دون جوان) شقيق ملك إسبانيا. وفي معركة (ليبانتو) هُزم الأتراك تماماً، ولكنهم ما لبثوا أن بنوا أسطولاً آخر وأعادوا الكرة، حتى استردوا من الإسبان كل المدن والمناطق المغربية التي احتلوها، ولما ساد السلم كان العثمانيون لا يزالون يتملكون قبرص.

وفي خلال سنة 1683م دارت الدائرة على فيينا مرة أخرى، وحوصرت من جديد بالقوات العثمانية، ولكنها أُنقذت بوساطة الملك البولندي (جون سوبيسكي).

ومنذ ذلك التاريخ تراجع العثمانيون، وسرعان ما استعادت النمسا سيادتها، وبدأ في ذلك الوقت اشتباك الأتراك في قتال شديد الوطأة مع الروس، ولم يعد الأتراك يشكلون خطراً جدّياً بعد ذلك على أوربا الغربية.


تواريخ حركة التوسع العثماني
حدود الدولة العثمانية في أقصى اتساعها
توسع عثماني
هجمات روسية
هجمات أوربية
المقياس: 1 : 26.000.000
خط الاستواء
المحيط الأطلسي
إنجلترا
المملكة الألمانية
مملكة فرنسا
باريس
البرتغال
إسبانيا
مدريد
برشلونة
الجزائر الشرقية
سردينيا
ميلان
جنوة
البندقية
إيطاليا
روما
1683 - 1451
صقلية
1530
مالطة
قادش
مالقا
طنجة
مليلة
المغرب الأقصى
الجزائر
1529
تونس
1574
طرابلس
1551
ليبيا
بني غازي
درنة
فيينا
1529 ثم 1683
فيلاخ
1492
بودابست
1529
إيرلاو
هنغاريا
1541
ترانسلفانيا
سان غوتهار
شيغيد
موهاكس
1526
كرواتيا
البوسنة
1463
بلغراد
صربيا
1459
1389
الجبل الأسود
أمسلفلد
بروتفيلد
1541
هرمانشتات
خوتين
مولدافيا
1512
جديسات
1526
بوجاق
1484
بودوليا
1672
لتوانيا
خانات القرم
1475
القرم
منذ حوالي 1560 هجمات روسية
خانات استراخان
بلاد الشركس
بلاد الكرج
بحر قزوين
داغستان
تشالديران
1466
تفليس
أذربيجان
أرمينية
تبريز
همذان
إيران
نهر الدانوب
صوفيا
فارنا
1444
أدرنة
1362
البحر الأسود
سينوب
طربزون
سمسون
1461
إستانبول
1453
فتح القسطنطينية
غاليبولي
سالونيكي
ألبانيا
أوترانتو
1480
بريفيزا
ليبانتو
دون خوان النمسا
رهبان القديس يوحنا
1571
موريا
1460
أثينا
كوتاهيه
أزمير
1566
أنقرة
قونيه
1386
قره مان
1464
أضنة
ملطية
مرج دابق
1516
حلب
أنطاكية
الموصل
العراق
1534
بغداد
دجلة
الفرات
البصرة
رودس
1522
كريت
1669
قبرص
1571
البحر المتوسط
الشام
بيروت
دمشق
القدس
غزة
الإسكندرية
الريدانية
1517
القاهرة
القلزم
أيلة
مصر
النيل
النوبة
البحر الأحمر
الحجاز
نجد
المدينة المنورة
مكة المكرمة
1538
بلاد العرب

العثمانيون وأوربـــا



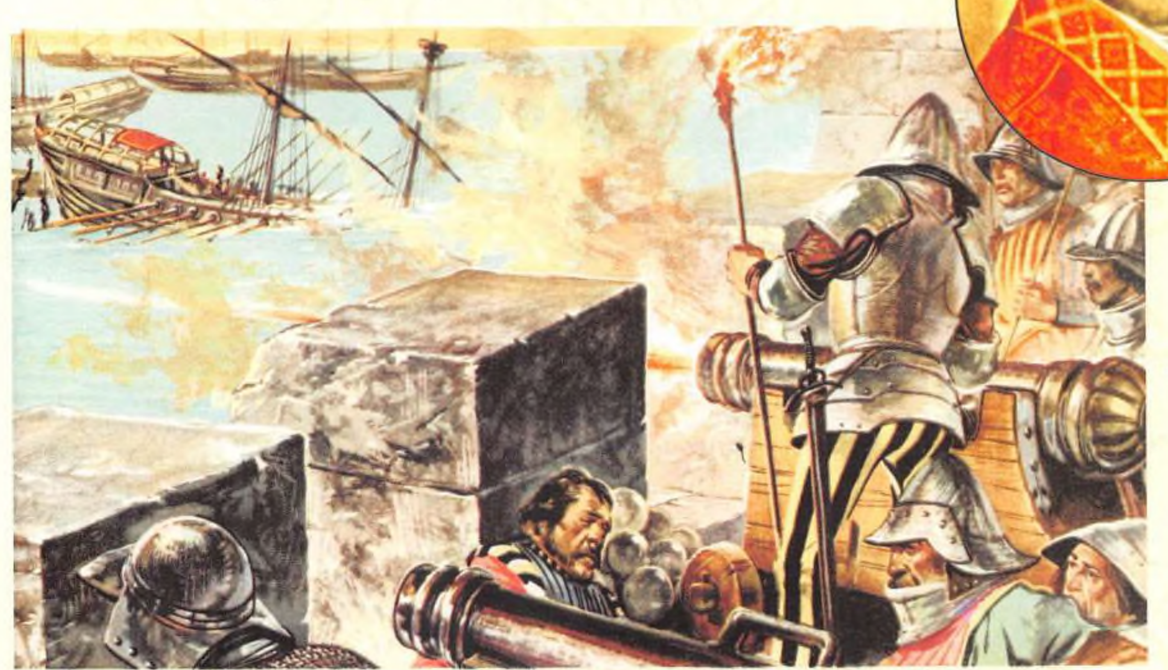
المدفع في بدايات استخدامه



مدفع من أوائل العهد بالمدافع.

في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي بدأ استخدام أوائل المدافع التي كانت تُصنع من البرونز أو النحاس الأصفر، وأحياناً من الحديد، وكان يتم حشو المدفع من الفوهة، وتنفجر بواسطة فتيل موضوع في ثقب بمؤخرة المدفع. وقد شكل استخدام المدافع نقلة نوعية في حسم المعارك لصالح مستخدميها.

بعد استيلاء العثمانيين على القسطنطينية نادى البابا "بيوس الثاني" بتجريد حملة صليبية



مواجهة الفينيسيين لهجوم العثمانيين على جزيرة "أوبوا" التابعة لمملكة فينيسيا

العثمانيون وأوربـــا



خير الدين بربــروس (ذو اللحــية الحمراء) في زيه الوطني الجزائري. كان خير الديـن وأخـوه (عـروج) من البحـارة الشــجعان، وإليهما يرجع الفضل في تأسيس دولة الجزائر في القرن الميلادي الســادس عشـر. قُتل عروج أثناء مقاومة الإسبـان في تلمسـان سنة 924هـ/ 1518م، أما خير الدين فقـد استنجد بالســلطان العثماني "ســليم الأول" الذي أمده بأسطول هزم بـه الإسبـان سـنة 926هـ/1519م. توفي بإستانبـول سـنة 953هـ/ 1546م، فأقـام له الأتراك العثمانيون نصبـــاً تذكارياً فيها.



فارس إنكشاري



فارس أوربي



أسطول بابا عروج أمام سواحل الجزائر الذي كان يصد هجمات الإسبان على السواحل المغربية.



كان الإنكشارية عماد الجيش العثماني، وفي الرسم جماعة منهم بلباس المراسم.

عندما وصلت الدولة العثمانية إلى أوج قـــوتها واتساعها في عهد سليمان القانوني، كانت قد ضمت مناطق شاسعة أوروبية وتركية وعربية وإفريقية. كما ضمت شعوباً من مختلف الجنسيات ومختلف الديانات والمذاهب، وبلغ عدد سكانها خمسين مليوناً، في حين كان سكان الدول الأوروبية لا يتجاوزون المليون لكل واحدة، ولم تتجاوز "إنكلترا" في تلك الفترة خمسة ملايين نسمة.

وكان السلطان العثماني ولقبة بالتركية "خنكار" أي السلطان الأعظم، أو "باديشاه" بالفارسية أي الحاكم الأعلى، يتربع على قمة السلطة في الدولة.

وتأتي الهيئة الحاكمة بعد السلطان، وعلى رأسها "الصدر الأعظم"، وهو أهم رجل بعد السلطان وله صلاحيته المطلقة في قيادة الدولة وإدارتها. وله حاشية محترمة ومركز عالٍ في الحكم، وكان مقره "الباب العالي" مقر الحكومة منذ 1654م. وكان يساعد الصدر الأعظم أعضاء الديوان ولهم مكانة الوزراء، وفي هذا الديوان مسؤولان عن القضاء في الدولة هما قاضي عسكر الأناضول وقاضي عسكر الروملي (البلقان وأوربا)، ومسؤولان عن الخزينة والمال وهما دفتردار عن الأناضول ودفتردار عن الروملي. يليهم "النشنجي"، أي سكرتير الدولة. وكان الدفترداران مسؤولَيْن عن النفقات والضرائب، أما النشنجي فمسؤول عن تسجيل أوامر السلطان وختمها بالشمع ووضع توقيع السلطان عليها.

إضافة إلى ذلك كان ثمة جناح خاص للحريم في بلاط السلطان وكانت أم السلطان سيدتهن الأولى.

ويضم القصر أيضاً مجموعات العلماء والأدباء والمستشارين والأطباء والإنكشارية الذين يتدربون لانتقاء رجال الدولة منهم فيما بعد.

وكان ثمة ما يُعرف بالهيئة الإسلامية، التي تشمل مجموع المسلمين المنحدرين من أصل إسلامي وعلى رأسهم السلطان، وكانت تضم كبار العلماء وسائر العاملين في الحقل الديني كوعاظ المساجد والأئمة والسادة والأشراف. وكان "شيخ الإسلام" يأتي على رأس هذه الهيئة، وله مقام عظيم عند السلطان. وقد لعبت الهيئة الإسلامية دوراً مهمّاً في التعليم لما لها من أرصدة الأوقاف، كما قامت بدور هام في إنشاء المدارس والمعاهد ومراكز القضاء، والإنشاءات العامة كالجسور والطرق والمشافي وكل ما تقوم به وزارات الدولة في هذه الأيام.

وقد تبنت الدولة العثمانية المذهب الحنفي، أما أهل الذمة فقد أُخضعوا "لنظام الملل" وكان لكل ملة الحق في استخدام لغتها وإنشاء مؤسساتها الدينية والتعليمية وجباية الضرائب من أهل ملتها ودفعها للخزينة، وكان لها قضاؤها الخاص باستثناء ما قد يتعلق بالجرائم الكبرى وأمن الدولة.

أما الجيش فكان في البداية يعتمد على المسلمين الأحرار المتطوعين للقتال "أخيان" أو إخوان، ثم دخل خيالة الجيش "سباهية السلاطين" وشكلوا قوامه، وعلى أيديهم تمت فتوحات كثيرة، لذلك فقد مُنحوا إقطاعات يستغلونها لقاء التزامهم بتلبية داعي الحرب. ومن ثم ارتبطوا بالنظام الإقطاعي الذي كان على ثلاثة أشكال حسب حجم الدخل الذي تغله أرض الإقطاع.

ثم دخل الجيش ابتداء من القرن الخامس عشر الإنكشارية، وهم صبيان البلقان المسيحيون الذين كانوا يؤخذون كل فترة من الزمن كضريبة، حيث يُدربون ويدخلون الإسلام ويعلمون الجندية. وهم الذين شكلوا قوة الجيش بعدئذ، ومنهم كان يتخرج موظفو الدولة الكبار أيضاً كالصدور العظام، وقد دخل كثير من

السكان المحليين في الإنكشارية في أيامها الأخيرة التي فسدت بها ومن بعد ألغيت جميعاً. وإلى جانب الجند الإقطاعيين والإنكشاريين وجد الجند المرتزقة على اختلاف أنواعهم.

وقُسمت الدولة في البداية إلى ألوية "سناجق" يرأس كلاً منها سنجق بك "أمير لواء"، وعندما اتسعت الدولة العثمانية أدمجت ألوية في وحدات أكبر هي الولاية أو الإيالة، ويرأس كلاً منها بكلر بك "أمير أمراء" برتبة "باشا"، وهي تحوير لكلمة "باديشاه" الفارسية. وكان الوالي مسؤولاً عن السلطة التنفيذية والإدارية والإقطاعية والعسكرية وبعض الصلاحيات القضائية. وكانت مهمته تتحدد في استمرار ولاء ولايته للسلطان، وتأمين الأمن والعدل للسكان. وكان الموظفون الذين يساعدون الوالي في الحكم يحدون من سلطته المطلقة إذ كان يأتي تعيينهم من الدولة، وكانوا جميعاً رقباء بعضهم على بعض، وكثيراً ما كانوا يتصارعون على السلطة الأولى.

ومن هؤلاء الموظفين: "الكتخدا"، وهو نائب الوالي ومدير مكتبه، و"المكتوبجي" (كاتب الرسائل) و"المهردار"، (حامل الأختام) و"الخزنةدار" (أمين الصندوق) و"السلاحدار" (أمين السلاح) و"الدفتردار" (مدير الخزانة)، و"آغا الإنكشارية" (القائد العسكري). وكان "الدفتردار" الشخص الثاني في المراتب، يساعده "الروزنامجي" (محاسب الأموال الإقطاعية).

وبهذا التوزيع كان السلطان يضمن ولاء كل موظفيه من الوالي حتى الحاجب، ورغم ذلك كانت تحدث بعض العصيانات.

أما البلاد العربية فقد خضعت للتقسيمات التالية:

بلاد الشام: وقسمت إلى ثلاث ولايات، الشام وحلب وطرابلس، و"ولاية الشام" تضم دمشق والجزء الجنوبي من سورية والأردن وفلسطين وجزءاً من لبنان "بيروت والجنوب"، أما "ولاية حلب" فتضم شمال سورية، بينما تضم "ولاية طرابلس" الجزء الشمالي من ساحل سورية وكذلك المنطقة الداخلية الواقعة إلى شرقها "حماه - حمص - جبلة - سلمية - اللاذقية - الحصن". ثم أنشئت ولاية جديدة هي ولاية صيدا عام 1660م. وكانت السناجق (الألوية) تسلخ أحياناً من ولاية وتضم إلى أخرى حسب مقتضيات الظروف المالية أو السياسية المتعلقة بالأمن.

أما مصر- مع أنها أكبر من بلاد الشام- فقد تألفت من ولاية واحدة مركزها القاهرة، وقسمت إلى عدة كشوفات "سناجق"، يحكم كلاً منها كاشف كما كان أيام المماليك. وكلمة "سنجق" تدل على رتبة، وقد لعب السناجق أدواراً هامة في تاريخ مصر ابتداء من القرن السابع عشر، وشغلوا معظم الوظائف الكبيرة مثل: كاشف وأمير الحج، ودفتردار وقادة عسكر.

أما العراق فقسمت أقاليمه إلى أربع ولايات: بغداد والبصرة والموصل وشهرزور (كردستان).

وكان في الجزيرة العربية واليمن ثلاث ولايات: ولاية شرافة مكة، والأحساء، وولاية اليمن.

وفي السودان كانت توجد ولاية "الحبش" وتشمل مينائَيْ سواكن ومصوع. وربما خضعت لحاكم محلي عرف بالنائب كما حدث في القرن الثامن عشر.

أما أقطار المغرب العربي في شمال إفريقية فقد حكمها الجند، ومعظمهم من الإنكشاريين يرأسهم "الآغا". وكانوا جميعاً خاضعين لحاكم القطر وهو "بيلربي" منذ عهد خير الدين بربروسا. وأصبح والياً خاصاً ابتداء من 1587م. أما تونس فقد حكمها منذ عام 1573م "بيلربي" حيث عُدت ولاية عثمانية من التاريخ المذكور. وكان يساعده الجند الإنكشاريون برئاسة "الآغا". وكان قائد كل مئة جندي فيها يسمى "الداي"، أما الباي "أمير لواء" فقد كلف بضبط البلاد وجمع الجباية. وليبيا حكمها "بيلربي" أيضاً، وكانت تشكل ولاية عثمانية، وكان فيها ديوان عسكري لمساعدة البيلربي في الحكم. وكانت تونس وطرابلس تخضعان أحياناً لسلطة الجزائر.

الإنكشارية - النشأة والنهاية

أُطلق اسم الإنكشارية على طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين، يشكلون تنظيماً خاصاً. فكان لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم وامتيازاتهم، وكانوا أعظم فرق الجيش العثماني وأقواها جنداً وأكثرها نفوذاً. ولا يُعرف على وجه الدقة واليقين وقت ظهور هذه الفرقة، لكنها اكتسبت صفة الدوام والاستمرار في عهد السلطان مراد الأول سنة (761هـ/1360م) وكانت قبل ذلك تسرّح بمجرد الانتهاء من عملها.

وامتاز الإنكشاريون بالشجاعة الفائقة، والصبر في القتال، والولاء التام للسلطان العثماني باعتباره إمام المسلمين، وكانوا يُختارون في سن صغيرة من أبناء المسلمين الذين يُربون تربية دينية خاصة، أو من أبناء الذين أُسروا في الحروب أو حتى الذين اشتُروا بالمال. فكانوا يُربون في معسكرات خاصة بهم، يتعلمون اللغة والعادات والتقاليد التركية ومبادئ الدين الإسلامي، وفي أثناء تعليمهم يقسَّمون إلى ثلاث مجموعات: الأولى تُعَدّ للعمل في القصور السلطانية، والثانية تُعد لشغل الوظائف المدنية العليا في الدولة، والثالثة تعد لتشكيل فيالق المشاة في الجيش العثماني، وهؤلاء يُطلق عليهم "الإنكشارية"، أي الجنود الجدد، وهذه المجموعة أكبر المجموعات وأكثرها عدداً.

ولم يكن مسموحاً للإنكشارية الاتصال بأقاربهم وعليهم في وقت السلم أن يعيشوا في الثكنات، التي لم تكن تحوي فقط أماكن النوم لضباطهم وجنودهم؛ بل كانت تضم المطابخ ومخازن الأسلحة والذخائر وكافة حاجاتهم المدنية.

وخصصت الدولة لكل مجموعة "أورطة" أو فئة شارةً توضع على أبواب ثكنتها وأعلامها وخيامها، وكان الجنود ينقشون شاراتهم المميزة على أذرعهم بالوشم، وتتم ترقياتهم طبقاً لقواعد الأقدمية، كما يُحالون إلى التقاعد إن تقدم بهم السن، أو أصابتهم عاهة تُقعدهم عن العمل، ويُصرف لهم معاش من قِبل الدولة. وكانت الدولة تحرّم عليهم الاشتغال بالتجارة أو الصناعة كيلا تخبوَ عسكريتهم الصارمة، أو يضعف حماسهم المشبوب.

ويطلق على رئيس هذه الفئة "آغا الإنكشارية"، وهو يُعد من أبرز الشخصيات في الدولة العثمانية، لأنه يقود أقوى فرقة عسكرية في سلاح المشاة، وكان بحكم منصبه يشغل وظيفتين أُخريين، فهو رئيس قوات الشرطة في إستانبول، المسؤول عن حفظ النظام، كما أنه عضو في مجلس الدولة.

وبسبب شجاعتهم في الحروب واستماتتهم في النزال، كان موقعهم في القلب، ويقف السلطان بأركان جيشه خلفهم. وقد استطاعت الدولة العثمانية بفضل هذه الفرقة الشجاعة أن تمدّ رقعتها، وتوسّع حدودها بسرعة، ففتحت بلاداً في أوروبا كانت حتى ذلك الوقت خارج حوزة الإسلام.

يقول "كارل بروكلمان": "إن الإنكشارية كانوا قوام الجيش العثماني وعماده". ويضيف المؤرخ الإنجليزي "غرانت" بأن المشاة الإنكشارية كانوا أكثر أهمية من سلاح الفرسان، وكان مصير أو مستقبل الدولة العثمانية يعتمد إلى حد كبير على الإنكشارية.

غير أن هذه الأهمية الكبيرة للإنكشارية تحولت إلى مركز قوة نغّص حياة الدولة العثمانية، وعرّضها لكثير من الفتن والقلاقل، وراح زعماء الإنكشارية يتدخلون في شؤون الدولة، ويزجّون بأنفسهم في السياسة العليا للدولة، وفيما لا يعنيهم من أمور الحكم والسلطان؛ فكانوا يطالبون بخلع السلطان القائم بحكمه ويولون غيره، ويأخذون العطايا عند تولي كل سلطان جديد، وصار هذا حقًا مكتسبًا لا يمكن لأي سلطان مهما أوتي من قوة أن يتجاهله، وإلا تعرض للمهانة على أيديهم.

ولم يكن لذلك تأثير في عهود "السلاطين العظام" لأن هيبتهم وقوتهم كانت تكبح جماح الإنكشاريين، حتى إذا بدأت الدولة في الضعف والانكماش بدأ نفوذ الإنكشاريين في الظهور، فكانوا يعزِلون بعض السلاطين أو يقتلونهم كما فعلوا بالسلطان (عثمان الثاني)؛ حيث عزلوه من منصبه، وأقدموا على قتله سنة (1032هـ/1622م)، وفعلوا مثل ذلك مع السلطان (إبراهيم الأول)، الذي مات مخنوقاً على أيديهم عام (1058هـ/1648م)، محتجين بمعاداته ونقده لهم، وامتدت شرورهم إلى الصدور العظام" بالقتل تارة أو العزل تارة أخرى.

وازدادت شرور الإنكشارية عندما حاولت الدولة إدخال النظم الحديثة في قواتها العسكرية لتكون في مستوى جيوش الدول الأوروبية تسليحاً وتدريباً وتنظيماً، لكن الإنكشارية عارضت كل محاولات التجديد، وفشلت محاولات السلاطين العثمانيين في إقناعهم بضرورة التطوير والتحديث.

ولم يكتف الإنكشاريون بمعارضة النظام الجديد، بل لجأوا إلى إعلان العصيان والقيام بالتمرد في وجوه السلاطين والصدور العظام، ونجحوا في إكراه عدد من السلاطين على إلغاء هذا النظام الجديد، كما حدث عندما تولى السلطان (محمود الثاني) حيث أراد تطويرالجيش وتحديثه، فحاول بالسياسة واللين إقناع الإنكشارية بضرورة التطوير وإدخال النظم الحديثة في فرقهم، حتى تساير باقي فرق الجيش العثماني، لكنهم رفضوا عرضه. وكان محمود الثاني ذا عزيمة شديدة، ودهاء عظيم، فحاول أن يُلزم الإنكشارية بالنظام والانضباط العسكري، وملازمة ثكناتهم في أوقات السلم، وضرورة المواظبة على حضور التدريبات العسكرية، وتسليحهم بالأسلحة الحديثة، وعهد إلى صدره الأعظم مصطفى باشا البيرقدار بتنفيذ هذه الأوامر. ولكن الإنكشارية قاوموا رغبة السلطان وتحدّوا أوامر الصدر الأعظم، وقاموا بحركة تمرد واسعة، وثورة جامحة كان من نتيجتها أن فقد الصدر الأعظم حياته في حادث مأساوي. فصبر السلطان على عنادهم لسنوات، ولكن ظلت فكرة الإصلاح تراوده، حتى عزم مرة أخرى على ضرورة إصلاح نظام الإنكشارية؛ فعقد اجتماعًا في (19 من شوال 1241هـ/27 من أيار- مايو 1826م) في دار شيخ الإسلام، حضره قادة أسلحة الجيش بمن فيهم كبار ضباط فيالق الإنكشارية، ورجال الهيأة الدينية وكبار الموظفين، ونوقش في هذا الاجتماع ضرورة الأخذ بالنظم العسكرية الحديثة في فيالق الإنكشارية، ووافق المجتمعون على ذلك، وتُلي مشروع بإعادة تنظيم القوات الإنكشارية، وأصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب تنفيذ التعديلات الجديدة، ومعاقبة كل شخص تُسوّل له نفسه مخالفتها أو الاعتراض عليها.

غير أن الإنكشارية أعلنوا تمردهم وانطلقوا في شوارع إستانبول يشعلون النار في مبانيها، ويهاجمون المنازل ويحطمون المحلات التجارية، فاستنفر السلطان عدة فرق عسكرية من بينها سلاح المدفعية، ودعا الشعب إلى قتال الإنكشارية.

وفي صباح يوم (9 ذي القعدة 1240هـ/15 حزيران- يونيو 1886م) خرجت قوات السلطان إلى ميدان الخيل بإستانبول، الذي تطل عليه ثكنات الإنكشارية، وتحتشد فيه فيالقهم المتمردة، وحاصر رجال المدفعية الميدان، وسلطوا مدافعهم على الإنكشارية من كل الجهات، فحصدتهم حصداً، وسقط منهم ستة آلاف جندي.

وفي اليوم الثاني من هذه المعركة التي سميت بـ"الواقعة الخيرية" أصدر السلطان محمود الثاني قراراً بإلغاء الفيالق الإنكشارية إلغاءً تامًا، شمل تنظيماتهم العسكرية وأسماء فيالقهم وشاراتهم، وانتهى بذلك تاريخ هذه الفرقة التي كانت في بدء أمرها شوكة في حلوق أعداء الدولة العثمانية.

المشرق في العصر العثماني

إمبراطورية المغول الكبار في الهند

عندما اجتاح "تيمورلنك" المشرق في نهاية القرن الهجري الثامن، ومطلع القرن التاسع، كانت الهند إحدى أهم المناطق التي زحف إليها بجيشه، وقد لوحظ أنه اتخذ مظهراً جديداً بإعلانه أنه مسلم، وأنه يزحف باسم الإسلام لمحاربة أعدائه من الهنادكة والوثنيين، وتطهير الهند من الأصنام والمعابد الوثنية، حتى إنه تعمد زيارة قبور بعض الصالحين والأولياء تقرباً للمسلمين.

وقد اكتسح تيمورلنك الهند ووصل إلى "دلهي" وأسر الكثير من الهندوس، وغادر الهند مكتفياً بما حاز من الأسلاب والغنائم والأسرى.

وبعد خروجه منها حاول محمود شاه الثاني أحد أفراد الأسرة "الطغلقية" التي كانت تحكم الهند قبل اجتياح تيمورلنك أن يستعيد سلطة أسرته، لكن أسرة جديدة وقفت في وجهه وأسست دولة لم تستمر أكثر من ثلاثين عاماً، وعُرفت بـ "دولة السادات"، التي سقطت بدورها على يد أسرة "اللودهيين" التي كانت تحكم "لاهور" بزعامة "بهلول اللودي" الذي زحف من "لاهور" إلى "دلهي"، حيث أحسنَ الناس استقباله، وبايعوه زعيماً.

واستطاع "بهلول اللودهي، أو اللودي" (حكم من 855-894هـ/1451-1488م) توسيع نفوذ أسرته في عهده، كما اندفع نحو الجنوب، حتى وصل إلى أعماق الهند ووسطها.

وقد عُرف عن "بهلول اللودي" -إضافة إلى شجاعته- حبه للعلم والعلماء، فلما توفي وانتقلت السلطة إلى ولده "إسكندر شاه"، انتقل إلى "أكرا" واتخذها عاصمة لدولته، ونزل حياً من أحيائها، لا يزال إلى الآن يحمل اسمه: (إسكندره)، وقد حكم إسكندر من 894-923هـ/1488-1517م.

وعندما تولى الحكم من بعده ولده "إبراهيم" (923-933هـ/1517-1526م) كثرت الثورات وعمت الاضطرابات، واستقلت بعض الولايات، حتى استنجد بعض زعماء البلاد بالحاكم التيموري "بابُر"، الذي كان يسيطر على أفغانستان، ويتخذ من "كابُل" عاصمة له.

واستغل "بابر" تلك الفرصة فزحف إلى الهند ليكوّن فيها إمبراطورية مغولية جديدة دامت نحو ثلاثة قرون، وعُرفت بـ "إمبراطورية المغول الكبار".

تاريخ الإمبراطورية:

ينحدر مؤسس السلالة بابُر من تيمورلنك (عن طريق أبيه)، ومن جنكيزخان (عن طريق أمه)، وقد فقد أباه وهو في الثانية عشرة من عمره، وقاوم أعمامه الذين حاولوا الاستيلاء على ملك أبيه، واستطاع أن يسيطر على مملكة ما وراء النهر، ثم توجه إلى أفغانستان، في سنة 1504م حيث استولى على كابُل، وفي "كابل" وطّد أقدامه وبدأ بتوسيع مملكته. وبخاصة عندما أتيحت له فرصة الزحف على الهند، باستنجاد بعض أمرائها على حاكمهم من الأسرة اللودية.

وعندما استتب الأمر له في "دلهي"، بعث "بابر" ولده "همايون" في حملة للاستيلاء على "أكرا"، حيث حصل على كنوزها الثمينة، وبخاصة الماسة: "كوه نور" أثمن جوهرة في العالم، والتي آلت فيما بعد لتاج ملك بريطانيا، باعتباره "إمبراطور الهند" إثرالاحتلال الإنكليزي.

أصبح شاهاً (1526-1530م) على الهند (شمال ووسط الهند). وقد كان إضافة إلى تفوقه العسكري أديباً شاعراً فقيهاً، حتى إنه كتب تاريخ حياته في "بابر نامه"، على صورة يوميات أو مذكرات، أرخ فيها لحياته وعصره، وترجم الكتاب إلى عدة لغات. وكانت وفاته سنة 937هـ، ودفن في "كابل" حسب وصيته. وخلفه ابنه "همايون".

وفي فترة حكم "همايون" قام السلطان شيرشاه الصوري [نسبة إلى إحدى القبائل الأفغانية] بطرد همايون ابن بابر (1530-1556م) سنة 1540م إلى فارس. ثم استطاع همايون بعد خمسة عشر عاماً من إقصائه عن المُلك، أن يستعيد سلطته مجدداً سنة 962هـ/1555م بمساعدة الصفويين. ولكن القدر لم يمهله طويلاً، فقد توفي في العام التالي، ودفن في مقبرة تعتبر أثراً فنياً نادراً بين آثار المغول بالهند.

وخلفه ولده"جلال الدين أكبر" الذي بلغت الدولة أوجها السياسي في عهده (1556-1605م)، والذي أكمل سيطرته على كامل بلاد هندوستان (باكستان وشمال الهند)، وزحف إلى الشرق حتى البنغال، ثم أدخل كل الدول الإسلامية (وغيرها) الواقعة هناك تحت سلطته. كانت سياساته تقوم على التسامح، كما حاول أن يعامل المسلمين والهنود بالتساوي، قام بتجديد نظام الإدارة في الدولة.

وتواصلت جهود تطوير الدولة المغولية في عهد كل من جهنكير (جهانكير) (1605-1627 م) ثم شاه جهان (شاهجيهان) (1628-1658م). الذي حفلت أيامه بالصراع في عدة مناطق، ومع هذا فإن الدولة في عهده كانت تجتاز فترة من الرخاء والترف.

ويمتاز عصر "شاهجيهان" بالفنون المعمارية الكبرى التي لا تزال تزهو بها الهند، ومن أهمها: القلعة الحمراء "لال قلعة" في دلهي، وبداخلها "مسجد اللؤلؤة"، ومن أهم آثار عصره مقبرة "تاج محل" التي شيدها لتُدفن فيها زوجته "ممتاز محل" وشهرتها "تاج محل".

وفي أواخر عهده قام صراع على المُلك بين أبنائه الأربعة، انتهى بانتصار "أورنكزيب"، الذي اعتقل أباه، وحدد إقامته في القلعة، حتى وفاته سنة 1076هـ/1665م.

ولكن لأورنكزيب (1658-1707م) خصائص انفرد بها تقريباً، كالتنظيمات الاقتصادية التي حمت الشعب من الضرائب الجائرة. وفي عهده كثرت المدارس والمساجد والرباطات ودور العجزة، وهو الذي بنى مسجد "بادشاه" في لاهور، والذي يُعد من أكبر مساجد العالم الإسلامي. وتوفي أورنكزيب سنة 1118هـ/1707م. ولعله كان آخر "سلاطين المغول الكبار" في الهند. حيث اضطربت أحوال الإمبراطورية بعده بسبب الثورات الداخلية من جانب، وتسلط الإنكليز من جانب آخر، وزحف الفرس والأفغان على الهند من جانب ثالث، ولم يبق من أباطرة المغول بالهند من يستحق الذكر.

ففي سنة 1739م قام نادر شاه (شاه بلاد فارس) بالاستيلاء على دلهي. وفي سنة 1803م جاء دور البريطانيين للاستيلاء على الهند. تم خلع آخر السلاطين (محمد بهادر شاه) سنة 1857م من طرف البريطانيين وأصبحت الملكة "فيكتوريا" تلقب باسم "إمبراطورة الهند".

ترتيب سلاطين المغول في الهند

بابُر	932-937هـ/1525-1530م
همايون بن بابر	937-963هـ/1530-1556م
جلال الدين أكبر	963-1014هـ/1556-1605م
جهانكير	1014-1037هـ/1605-1628م
شاه جهان "الأول"	1037-1069هـ/1628-1657م
أورنكزيب	1069-1119هـ/1657-1707م
شاه عالم "الأول"	1119-1124هـ/1707-1713م
فرخ سير	1124-1131هـ/1713-1718م
شاه جهان "الثاني"	1131-1132هـ/1718-1719م
ناصر الدين محمد	1132-1161هـ/1719-1748م
السلطان أحمد	1161-1167هـ/1748-1754م
عالمكير الثاني	1167-1174هـ/1754-1760م
شاه جهان "الثالث"	1174-1174هـ/1760-1760م
شاه عالم "الثاني"	1174-1221هـ/1760-1806م
محمد أكبر الثاني	1221-1253هـ/1806-1837م
بهادر شاه	1253-1275هـ/1837-1858م
وتوفي سنة	1279هـ/1862م


سلطنة مغول الهند
في عصر السلطان محمد بابر 1525 - 1530 م
حدود سلطنة مغول الهند
فتوح السلطان ظهير الدين بن محمد بابر
سلطنات الدكن
اتجاه غزوات محمد بابُر
دولة (فيجايانكر) الهندية في الجنوب
مراكز المستعمرات الأوربية
المقياس: 1 : 19.000.000
توسع سلطنة مغول الهند
في عهد السلطان نصير الدين محمد همايون
سلطنة (مغول الهند) في ولاية همايون الأولى من 937 - 962هـ / 1530 - 1545م
خط سير (شرشاه خان) الأفغاني الذي غزا السلطنة واحتل السند وملوة ودلهي من 947-962هـ/1540-1545م
حدود سلطنة دلهي بعد عودة همايون إلى عرشه واستعادته السلطنة من 962-963هـ/1545-1546م
الصين
التبت
جبال هملايا
خراسان
بلاد الأفغان
الصفويون
أسام
برمانيا العليا
برمانيا السفلى
البنغال
بيهار
بحر العرب
خليج عمان
بحر هركند
عمان
مكران
السند
اتحاد الراجبوتانا
مرواز
ملوة
جندوانا
أوريسا
جلكندا
مملكة بهماني
ساحل ماليبار
ساحل المعبر
كابول
بيشاور
سرنغار
كشمير
قره قورم
جمو
سيالكوت
لاهور
أمرتسار
سرهند
ملتان
بتيالا
سرساوة
حصار
بيكانير
دهلي
ليالبور
جاونبور
أغرا
جدبور
أغمير
غيتور
رانتنبور
غواليور
لكنهو
قنوج
الله أباد
شنديري
خاندش
أدايبور
كلنجر
بهوبال
بنارس
شاونسا
جور
بهوتان
هوغلي
كوتش
راجكوت
أحمد أباد
كنباية
سورات
ديو
دامان
برهان بور
اسيرجاره
ناغبور
أحمد نكر
بيغابور
غوا
فيغا يانكر
قاليقوط
كوشين
كولم
مدورا
نجاتام
سرنديب
قلنب
غزنة
قندهار
قلات
بُست
سجستان
طبس
يزد
كرمان
غيرفت
هرمز
بلوخستان
تتا
الكجرات
أودة
جرها تنغا
60°
70°
80°
90°
100°
30°
20°
10°


سلطنـــة دلهـي الإسلاميــة
في عصر سلاطين أسرة لودهي ومملكة بهماني الدكنية
اتساع سلكنة دلهي في عصر بهلول لودهي 855-894هـ/1451-1489م
وإسكنـدر الثـاني بن بهـلول لـودهي 894-915هـ/1489-1905م
البلاد التـابعة لسـلطنة دلهي في عصر (أسـرة لـودهـي)
(إقـليم غزنـة - بيهــار - خــاندش - جنــدوانا)
حدود مملكة بهماني الدكنية التي انقسمت إلى ممالك الطوائف
ولايـة (فيجـايانكر) و(بـلاد الراجبوتــانا) الهنديــة
المســتعمـرات البرتغــاليــة.
المقياس: 1 : 19.000.000
خراسان
قوهستان
زابلستان
سجستان
مكران
عمان
بحر عمان
بحر العرب
السند
مروار
اتحاد الراجبوتانا
ميور
مالوة
خاندش
بيهار
البنغال
جبال هملايا
هضبة التبت
الصين
بورما
أركان
أراوادي
مملكة سيام
مملكة بهماني
جلكندا
جندوانا
أوريسا
فيجايانكر
ساحل مالبيار
ساحل المعبر
بحر هركند
(خليج البنغال)
جزر أندمان
جزر نيكوبار
سرنديب
كلة بار (ملقا)
سلاهط (مضيق ملقا)
هراة
كابول
غزنة
قندهار
بست
قلات
طوران
كرمان
يزد
طبس
لارستان
هرمز
غيرفت
مضيق هرمز
غوادار
مسقط
بيشاور
سرنغار
روالبندي
جمو
بهيرة
لاهور
سيالكوت
أمرتسار
سيملا
سرهند
ملتان
بتيالا
سرساوة
حصار
ميروت
دهلي
بيكانير
ليالبور
عليكره
الدؤاب
أوده
داولغيري
جاونبور
آغرا
قنوج
بهوتان
جدبور
أغمير
رانتنبور
غواليور
لكنهو
شاونسا
حيدر أباد
الديبل
غيتور
شنديري
الله أباد
بنارس
جور
أدايبور
كلنجر
داكا
كوتش
راجكوت
بهوبال
أحمد أباد
جبلبور
هوغلي
جمشيدبور
كنباية
ديو
سورات
اسيرجاره
بيلاسبور
بيلاسوري
دامان
برهان بور
ناغبور
غاتيا
تانه
مهارشترا
أحمد نكر
نظام أباد
حيدرأباد الدكن
بهوبانسورا
فزياناغرام
ميراج
بيغابور
راغاموندرا
راتناغيري
ريشوار
يانام
بلجاوم
غوا
بيلاري
فيغا يانكر
كزوار
مدراس
بنغالور
بلد شيري
قاليقوط
كوينبالور
نجاتام
كوشين
مدورا
جفنة
كولم
توليكورين
ترقندروم
قلنب
بانكوك
قره قورم
كشمير
60°
70°
80°
90°
100°
30°
20°
10°

الفـن المغـولـي

في عهد سلاطين الهند الكبار

بدأت بشائر الطراز الهندي الإسلامي الوطني في عهد الأسرة التيمورية، المعروفة بأسرة "كبار المغول" ورائدها "بابر". وكان في هذا الطراز معارضة واضحة للتيارات الفنيّة الهندوسية، وظاهره يذكر بالأشكال الإيرانية، لكنّه في الحقيقة يغترف من تقاليد ثابتة، ويتبع تطوراً أصيلاً. وفي عهد همايون (1530-1556م)، الذي عاش سنين عديدة في بلاط الشاه الصفوي طهماسب يمكن التثبت من وجود نفوذ فارسي، ما لبث أن انتهى في عهد "أكبر" (1556-1605م) نتيجة لنهضة المثُل الوطنية العليا التي بلغت أوجها في عهد خليفته: جيهانكير، وشاه جيهان (1628-1659م)، ثمّ تولاها الجمود تدريجياً.

وكانت مدينة "أكرا" هي عاصمة الهند في أوّل ذلك العهد، ثمّ حلّت محلها مدينة "فاتح بورسكري" التي أنشأها "أكبر" سنة 1569م واستمرّت حتى سنة 1583م. وتلتها "لاهور"، ثمّ "أكرا" مرّة ثانية، فمدينة "دلهي" في النهاية.

المدافن والمساجد:

احتلّت الأضرحة المقام الأوّل في العمارة الإسلاميّة بالهند خلال المرحلة التالية، وقد امتازت بفخامة أشكالها وأهميتها البارزة من حيث المظهر المعماري العام، واتخذت القباب هناك شكلها المميز الشبيه بزهرة اللوتس أو البصلة. وتُعدّ مدافن الحكام أهم المنشآت بهذا الشكل، وأهم هذه البنايات في القرن السادس عشر ضريح "شيرشاه" في ساهسارام، ويبدو كتلة منسقة بارزة من الماء، تحفّ بها شرفات بديعة رائعة. ولا شك أن أبدع منشأة من هذا القبيل، وربّما في كلّ العصور هي منشأة "تاج محل" قرب "أكرا"، وقد شيّدها شاه جيهان (1630-1648م) تخليداً لذكرى زوجته الجميلة الشابة. والضريح في مجموعه يوحي بعبقرية مبتكرة، ويسوده انسجام تام كأبدع ما وصلت إليه الهندسة المعمارية الأوربية في العصر الحديث.

أما في بناء المساجد فقد احتفظ المغول بالتقاليد القديمة، وروعي ترامي المباني لإظهار فخامتها، ولكن تباعد المنشآت الكبيرة أفقدها وحدة المجموع. ويُعد المسجد الكبير في "بيغابور" من أهم الأمثلة في القرن السادس عشر. وهناك المسجد الكبير الذي بدأه "أكبر" في "أكرا" ثمّ أتمه جيهانكير الذي بنى مسجد لاهور. وشُيد جامع دلهي في عهد شاه جيهان، كما شيّد شاه جيهان في مجموعة القصر في "أكرا" مسجد اللؤلؤة (1648-1655م). الذي بلغ الذروة في دقة شكله وإتقانه، وهو مشيد من الحجر الرملي الأحمر من الخارج، وداخله كله من المرمر الأبيض. وهناك مسجد أصغر بالاسم نفسه شيده أورنكزيب من الرخام، وهو مسجد القصر في دلهي.

القصور والقلاع:

بقيت العناصر الهنديّة مفضلة في عهد "أكبر"، ثمّ تراجعت في عهد خلفائه وتُعد العاصمة الجديدة "فاتح بور سكري" أهم منشآت "أكبر". وقد أحيطت من ثلاث جهات بسور يمتد (5 كيلومترات)، واستندت من الجهة الرابعة إلى بحيرة صناعية، وبها قصور للبلاط ودور للحكومة ومساجد وأسواق ومرافق أخرى. ومن آثار "أكبر": قلعة شيدت من قوالب الحجر الرملي الأحمر منذ سنة 1566م، واتخذها مسكناً عدّة مرّات، آخرها من سنة 1600 حتى سنة 1605م. وكذلك أكثر سور المدينة، وفيه باب دلهي الضخم. والقصر الأحمر الذي يُنسب خطأً إلى شاه جيهان، وتبدو الأفكار الهندسية الإيرانيّة أوضح فيه كمجموعة، بينما يبدو كلّ شكل على حدة هندياً كطريقة الإنشاء. وفيما بين 1572 و1575م شيَّد "أكبر" قصراً في "إجمير" كان يؤثر الإقامة به، ويتألف من فناء بسيط تحيط به حجرات منفردة وبوابة، وأبراج ضخمة مثمنة الأضلاع على غرار الخانات

الإيرانية. وفي القرن السابع عشر استُبعدت من عمارة القصور الهندية التفاصيل الزخرفية، وبلغ ازدهار البناء أقصاه في عهد شاه جيهان، ولم يبقَ من العمائر التي افتنّ في تخطيطها وبنائها - وكانت آية في جمال الهندسة المعمارية - سوى أبنية مفردة، كديوان الاستقبالات الرسميّة العام في قلعة "أكرا"، والديوان الخاص القائم إلى الخلف حول فناء ذي حديقة.

زخرفة البناء:

مع ظهور الكسوة الرخامية في القرن السابع عشر، بدأ الاتجاه في الهند إلى صناعة التخريم الدقيق كالدانتللا في حشوات النوافذ والتكعيبات المرمرية كما هو الشأن في "تاج محل". ثمّ إلى تطعيم الرخام بمختلف الأحجار الشبيهة بالكريمة. وبذلك اكتسب بهو المقابلات الرسمية بقصر دلهي روعة التلوين في رسوم الأزهار والعرانيس الدقيقة. كما استُعملت فسيفساء المرايا في السقوف والأجزاء العليا للجدران في "شيش محل". واستعملت في أرضيّة الجص قطع رقيقة من الزجاج الملون في نماذج كالسجاجيد وأغلفة الكتب.

ولم يكن للزخرفة بالخزف دور جوهري في الهند، وما وجد هناك من بقايا فسيفساء الخزف، أو التغشية بالبلاط، لا يمكن أن يقارن بآثار إيران. وفي العهد المغولي المتأخر استُعملت أحياناً تصاوير آدميّة لتزيين مساحات كبيرة، بعد نقلها مكبرة عن التصاوير الموجودة في بعض الكتب.

تصوير المصغرات (المنمنمات):

كانت مهنة الرسامين حتى منتصف القرن السابع عشر تلقى من اهتمام الأباطرة هناك مثل ما كانت تلقاه من أمراء فارس. ويبدو أن الرسامين الفرس الذين استقدمهم "بابر" من بخارى، حملوا معهم إلى الهند طريقة "بهزاد". لكنهم في البداية كانوا يمثلون مبادئ جديدة في التلوين. ثمّ تجدّد التأثر بالطابع الفارسي في عهد همايون. ولم يظهر أساس الطراز الوطني الهندي إلا في عهد "أكبر"، الذي شجع تصوير الملاحم والأساطير الهندية، وكانت الموضوعات التاريخية والأسطوريّة السائدة تعالج بفن تعبيري رفيع في تصوير دقيق، بل لقد كان الإمبراطور "جيهان كير" نفسه من أشدّ معاصريه ولعاً بجمع الصور.

وازداد الاتجاه الواقعي قوة بواسطة اللوحات والصور المحفورة. فوجدنا نماذج من التصوير بالنقل الأمين عن الطبيعة، وتصوير الاستقبالات الإمبراطورية بل إن الشاه جيهان أمر برسم فيلقه وخيوله وصقور صيده. وكان يُعنى بتصوير كل أمر غريب.

وحينما نشط فن المصغرات من جديد في القرن الثامن عشر، ساد الاتجاه الشعبي في التصوير، مع تفضيل الموضوعات الروائية والعاطفيّة المعتمدة على النماذج القديمة، وصاحَب تصوير الكتب مزيد من العناية بالخط وفن التجليد. وبلغت صناعة جلدة الكتاب المطلية باللاكيه -وتغلب فيها نماذج الأزهار- حداً يداني ما بلغته قبل ذلك في إيران.

الأقمشة والسجاد:

أحرزت صناعة الديباج المقصب والمخمل تقدماً كبيراً في الهند الإسلاميّة خلال القرن السابع عشر، مما يوحي باستنادها إلى صناعة المنسوجات في إيران، وبقي التطريز بوجه عام في نطاق الفن الشعبي المهذب. وفي القرن الثامن عشر أحرزت "كشمير" شهرة في الأقمشة الصوفية، جعلتها تنتقل إلى أوربا وتؤثر بعد ذلك في صناعة النسيج.

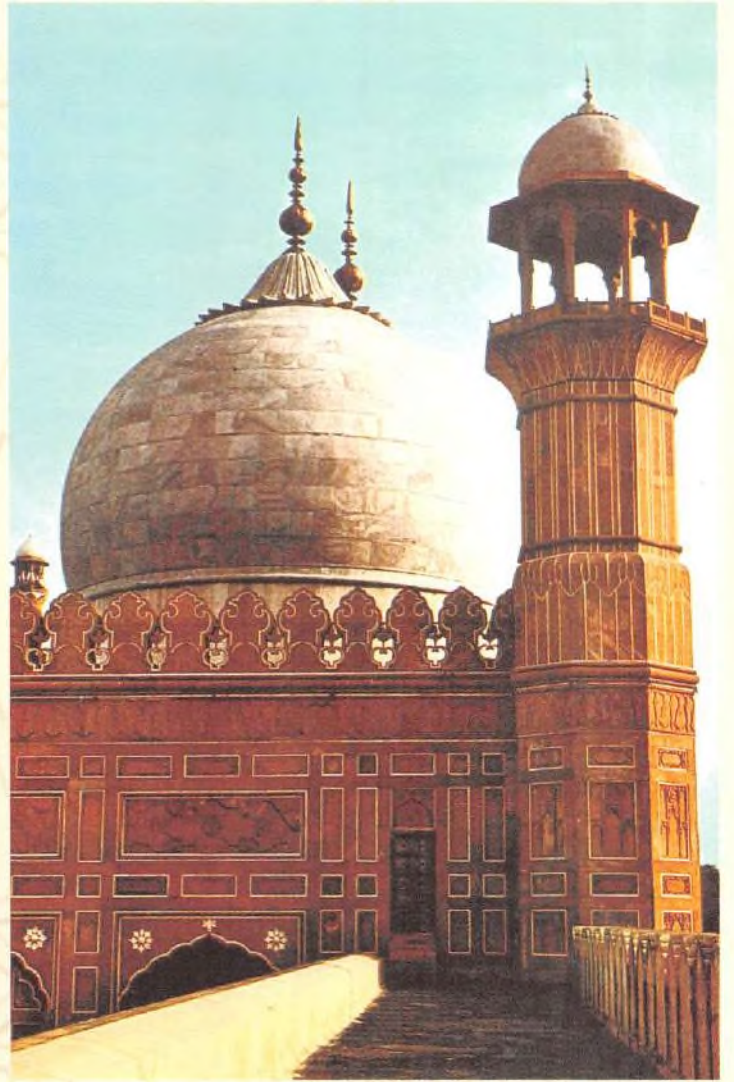
ومنذ القرن السادس عشر كانت السجاجيد المعقودة تصنع في دولة المغول، ويبدو تأثير إيران في المنتجات المرسومة لمحض الزخرفة، أكثر مما يبدو في السجاجيد المشتملة على صور الحيوان. وصار تجنّب التكرار يقتضي من الصنّاع تركيزاً فنّياً شديداً، وصارت منتجات مصانع البلاط الهندية في المرتبة الأولى خلال هذه الفترة الكلاسيكية من فترات صناعة السجاد.

من آثار إمبراطورية المغول الكبار



تفصيل من المسجد الجامع في دلهي (الهند)

تفصيل من مسجد لاهور الذي بني عام 1674م





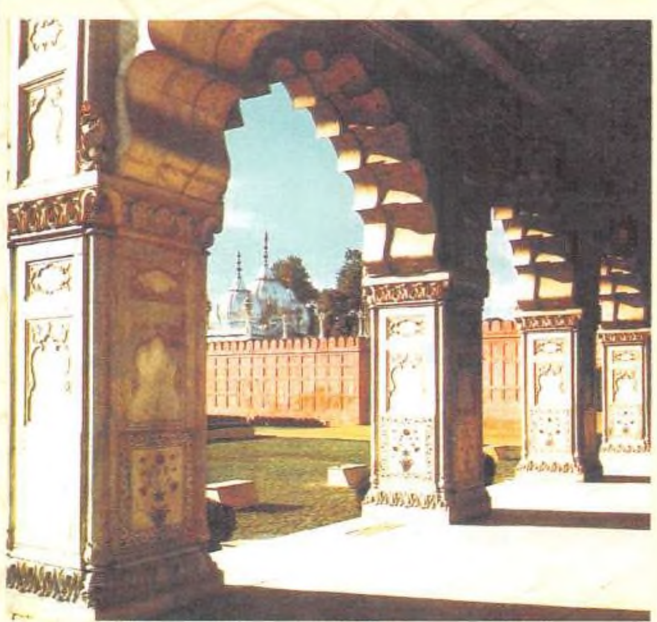
قلعة "لالاباغ" من أروع المعالم الباقية

مدرسة مغولية في أوزبكستان

من آثار إمبراطورية المغول الكبار

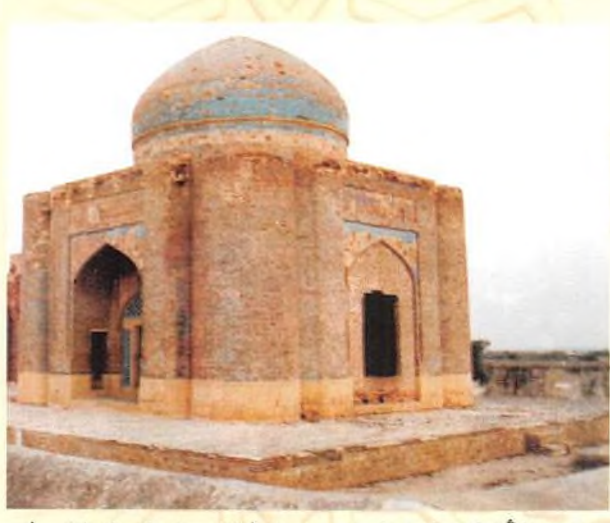

مسجد "باديشاه" الكبير في لاهور - الباكستان


مقبرة تاج محل (أكرا - الهند)


ديوان بقصر في دلهي (القرن السابع عشر)


المدفن الهمايوني بني عام 1665م


حجرة الاستقبال في "فاتح بور سكري" بالهند


مقبرة الأباطرة المغول في مدينة (تانا - شرقي كراتشي)

الصراع العثماني - الأوربي
وأثره على العالم الإسلامي

في القرن الخامس عشر نمت القوى الأوروبية، وتشكلت دول قوية كفرنسا وإسبانيا والبرتغال، التي راحت تسعى للهيمنة الاقتصادية عن طريق السيادة على البحار. وسقطت غرناطة - آخر معاقل المسلمين في إسبانيا- عام 1492م، ولكن السياسة الإسبانية كانت ترمي إلى احتلال السواحل المغربية والجزائرية والتونسية. وفي هذا الإطار عقدت معاهدة مع البرتغال برعاية البابا عام 1494م، وبموجبها ينال البرتغاليون أكثر أراضي المغرب، ويأخذ الإسبان جزءاً من شاطئه المتوسطي، وكانت توجه الدولتين السياسة الاقتصادية والدينية المتعصبة، إضافة لطرد مَن أسموهم "القراصنة المسلمين" الذين كانوا يساعدون الأندلسيين في الانتقال إلى الأراضي المغربية، أويُغيرون على بعض الأراضي الإسبانية للثأر منها.

لكن البرتغال سبقت إسبانيا إلى استعمار أجزاء كبيرة من الساحل الأطلسي في المغرب منذ 1415م. وأضافت إلى ذلك نجاحها في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بقيادة "فاسكو دي غاما"، والالتفاف حول إفريقية، في الوقت الذي نجحت فيه إسبانيا في اكتشاف أمريكا بقيادة "كريستوف كولومبس". وأنشأت البرتغال على طول السواحل إلى الهند مراكز تجارية مسلحة، ومنعت كل السفن التي لا تحمل تصريحاً برتغالياً من التجارة مع المنطقة. ونفذت هذه السياسة الاحتكارية باحتلال بعض المدن العربية الإسلامية على الشواطئ الإفريقية مثل موزامبيق وكلوة وممباسا وغيرها. وقاد هذه الحملة "ألبوكرك" الذي هاجم الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية حتى مسقط، وأحرقها وأعمل القتل في سكانها، حتى وصل إلى هرمز، فاحتلها عام 1507م، واتفق مع الشاه الصفوي على "اقتسام النفوذ" في المنطقة، وعلى التعاون في مواجهة العثمانيين.

واستثمر البرتغاليون موقع الحبشة وكونها مسيحية فحاولوا التحالف معها ضد المسلمين فأفلحوا في ذلك أمداً يسيراً، لكن الحبشة ما لبثت أن طردت البرتغاليين في القرن السابع عشر. وحاول البرتغاليون بقيادة "ألبوكرك" احتلال عدن عام 1513م فأخفقوا أيضاً، كما أخفق "لوبو سواريز" القائد البرتغالي بعده في الاستيلاء على جدة.

ولعل هذه الملابسات الموضوعية تفسر لنا بعض أسباب إصرار السلطان سليم في هذه الفترة على ضم الشام ومصر والحجاز واليمن والمنطقة الجنوبية لمنع حلقات الطوق حول الدولة العثمانية من الاكتمال، فالحلقة الشرقية "الصفويون" اتصلت بحلقة البرتغاليين والأحباش في الجنوب، وهؤلاء بدورهم ارتبطوا بالبابا والإسبان لإكمال الحلقة من الغرب.

اليمن وساحل إفريقية الشرقي والسودان: بعد احتلال مصر والشام وخضوع الحجاز، أوكلَ السلطان سليم إلى القائد المملوكي في اليمن حكمها باسمه، كما أرسل السلطان سليمان القانوني جيشاً احتل النوبة السفلى "بربرستان"، ثم احتل منطقة "حبش" على البحر الأحمر، وكانت تضم ميناءيْ سواكن ومصوع عام 1557م، واسترد "زيلع" من البرتغاليين. واستطاع العثمانيون الوصول إلى اتفاق مع ملك الحبشة يقضي بإغلاق الموانئ الحبشية في وجه البرتغاليين، وبذلك حموا البحر الأحمر منهم.

العراق: بعد معركة جالديران 1514م وهزيمة إسماعيل الصفوي، احتلت الجيوش العثمانية شمال العراق، وفي عام 1533م قام السلطان سليمان بحملته لفتح بغداد ودخلها في كانون الأول (ديسمبر) 1534م في احتفالات عظيمة. وقد مكن احتلال العراق العثمانيين من السيطرة على الطريق التجارية التي تربط الشرق الأقصى بأوروبا عن طريق الخليج.

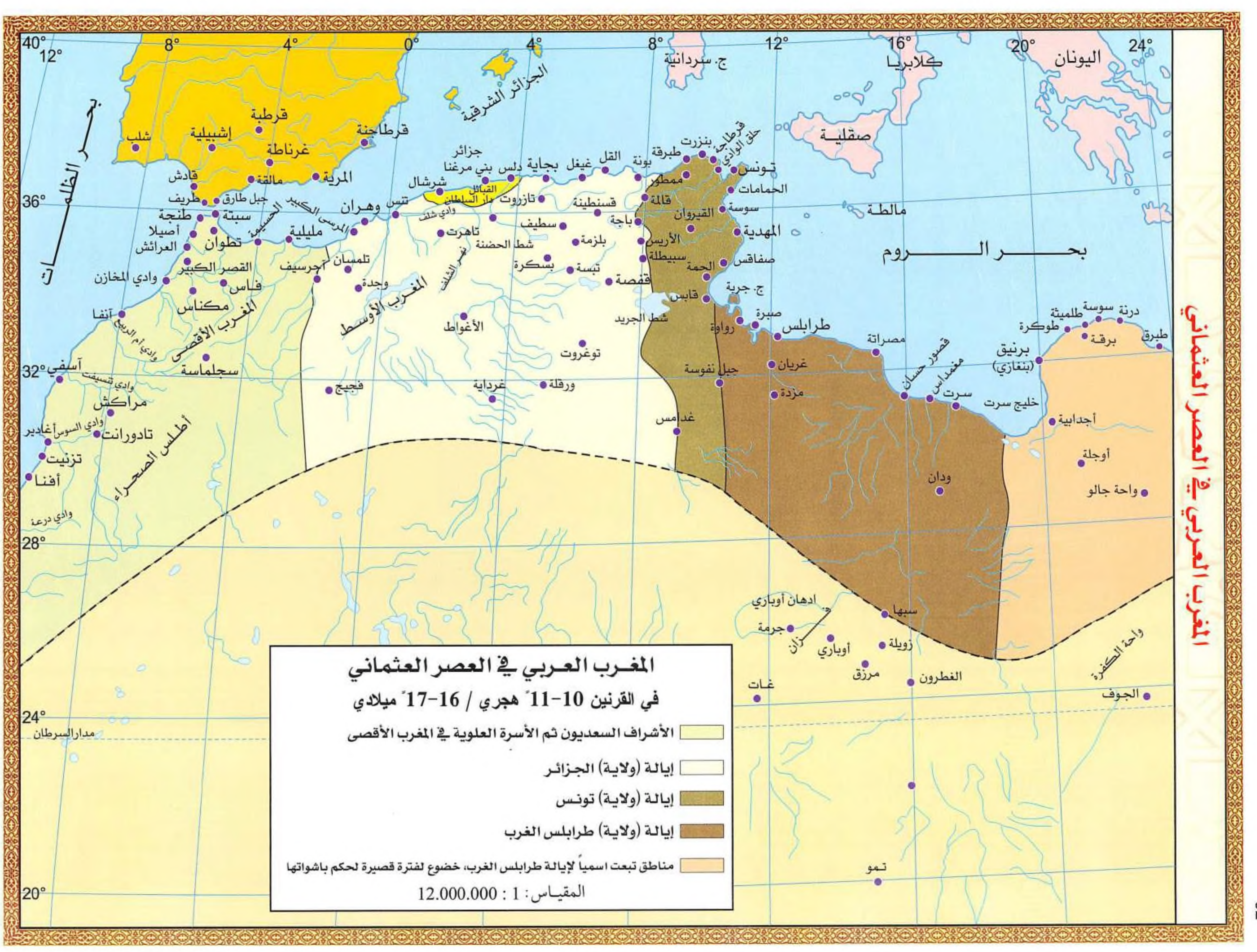
المغرب العربي (الجزائر - تونس - ليبيا): كانت حرب "القرصنة" البحرية على أشدها بين المسلمين والمسيحيين في فترة طرد المسلمين من الأندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492م. وكان عدد من المسلمين المنفيين من الأندلس قد أقاموا مراكز لهم على الشاطئ الإفريقي، فكانوا يهاجمون سواحل إسبانيا والسفن المسيحية، وانضم إليهم بحارة آخرون من مناطق إسلامية أخرى تابعة للعثمانيين، وبمساندة عثمانية رسمية. واشتهر من هؤلاء الرجال الأخَوان عروج وخير الدين "بربروسا، وتعني: أحمر اللحية"، وأصلهما من الأناضول، واتفق الأخَوان مع الأمير الحفصي في تونس على التمركز في قلعة هناك يهاجمان منها الأعداء في البحر وعلى السواحل الأوروبية. ثم ضما إليهما أخاهما إسحق. فكان الإخوة "بربروسا" يشنون هجمات على طول الساحل التونسي والجزائري. وكان البرتغاليون والإسبان قد احتلوا مراكز عديدة على ساحل المغرب والجزائر وتونس وليبيا. وقُتل عروج في معركة بتلمسان عام 1518م، فتولى خير الدين بعده القيادة. وكان خير الدين يرى أن لا قِبَل له وحده بمحاربة الإسبان، فطلب مساعدة السلطان سليم وهو في مصر، فأمده هذا بألفي جندي إنكشاري وخوله أن يطوع ألفين آخرين تألفت منهم قوة الجزائر العسكرية "أوجاق"، ومنحه لقب "بيلربي" أي أمير الأمراء، وأمده ببعض المدافع. فاستطاع خير الدين أن يجمع حوله رجال القبائل وأن يوطد الأمن، ثم قام بمهاجمة القلعة الإسبانية أمام الجزائر عام 1529م، واستولى عليها وجعل منها مركزاً للانطلاق والمراقبة والقتال ما بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي. ثم هاجم تونس واحتلها بموافقة السلطان سليمان عام 1534م، وأنهى فيها حكم أسرة الحفصيين التي انشغلت بصراعاتها الداخلية، عن مواجهة الإسبان، فمنحه السلطان رتبة "قبطان باشا" أي قائد الأسطول، إضافة إلى كونه "بيلربي" الجزائر.

أما الليبيون فقد كان وجود برباروسا على الساحة حافزاً لهم للتخلص من حكم فرسان القديس يوحنا، حيث شكل الهاربون منهم من طرابلس وفداً أرسلوه إلى السلطان العثماني عام 1526م وطلبوا مساعدته بداعي الجهاد الإسلامي. فوافق السلطان وأكرم الوفد وأرسل قوة احتلت "تاجورا" ثم أخذت توسع منطقة نفوذها.

وأما المغرب الأقصى الذي كان يعاني من احتلال برتغالي وإسباني وصراع داخلي وطاسي- سعدي أدى أخيراً إلى استعانة "أبي حسون" الوطاسي بالسلطان سليمان، والاعتراف له بالتبعية عام 1545م، فقبل السلطان، وأرسل سفيراً له. لكن زعيم السعديين أهان المبعوث العثماني وفتح صفحة عداء مع العثمانيين. وطارد الزعيمُ السعدي أمير الوطاسيين، ودخل تلمسان واحتلها، واسترد فاس عام 1554م، وانتقم من أهلها. ثم لقب نفسه لأول مرة أمير المؤمنين، وتعاون مع الإسبان ضد الأتراك واتفق معهم على طردهم. فعمد بيلربي الجزائر إلى الحيلة، حتى تمكن من قتله.

والجدير بالذكر هنا أن الطريقة التي أتم بها العثمانيون احتلال أقطار المغرب كانت برضى أهلها، أو بناء على طلبهم المساعدة لتخليصهم من حكم الإسبان والمسيحيين، وهي تختلف عن الطريقة التي أتم بها العثمانيون احتلالهم أقطار المشرق، كالشام ومصر والعراق واليمن وساحل السودان، بالقوة العسكرية والمعارك. ولعل السبب هو أن المشرق كان يحكمه مسلمون، والمغرب كان خاضعاً للمسيحيين أو تحت خطرهم، والعثمانيون مسلمون، والعلاقة الدينية هنا تفسر طبيعة الاحتلال إلى جوانب أخرى مهمة، استراتيجية واقتصادية وإمبراطورية، وصراعاً مع الأوروبيين، وسوف يكون لهذه الفروق الدينية أثر في المستقبل حتى على طبيعة القومية العربية وطبيعة ارتباطها بالإسلام، أو شدة هذا الارتباط بينهما في المشرق أو في المغرب.

المغرب العربي في العصر العثماني



المغرب العربي في العصر العثماني

الأسرة العلوية

سلسلة سلاطين الدولة العلوية في القرنين 11 و12 هـ/17 حتى 19 م

- المولى الشريف
- المولى إسماعيل (1083-1140هـ/1672-1727م)
- المولى محمد (1044-1075هـ/1634-1664م)
- المولى الرشيد (1075-1083هـ/1664-1672م)
- المولى عبد الله (1141-1171هـ/1728-1757م)
- سيدي محمد بن عبد الله (1171-1205هـ/1757-1790م)
- المولى اليزيد (1205-1238هـ/1790-1792م)
- المولى سليمان (1207-1238هـ/1792-1822م)



المولى إسماعيل
(1083-1140هـ/1672-1727م)



المولى سليمان
(1207-1238هـ/1792-1822م)

الأسرة العلوية وتوسعها في المغرب الأقصى

الأسرة العلوية في المغرب الأقصى وتواريخ توسعها

- منطقة نفوذ الدلائيين
- منطقة نفوذ السعديين
- منطقة نفوذ السملاليين
- منطقة نفوذ غيلان وآل النقيس
- منطقة نفوذ العلويين قبل التوسع
- تحركات المولى امحمد (العلوي)
- تحركات المولى الرشيد (العلوي)

البحر الأبيض المتوسط
المحيط الأطلنطي
سبتة
طنجة
تطوان 1667
العرائش
مليلية 1666
تلمسان 1653
وجدة
المهدية
سلا 1667
تازة 1664
فاس 1666
وادي سبو
نهر ملوية
أزمور
وادي أم الربيع
وادي تادلا
الزاوية الدلائية 1668
آسفي
وادي تانسيفت
المغرب الشرقي
مراكش 1669
سجلماسة
تبوعصامت
أغادير
تارودانت 1670
الزاوية السملالية
ماسة
إيليغ 1670
إلى توات

الفنون العثمانية *

العمارة الدينية:

كانت العمائر الدينية العثمانية خلال القرن الرابع عشر امتداداً للفترة السلجوقية. وهذا واضح في مدينة "بروسة" التي نعمت بازدهار في الفترة التي كانت فيها عاصمة للعثمانيين. ومن الممكن التعرف على الطراز الجديد، والأفضل، الذي ساد بعد فتح القسطنطينية. كما في مسجد "أولو جامع" الذي شيد هناك في أواخر القرن الرابع عشر، وقد استُعمل هذا الطراز في كثير من مساجد الأناضول وأولى مساجد "الروميللي" وبلغ ذروة الكمال في "يشيل جامعي" الذي شيد سنة 1224م بواجهة من طبقتين، وله بوابة على الطراز السلجوقي، وصحن متقدم به نافورة. وقد لوحظت صلات بين هذه المدرسة وبين الهندسة المعمارية المملوكية بالقاهرة.

وقد اهتدى المهندسون المعماريون الأتراك إلى حلّ لمشكلة المكان كما في مسجد "محمدية"، الذي شيده محمد الفاتح بين سنتي (1463م و1469م). ويلي هذا المبنى في الأهمية جامع "بايزيدية" الذي بني بأمر السلطان بايزيد بين سنتي 1551م و1507م، وتدل تفاصيله على أنّه يتبع مبنى "أياصوفيا" أكثر ممّا يتبع غيره، وله مثله أروقة جانبيّة، ومئذنتان لهما الشكل الممشوق المميز لطراز القسطنطينية.

سنان ومدرسته:

بلغ تطوّر الهندسة المعمارية التركية قمته في القرن السادس عشر من حيث كمال الطراز والبناء، على يد فنان عبقري موهوب هو "سنان" أو خوجه معمار سنان (904-986هـ/1489-1578م). وسواء أكان يونانياً أم تركياً فقد ظلّ تركياً صرفاً في أدق تفاصيله، وطبع عصراً كاملاً بطابعه. وهناك ثلاثة مبان تمثل تطوره الفني، صبياً وعريفاً ومعلماً، كما جاء في مذكراته، وهي: جامع "شاه زاده" الذي شيده فيما بين سنتي 1543م و1548م مقتبساً من تخطيط جامع "محمدية"، وجامع "سليمانية" الذي شيده فيما بين سنتي 1550 و1556م وأخيراً جامع "سليمية" الذي شيده في أدرنة بين سنتي 1570 و1574م. وهو أهم أعماله وربما كان آخرها. وفي القسطنطينية جوامع أخرى من عمل "سنان"، وقد بلغ عدد مبانيه نحو (318) مبنى كما ورد في مذكراته.

الأبنية المدنية:

كانت دور السكن التركيّة "كوناك" (القناق) تقام عادة من طبقات خشبية متعددة، تشتمل أدناها على حجرات للاستقبال "سلاملك"، وتشتمل الثانية فوقها على غرف لسكنى الحريم "حرملك". كما أخذ الأتراك عن السوريين نظام القاعة المزخرفة الجدران التي تتوسطها نافورة. أما الخانات في ذلك العصر، فلم تعد تشيد على الطريقة السلجوقية، بل استندت إلى الطراز المملوكي القائم على أفنية متعددة الطبقات ذات بوائك "أعمدة"، وكانت الأماكن في أسفلها تُستعمل مخازن وإسطبلات، والعليا للسكنى. وكان لبعضها عدة صحون. وقد شيدت طائفة فخمة من هذه الخانات في القرن السادس عشر بإستانبول. كما شيد سنة 1752م بدمشق خان "أسعد باشا"، الرائع البناء والتشكيل.

وتعُد "السبل" التي شيدت في العاصمة العثمانية ذات أهمية خاصة من حيث هندستها المعمارية، وأبدعُها ما أقامه السلطان أحمد الثالث قرب "بابي همايون" عند "عصب قبو"، وفي "طوب خانة".

زخرفة المباني العثمانية:

لعل أهم ما يميز الفن العثماني هو التفاصيل الزخرفية، وقد أمكن في حالات كثيرة تتبع تطور الأشكال العثمانية المأخوذة عن البدايات السلجوقية، ولم يطرأ تغيير يذكر على الأجزاء المفردة في المباني كالأبواب والمحاريب، وساد موضوع المقرنصات،

* الفن الإسلامي: 162-180 بإيجاز وتصرف.

واستخدم في أكثر التيجان والركائز. وأصبحت التغشية بالرخام أكثر اتفاقاً مع الهندسة المعمارية، كما بقيت للخزف أهميته الكبرى في التحلية الداخلية، وحدثت فيه تجديدات عدّة. أمّا الفسيفساء الخزفيّة التي أنتجت "قونية" أعمالاً باهرة منها فاندثرت، وحلت محلّها التحلية بالبلاط في عهد بروسة. كما قام الفنانون الذين استُقدموا من تبريز لزخرفة الكتب بوضع نماذج لتغشية الجدران بالجوامع والقصور بالقسطنطينية. وبذلك ظهر طراز جديد في الزخرفة تناول عدا التحليات الفارسية الأصل زخرفةً نباتية محورة عن الطبيعة، أصبحت تميز الطابع العثماني، وتتألف من السنبل والخزامى والقرنفل والورد وعرانيس الكرم والرمان، وما إليها في تناسق وتوازن. وشاع استعمالها في محاريب الجوامع ومواقد المساكن.

الكتاب العثماني:

كانت مدرسة الخط في إستانبول وليدة "مدرسة تبريز" التي وضع أساتذتُها الإيرانيون أساس الازدهار في مختلف فروع صناعة الكتب. واستمر تأثيرهم إلى حد يصعب معه التمييز بين منتجاتهم ومنتجات مقلّديهم الأتراك، وهناك نسخ فاخرة من المصحف في متحف الأوقاف وغيره في تركيا، كتب بعضَها مشاهيرُ الخطاطين الذين تفوّقوا في العهد العثماني، وبخاصة في خط الثلث. وكانوا يصنعون رسوم زخرفة الجوامع والنقوش الكتابية التذكارية وغير ها، كما كان الموظفون منهم بالديوان يقومون بكتابة المراسيم والفرمانات، وتتوجها طغراء السلطان أو توقيعه.

الأقمشة والمطرزات والسجاد:

كثرت المنسوجات في آسيا الصغرى خلال العهد العثماني عمّا كانت عليه في العهد السلجوقي. ومنذ القرن السادس عشر بدأ الإنتاج العثماني ينافس مصنوعات البندقية وإسبانيا في الأسواق الأوروبية. ومنسوجات هذا العصر غنية بالألوان جداً، وكانت تستعمل في الستائر ومفارش الموائد وما شاكلها.

ومنذ منتصف القرن السادس عشر وجدت بجانب السجاد الكلاسيكي الذي ابتدع في الأناضول منتجات تختلف كثيراً من حيث الرسم والصناعة الفنية، وهي استمرار مباشر لسجاد المماليك بالقاهرة. ولذلك قيل إن جانباً منها أنتجته المصانع التي نُقلت من القاهرة إلى تركيا. ومنظرها العام يقوم على زخرفة الأزهار المحورة عن الطبيعة، وقد صارت هذه الزخرفة هي الطابع المميز لكلّ فنون الطراز العثماني في عهد ازدهاره. وفي محيطها البهيج ما يذكّر بالسجاجيد الإيرانية المعاصرة لها، وما يدل على أنها من منتجات مصنع تابع للبلاط، وكانت توجد من نوعها سجاجيد صلاة صُوِّر فيها المحراب بصورة طرازية واضحة.

الأدوات العثمانية:

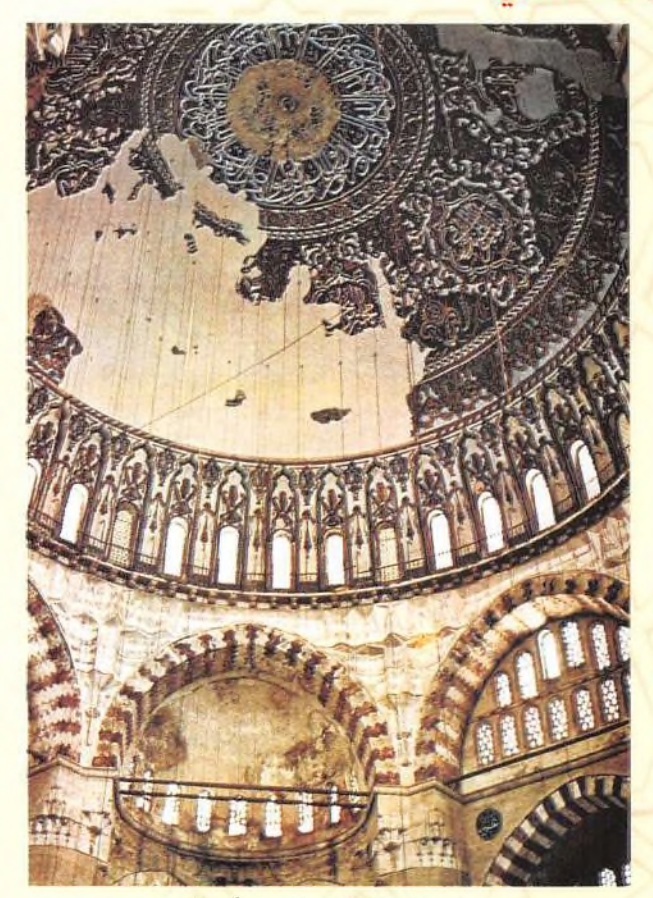
تضم متاحف إستانبول كثيراً من الصناديق المعدّة لحفظ المصاحف، بأشكال مختلفة، كما تضمّ كثيراً من الكراسي التي توضع عليها، وأدوات أخرى من بقايا أثاث الجوامع بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وكان يدخل في صناعتها التطعيم بالعاج والصدف وغيرهما. ثم شملت هذه الصناعة مقاعد وموائد مدنية وما شاكلها. وصُنعت مقادير كبيرة منها في إستانبول ودمشق تلبية لاحتياجات الأسواق.

أمّا الأدوات البرونزية فقلّ استعمالها كثيراً وفيما عدا قناديل الجوامع المخرمة التي صُنعت على غرار مثيلاتها بالقاهرة في أواخر العصر المملوكي لم تظهر منتجات تستحق الاهتمام، أمّا صناعة الأسلحة فقد استطاع الفنانون الأتراك منافسة روادهم الفرس فيها. وفي القرن السابع عشر كانت الخناجر التركيّة تزخرف أغمادها ومقابضها بزخارف "الأرابسك" والأزهار، وتطلى بالميناء الشفافة. وتمثل "خوذات الصاعقة" العثمانية المضلعة شكل الخوذة المميز، وقد أدخلت إلى هنغاريا وبولندا أثناء الحروب العثمانية في أوربا.

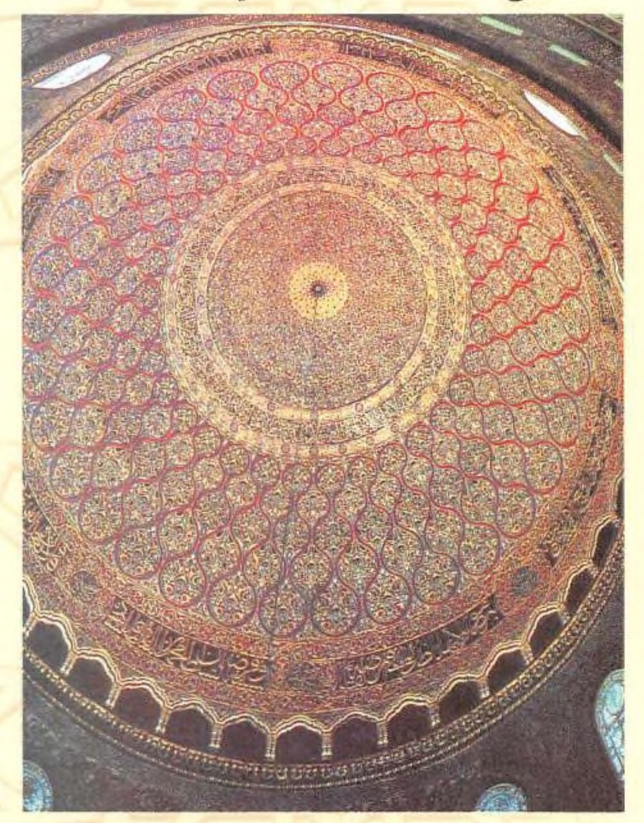
من آثار العصر العثماني



جامع السلطان سليمان القانوني - إستانبـول



جامع السلطان سليم - أدرنة



قبة الصخرة بالقدس بنيت عام 1540م



زخرفة حجرية بديعة على أحد جدران "بيت غزالة" بحلب

من آثار العصر العثماني



زخرفة حجرية بديعة من البيمارستان القيمري بدمشق



تحت هذه القبة يرقد أعظم المهندسين المعماريين في تاريخ الدولة العثمانية (سنان باشا) الذي خطط وأشرف على تشييد عشرات الأبنية والمساجد، التي غدت مدرسة في فن العمارة الإسلامية إلى يومنا.



قطعة خشبية مزخرفة ومغشاة بالصدف نقشت في حلب



خان أسعد باشا بدمشق - بني سنة 1248هـ



ساعة باب الفرج بحلب - أثر عثماني متميز

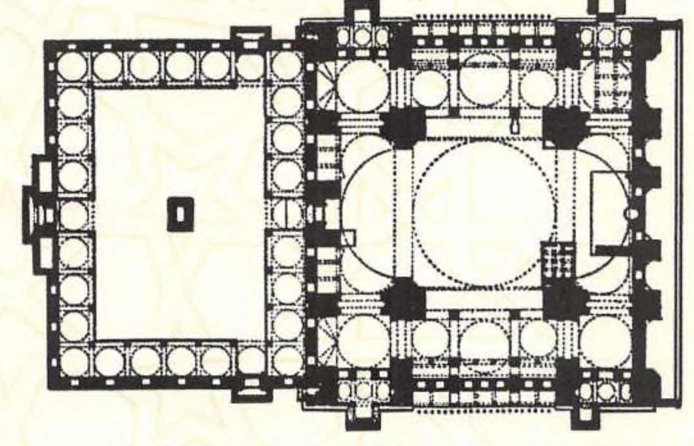
من آثار العصر العثماني



صحن جامع سنان باشا في دمشق



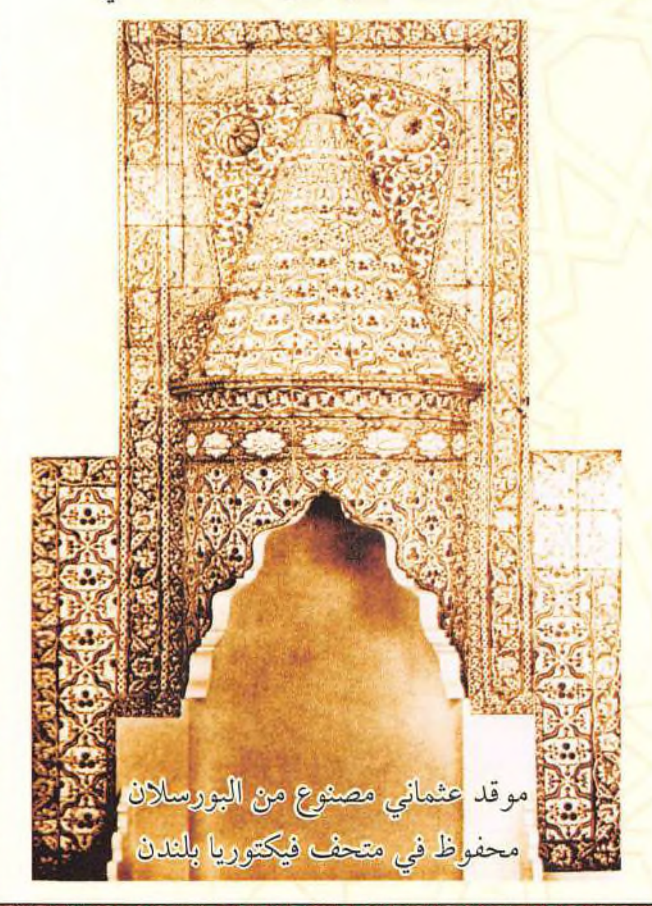
سجادة صلاة مصرية من العصر العثماني



تصميم جامع السلطان سليمان في إستانبول



قطعة ديباج عثمانية محفوظة في متحف الفن المزين في باريس

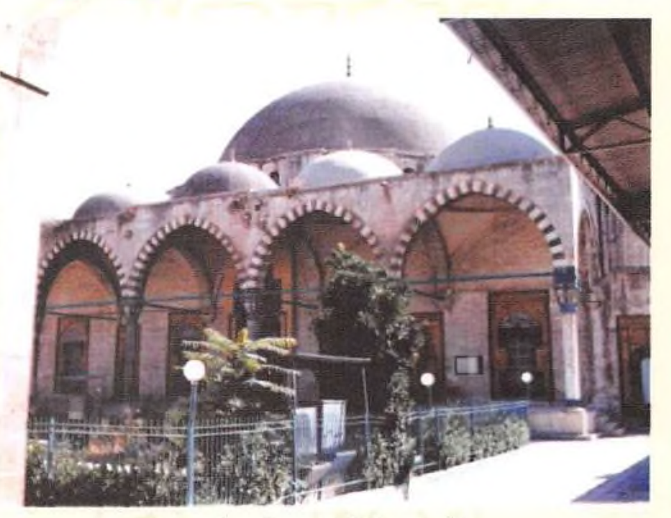


موقد عثماني مصنوع من البورسلان محفوظ في متحف فيكتوريا بلندن



صحفة عثمانية من البورسلان محفوظة في متحف لندن

من آثار العصر العثماني



المدرسة الخسروية بحلب

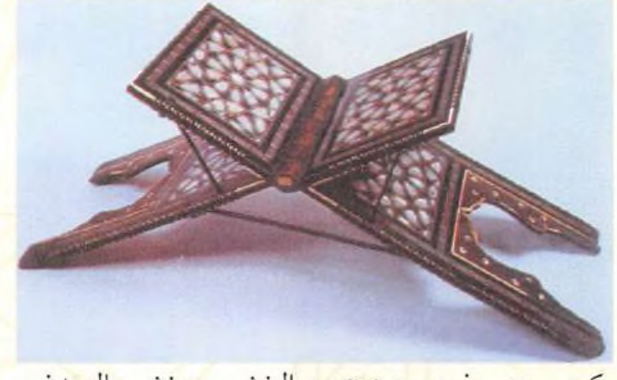


قصر العظم بدمشق

مشرب ماء (سبيل) قرب قصر العظم بدمشق



التكية السليمانية بدمشق



كرسي مصحف- مصنوع من الخشب ومغشى بالصدف



خاتم السلطان العثماني سليمان القانوني

من آثار العصر العثماني





نمطان من أزياء اشتهرت في العصر العثماني

قفطان حريري مطرز بالقصب وخيوط الذهب من القرن 11 هـ - متحف طوب قابي بإستانبول



جبة عثمانية محفوظة في متحف طوب قابي بإستانبول

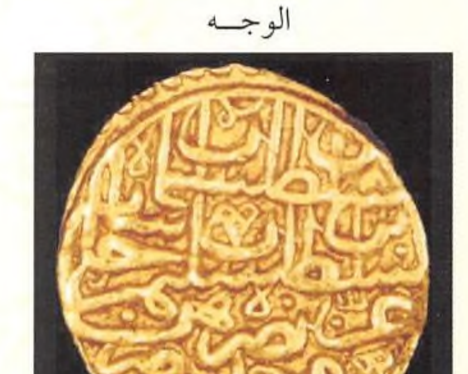
بيضة مضلّعة، مصنوعة من الفضة، ترجع إلى عهد السلطان العثماني سليمان القانوني محفوظة بمتحف طوب قابي في إستانبول.



بيضة مصنوعة من البرونز ودرع من الزرد لمقاتل عثماني، القرن السابع عشر للميلاد محفوظان بمتحف طوب قابي - إستانبول.

من آثار العصر العثماني

الوجـــه | الظهـــر





سلطاني ذهبي عثماني ضرب في حلب سنة 926 هـ على عهد سليمان الأول بن سليم العثماني - يبلغ قطره 1.8 سم



سلطاني ذهبي عثماني ضرب في مصر سنة 982 هـ على عهد مراد الثالث بن سليم العثماني - يبلغ قطره 2 سم



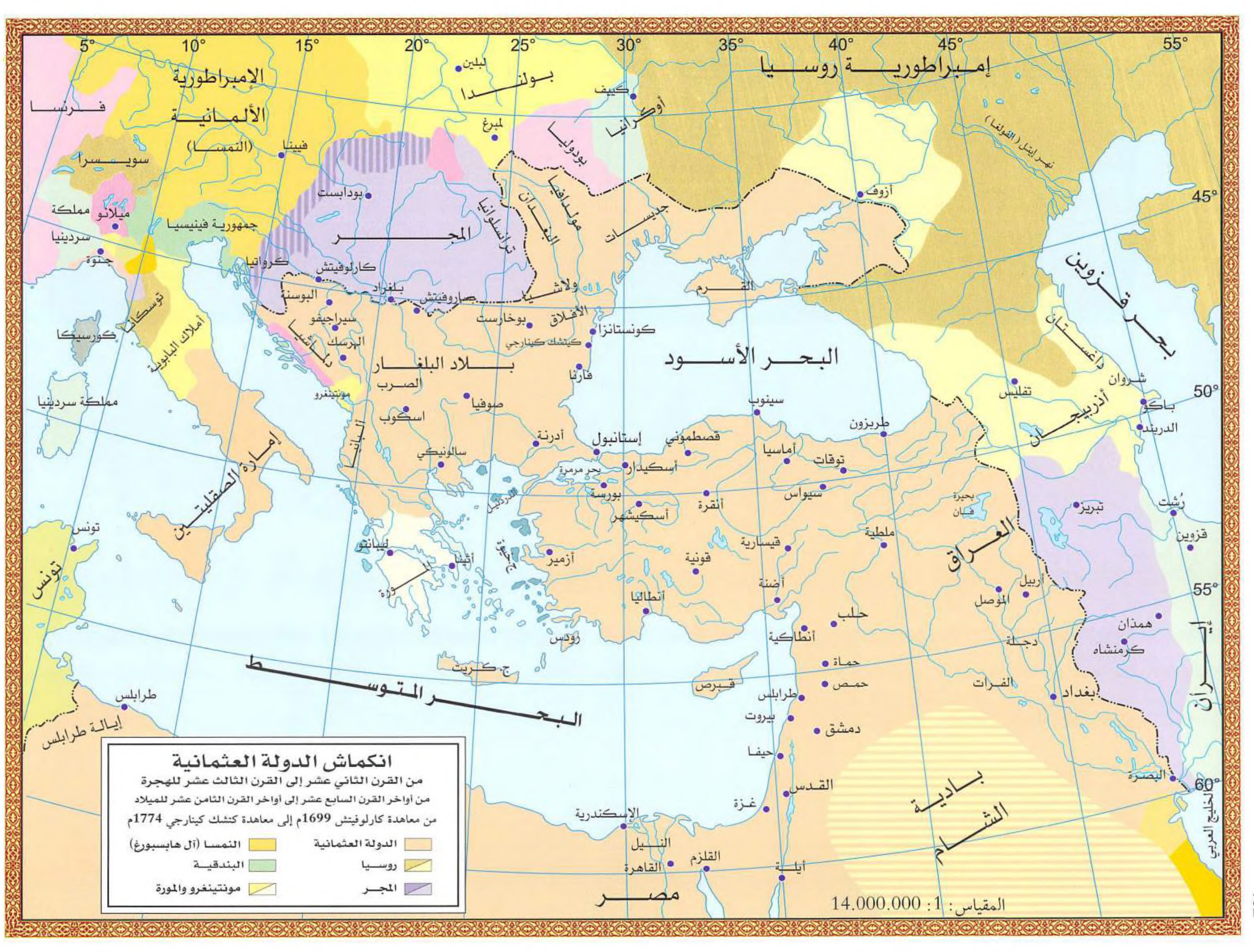


ربع عدلي ذهبي عثماني ضرب في القسطنطينية سنة 1223 هـ على عهد محمد الثاني بن عبد الحميد العثماني - يبلغ قطره 1.3 سم





500 قرش ذهبي عثماني ضرب في القسطنطينية سنة 1336 هـ على عهد محمد السادس العثماني - يبلغ قطره 3.5 سم



انكماش الدولة العثمانية
من القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر للهجرة
من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد
من معاهدة كارلوفيتش 1699م إلى معاهدة كتشك كينارجي 1774م
الدولة العثمانية
روسيا
المجر
النمسا (آل هابسبورغ)
البندقية
مونتينغرو والمورة
المقياس: 1 : 14.000.000
إمبراطورية روسيا
الإمبراطورية الألمانية (النمسا)
فرنسا
سويسرا
بولندا
أوكرانيا
بودوليا
مولدافيا
البغدان
ترانسلوانيا
المجر
ولاشيا
الأفلاق
جديسات
القرم
بحر قزوين
داغستان
أذربيجان
البحر الأسود
بلاد البلغار
الصرب
البحر المتوسط
إمارة الصقليتين
أملاك البابوية
توسكانا
جمهورية فينيسيا
مملكة سردينيا
كورسيكا
تونس
إيالة طرابلس
العراق
بادية الشام
إيران
مصر
الخليج العربي
نهر إيتل (الفولغا)
بلين
كييف
لمبرغ
فيينا
بودابست
ميلانو
جنوة
كرواتيا
كارلوفيتش
بلغراد
بتروفيتش
البوسنة
سيراجيفو
الهرسك
دلماسيا
مونتينغرو
بوخارست
كونستانزا
كيتشك كينارجي
فارنا
صوفيا
اسكوب
سالونيكي
أدرنة
إستانبول
بحر مرمرة
أسكيدار
بورسة
أسكيشهر
الدردنيل
ليبانتو
أثينا
المورة
أزمير
رودس
ج. كريت
قسطموني
سينوب
أماسيا
توقات
طربزون
سيواس
أنقرة
قيسارية
قونية
أنطاليا
أضنة
ملطية
بحيرة فان
أنطاكية
حلب
حماة
حمص
قبرص
طرابلس
بيروت
دمشق
حيفا
القدس
غزة
أيلة
الإسكندرية
النيل
القاهرة
القلزم
تفليس
شروان
باكو
الدربند
تبريز
رشت
قزوين
أربيل
الموصل
دجلة
الفرات
بغداد
همذان
كرمنشاه
البصرة
آزوف
طرابلس

102

ضعف الدولة العثمانية
وظهور "المسألة الشرقية"

بدأ الخط البياني للخلافة العثمانية بهبوط مستمر، وإن كان يتوقف عن الهبوط، ويسير مستوياً في بعض المراحل لقوة بعض الخلفاء النسبية أو لهمة حاشيتهم وخاصة الصدر الأعظم، وقد طالت هذه المرحلة إذ زادت على ثلاثة قرون ونصف (974 - 1327هـ) وذلك يعود لهيبة الدولة السابقة، واتساع رقعتها، والعاطفة الإسلامية الباقية نسبياً، واختلاف الدول الأوربية فيما بينها على التقسيم، وقيام بعض الخلفاء الأقوياء نسبياً، وخلفاء هذه المرحلة هم:

سليم الثاني، مراد الثالث، محمد الثالث، أحمد الأول، مصطفى الأول، عثمان الثاني، مراد الرابع، إبراهيم الأول، محمد الرابع، سليمان الثاني، أحمد الثاني، مصطفى الثاني، أحمد الثالث، محمود الأول، عثمان الثالث.

ثم بدأ عصر الضعف الكبير الذي عاصر النهضة التي تمت في الدول الأوربية، واتفاقها كلها مع خلافها بعضها مع بعض على الدولة العثمانية والتفاهم على حربها وتقسيمها، وقد عرف هذا الاتفاق ضد الدولة العثمانية في الأدبيات الأوروبية باسم "المسألة الشرقية" أي مشكلة الدول الواقعة في الشرق من أوروبا.

وقد توالى من الخلفاء في هذا العصر الممتد من عام (1171 - 1327هـ) أي أكثر من قرن ونصف تسعة خلفاء هم:

مصطفى الثالث، عبد الحميد الأول، سليم الثالث، مصطفى الرابع، محمود الثاني، عبد المجيد، عبد العزيز، مراد الخامس، عبد الحميد الثاني. (خُلع وبدأ عصر الاتحاديين).

بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني أصبح كل شيء في الخلافة بيد الاتحاديين، أما الخليفة فكان صورة، غير أن الأمر لم يطل إذ لم يتعاقب على الخلافة سوى ثلاثة خلفاء، وكانت الدولة قد اشتركت في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا، فهزمت وتجزأت، وغادر البلاد رجال الاتحاد البارزين أو الذين كانت بيدهم الأوامر والنواهي، وجاء إلى الحكم من جديد مصطفى كمال الذي ألغى الخلافة التي دامت أكثر من أربعة قرون، وبزوالها انقسمت البلاد التي كانت تحت سيطرتها، وتقاسمتها دول الاستعمار الأوربي. أما الخلفاء الذين تعاقبوا أيام حكم الاتحاديين فهم:

محمد رشاد (محمد الخامس)، محمد السادس (وحيد الدين)، عبد المجيد الثاني (آخر العثمانيين).

"المسألة الشرقية"

في القرن التاسع عشر صارت الدول الأوربية تنظر إلى دولة "الخلافة العثمانية" على أنها "رجل أوربا المريض". فقد طالما شاخت الإمبراطورية التي كانت مصدر الرعب لكل القوى الأوروبية التقليدية، والتي وصلت جيوشها في وقت ما إلى أسوار فيينّا عاصمة إمبراطورية النمسا والمجر، بعدما اجتاحت دول البلقان وجنوب شرق أوروبا، فلما دب فيها الضعف والتفسخ تبدت أمام كل القوى المتربصة فرص وراثتها، وراحت كل قوة منها تدبر وترسم السياسات، بل وتحيك المؤامرات لتفوز بأكبر مساحة من تركة "الرجل المريض"، وأصبح التعامل مع تداعيات الانهيار العثماني الوشيك هو شاغل الدنيا والناس.. وكان ذلك هو محور المصطلح الذي شاع منذ منتصف القرن التاسع عشر، وعُرف بـ "المسألة الشرقية".

في 1683م هزمت الجيوش العثمانية أمام "فيينا" في حصارها الثاني للمدينة النمساوية، وتلا ذلك تقهقر عثماني بطيء عبر سهول المجر تخللته هزائم جديدة. كان فشل معركة فيينا إيذاناً بتوازن جديد للقوى في وسط وشرق أوربا، بدأت أوربا على إثره في إعادة الكرة بعد أن تراجعت لأكثر من قرنين أمام العثمانيين. وطوال

القرن الثامن عشر كان الخطر الأكبر على الدولة العثمانية هو الخطر الروسي. إذ إن بريطانيا شغلت بشرق وجنوب آسيا وأمريكا الشمالية، كما أن فرنسا التي طمحت منذ 1671 في عصر لويس الرابع عشر بمملكة في الشرق هزمت هزيمة مؤلمة في حرب السنوات السبع (1756-1763)، مما أدى إلى تراجعها في السباق على الهند.

ولكن خسارة بريطانيا لأمريكا جعلها توجه اهتماماً أكبر لمسألة الصراع على، أو مع الحوض الإسلامي، وبشكل خاص الدولة العثمانية. وبعد أن كان الموقف البريطاني في معظم الأحوال يميل لمساندة الروس في صراعهم مع "الآستانة" أصبح ينظر إليهم كمنافس خطر.

في 1668 بدأت كاترين الثانية -ملكة بريطانيا- حملة عسكرية كبرى ضد الوجود العثماني في شبه جزيرة القرم، وفي 1770 كانت قواتها تستعد للتقدم نحو "الآستانة" ذاتها، وقد شهد العام التالي مذبحة هائلة لمسلمي البلقان. وفي إطار السياسة البريطانية الجديدة حاول اللورد بيت، رئيس الوزراء البريطاني التدخل لصالح العثمانيين ضد كاترين الثانية، ولكن الرأي العام البريطاني لم يكن ليكترث بمصير "الآستانة".

وفي 1798 هبط بونابرت على رأس حملة فرنسية لاحتلال مصر، تحركه من ناحية أحلام إمبراطورية الإسكندر المقدوني، ومن ناحية أخرى طموحات فرنسا لقطع طريق بريطانيا إلى الهند وتحويل المتوسط إلى بحيرة فرنسية. وفي 18 فبراير/ شباط من العام التالي كانت أحلام نابليون تتحطم أمام أسوار عكا، حيث لعب الأسطول البريطاني دوراً لا بأس به في المعركة، وسرعان ما قام بقيادة "نلسون" بتدمير سفن نابليون في "أبي قير" على الشواطئ المصرية، كما عقدت لندن اتفاقية مع الآستانة تضمن فيها بريطانيا أملاك العثمانيين لمدة ثماني سنوات ضد أي غزو خارجي.

المسألة الشرقية وتصادم المشاريع الأوربية:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أخذ الأوروبيون بتأجيج "المسألة الشرقية"، التي نجمت عن المطامع الاستعمارية في دولة الخلافة العثمانية، حيث كانت الدول الكبرى تقوم بمناورات من أجل فرض سيطرتها على أقاليم دولة الخلافة العثمانية الآفلة، أو إقامة مناطق نفوذ في هذه الأقاليم، وهكذا كانت "آليات المسألة الشرقية تكمن في أوروبا"، وحسمت المسألة الشرقية في نهاية الأمر بهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى.

وبينما كانت الحرب على أشدها، وانهيار دولة "الخلافة" وشيكاً، أدت المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا لاحقاً إلى اتفاق (سايكس - بيكو) السري، بشأن اقتسام تركة "الرجل المريض" -كما كانوا يطلقون على الدولة العثمانية-، على أساس مجالات نفوذ الدول الكبرى، وكان الغرض من ذلك أن يحولوا دون قيام دولة عربية واحدة، لما تنطوي عليه من احتمالات بأن تغدو مركزية للشعوب الإسلامية بديلة عن دولة "الخلافة العثمانية" الآفلة، وهو ما كان محور الاهتمام الأوروبي طوال اشتعال "المسألة الشرقية".

وسيصبح هذا الاتفاق (سايكس بيكو) مرتكزاً للسيطرة الاستعمارية الأوروبية على المشرق العربي الإسلامي، بعد أن أضحت الولايات العثمانية السابقة بكامل جغرافيتها مخترَقة أوروبياً منذ بدايات القرن العشرين.

ومن المعروف أنه بالتزامن مع تأجيج "المسألة الشرقية"، بدأت ملامح اليقظة العربية بالظهور، وانصبّ جهد عدد كبير من المفكرين والعلماء العرب المسلمين على إصلاح أحوال دولة "الخلافة" العثمانية، في حين برزت في إطار هذه اليقظة، أنماط من الدعوة إلى إعادة الاعتبار للعنصر العربي على نحو ما ذهب إليه "عبد الرحمن الكواكبي" في الدعوة إلى خلافة عربية للمسلمين، تكون سبيلاً لإصلاح أحوال "الخلافة".

القسم الثالث

بداية عصر الاستعمار

بداية عصر الاستعمار

حملة نابليون على مصر والشام

"أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت لهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح؛ فلا تصدقوه؛ وقولوا للمُشككين إنني ما قصدت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى؛ وأحترم نبيه والقرآن العظيم".

بهذه العبارات خاطب نابليون المصريين في المنشور الأول الذي وزعته جيوش حملته على شعب مصر، وبرغم كل وسائل التودد فقد أبدى المصريون عدم تقبلهم للفرنسيين.

واحتلت القوات الفرنسية القاهرة، وارتكبت من الفظائع ما أعاد إلى ذاكرة الناس فظائع المغول والحملات الصليبية.

وبعد احتلال القاهرة واصل نابليون احتلاله لبقية مدن مصر، ثم توجه إلى فلسطين واحتل غزة والرملة ويافا، كما حاول احتلال عكا، ولكن يقظة مقاومة أهلها بقيادة أحمد باشا الجزار حالت دون بلوغ نابليون ما أراد من حملته عليها.

لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر بداية لفصل جديد من فصول التاريخ العربي والإسلامي، لأنها كرست ما يمكن تسميته "عصر الاستعمار الحديث"، وكانت أول هجوم غربي "صليبي" على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ومن هنا فقد بادر السلطان "سليم الثالث" بإعلان الجهاد ضد الفرنسيين (1213هـ/1798م)، واستجاب لدعوته المسلمون في الحجاز والشام وشمال إفريقية، تلبية "لداعي الجهاد".

الإنكليز وصراع المصالح:

كانت بريطانيا تتابع أخبار الحملة الفرنسية على مصر بدقة متناهية، وعندما وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر أرسلت إنكلترا أسطولاً بقيادة الأميرال "نيلسون" الذي فاجأ الأسطول الفرنسي وهو رابض في خليج "أبي قير"، واشتبك معه في معركة أدت إلى إغراقه في أول آب - أغسطس (1798م)، وكان لمعركة أبي قير البحرية نتائج خطيرة من أهمها:

* أنها كبدت البحرية الفرنسية خسارة جسيمة قضت على كل أمل في إمكان إحيائها، وبذلك ظلّ الإنكليز أصحاب السيطرة في البحار.

* فرض الإنكليز حصاراً شديداً على الشواطئ المصرية المطلة على البحر المتوسط حتى أصبح من المتعذر على فرنسا أن ترسل النجدات لجيشها بمصر.

* اضطر الفرنسيون في مصر إلى الاعتماد اعتماداً كلياً في تدبير شؤونهم وسد حاجاتهم في هذه البلاد على مواردها الداخلية وحدها، وكان لذلك أكبر الأثر في اتباع بونابرت لما عُرف "بالسياسة الإسلامية الوطنية" التي كان هدفها توفير أسباب الحياة لجيوش حملته، وترويض المصريين بشتى الأساليب على قبول حكم أجنبي "استعماري". غير أن هذه السياسة فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهداف بونابرت، فانطلقت المقاومة في الدلتا والصعيد، ثم كانت ثورة القاهرة. وكان بونابرت وقت اندلاع الثورة خارج القاهرة، فعاد إليها مسرعاً ونصب المدافع على تلال جبل المقطم لتؤازر مدافع القلعة في إطلاق القنابل على حي الأزهر، مركز حركة "الجهاد والمقاومة". وانتقم الفرنسيون من المصريين في القاهرة وضواحيها أبشع انتقام، فنهبوا ديار حي الأزهر والأحياء المجاورة، وأعدموا المشايخ الذين حرضوا على الثورة، وصادروا ممتلكاتهم، وأحاطوا القاهرة وضواحيها بالحصون والقلاع والمعاقل، وهدموا في سبيل ذلك الشيء الكثير من المنازل والقصور كما جاء في تاريخ الجبرتي.

نهاية الحملة الفرنسية

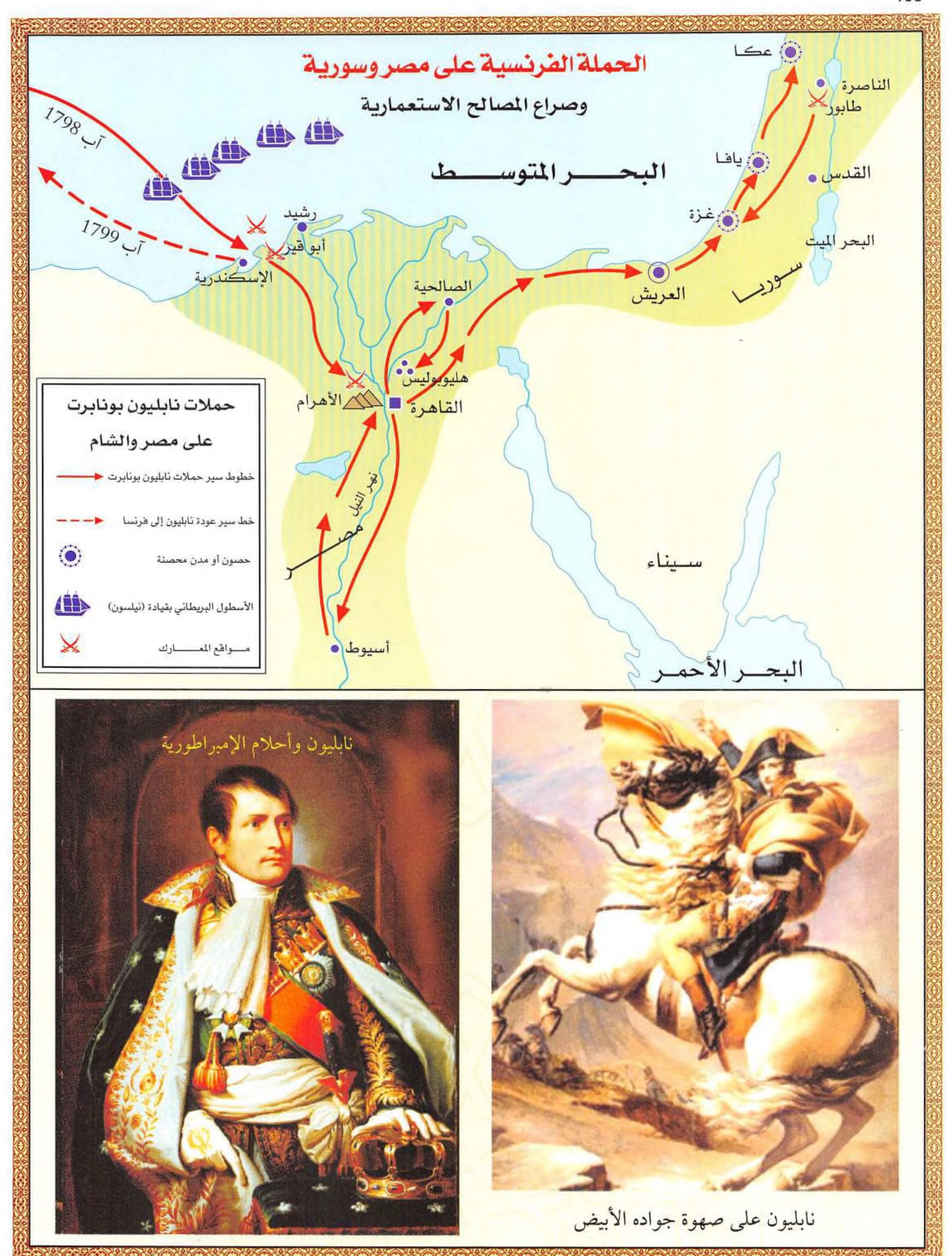
شجعت هزيمة الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية البابَ العالي على مواجهة الفرنسيين في مصر، فأصدر أوامره بإلقاء القبض على القائم بأعمال السفارة وجميع رعايا فرنسا في العاصمة العثمانية، ولم تلبث وزارة الخارجية العثمانية أن دخلت مع إنكلترا من جهة ومع روسيا من جهة أخرى في مفاوضات أسفرت عن عقد تحالف دفاعي هجومي، وكان العثمانيون يقومون في بلاد الشام باستعدادات "جهادية" ضد الحملة الفرنسية في مصر، مما جعل بونابرت يتخذ قراراً باستباقهم، فكانت حملته الفاشلة على بلاد الشام، فلما رجع إلى مصر اشتبك بونابرت في معركة "أبي قير" البرية (25 تموز 1799م) مع قوة عثمانية اتخذت طريقها من رودس إلى مصر، وكان من أهم نتائج هذه الموقعة حصول بونابرت من القائد العثماني الذي وقع في الأسر على معلومات تفيد بأن حرباً عامة في أوربا قد اندلعت ضد فرنسا، فغادر بونابرت مصر سراً إلى بلاده تاركاً قيادة الحملة إلى الجنرال "كليبر" الذي بادر بالكتابة إلى الصدر الأعظم ينفي رغبة فرنسا في انتزاع مصر من تركيا، ويزعم أن أسباب الحملة على مصر تقتصر على إرهاب الإنكليز وتهديد ممتلكاتهم في الهند، وإرغامهم على قبول الصلح مع فرنسا، ثم طلب كليبر من الصدر الأعظم فتح باب المفاوضات من أجل جلاء الفرنسيين عن مصر. وقد جرت مفاوضات بالفعل في مدينة العريش نصت على جلاء الفرنسيين عن مصر بكامل أسلحتهم وعتادهم، وعودتهم إلى فرنسا. وعلى هدنة مدتها ثلاثة شهور قابلة للتمديد إذا لزم الأمر، يتم خلالها نقل الحملة. وعلى الحصول من الباب العالي أو حلفائه - أي الإنكليز وروسيا- على تعهد بعدم التعرض لجيش الحملة بأي أذى.

غير أن الحكومة البريطانية عندما بلغتها أنباء مفاوضات العريش اتخذت موقفاً من شأنه تعطيل اتفاقية العريش عن إبرامها، إذ كانت تخشى عودة جيش فرنسا المحاصر في مصر إلى ميادين القتال في أوربا، فترجح كفة الجيوش الفرنسية ويختل ميزان الموقف العسكري في القارة. ولذلك عملت علىأن يبقى الفرنسيون في مصر أو يسلموا أنفسهم كأسرى حرب. فأصدرت أوامر صريحة إلى القائد العام للأسطول البريطاني في البحر المتوسط برفض أي اتفاق أو معاهدة بشأن الجلاء عن مصر، إلا إذا نص على ضرورة أن يسلّم الفرنسيون أنفسهم كأسرى حرب دون قيد أو شرط. وأمام هذا التحول المفاجئ لم يجد كليبر مفراً من وقف عملية الجلاء التي كان قد بدأها تنفيذاً لاتفاقية العريش، ثم اندلعت ثورة القاهرة الثانية التي استمرت نحو شهر.

وردّ كليبر على الثورة بدكّ القاهرة بالمدافع من كل جانب، مشدداً الضرب على حي بولاق حيث تركزت الثورة، فاندلعت ألسنة النيران في كل مكان منه، والتهمت الحرائق عدداً كبيراً من الوكالات والخانات والمساكن، فلما تولى مشايخ الأزهر الوساطة، وأخذوا من كليبر الأمان للناس، غدر كليبر بهم، وازداد طغياناً فأعدم بعضهم وفرض المغارم على أهل القاهرة بكافة طبقاتهم.

ولم يمض على إخماد ثورة القاهرة إلا شهرين حتى اغتيل كليبر في 24 تموز- يوليو 1800م بطعنة قاتلة من طالب أزهري شامي يدعى سليمان الحلبي. وربما كان للسلطات العثمانية يد في تدبير مصرعه.

وبعد تشييع جنازة كليبر تم إعدام البطل سليمان الحلبي على مرأى الناس. وآلت القيادة العامة للحملة إلى الجنرال "مينو" أكبر ضباط الحملة سناً، وكان من أنصار بقاء الحملة في مصر، إلا أن الضغوط الداخلية والخارجية اضطرته إلى مغادرتها بعد الهجوم المشترك الذي قام به الإنكليز والعثمانيون على جيش الفرنسيين في مصر.



نابليون على صهوة جواده الأبيض

وقفة تاريخية لإنصاف الشهيد

البطل سليمان الحلبي

ولد سليمان الحلبي عام1777 في قـرية كُـوكَـانْ فوقاني "الجَزْرُونيَّة" (تابعة لمنطقة عفرين شمال غرب مدينة حلب) من أبٍ مسلم متدين اسمُهُ: محمد أمين من عائلة أُوسْ قـُوبَار (عثمان قوبارو).

عمل مع والده إلى أنْ بلغ العشرين من عمره، حيث أرسله أبـوه عام 1797 إلى القـاهرة ليتعلم في الجامع الأزهر، وهناك توطّدت صلته بالشيخ الشرقاوي أحد أسـاتذة الأزهر المرموقـين، الذي رفض الاستسـلام للغزوة الفرنسية.. مساهماً في إشعال فتيل ثورة القاهرة الأولى في أكتوبر (تشرين الأول) 1798. وكان سليمان الحلبي بجانب أستاذه الشـيخ الشرقـاوي عند اقتحـام جيش نابـليون القـاهرة حـيث راح الغزاة الفرنسـيون يذيقون الشعب المصري الويلات كما ذكر الجبرتي.

في الوقـت نفسـه كان "إبـراهيم بـك" يحرض المصريين على الثورة ضد الغزاة "الكفرة" من مكانه في غزة، و"مراد بك" يحض الشعب المصري على المقاومة في صعيد مصر.. مما دفع بونابرت إلى استخدام أساليب المكر والخداع.. فبعث برسالة إلى شريف مكة وأخرى إلى مشـايخ وأعيان القـاهرة.. يبشـرهم - !!! بمنتهى الاستخفاف بوعيهم- بأنه قد هدم الكنائس في أوروبا، وأنه خَلَعَ بابا روما قبل قدومه إلى مصر.. وأنه عاشـقٌ للنبي محمد (ص) وأنه نصيرٌ للدين الإسلامي..!!..

لم ينخدع الشعب المصري بهذه المزاعم.. وهو يذوق يومياً أسـوأ ضروب التنكيل من جنود الحملة الاسـتعمارية.. وكان رد فعله الطبـيعي تأجيج "ثورة القاهرة الأولى" ضد الغزاة انطلاقـاً من منطقـة الجامع الأزهر. والتي رَدَّ عليها الغزاة بقـذائف مدافعهم التي نالت من قدسية "المسـجد الأكبر"، ودنسـته خيولهم باحتلاله.. وحـكموا بـالإعدام على ستةٍ من شـيوخ الأزهر منهم الشيخ الشرقاوي أستاذ سليمان الحلبي، واقتيدوا إلى القلعة، حيث ضربت أعناقهم.. ثم انتشلت أجسادهم إلى أماكن مجهولة.. وبـعد تمكن الغزاة من إخماد ثورة القـاهرة الأولى، تضاعفت مظالمهم، ولوحق كل مشبـوه باسـم الجهاد والمقـاومة الشعبـية الوطنية المصرية الإسلامية. فاختفى من اختفى، وهرب من مصر من هرب. ثم توافرت الظروف لتوحيد "خطط الجهاد" داخلياً وخارجياً.

وكان سليمان الحلبي.. ممن غادروا أرض مصر إلى بلاد الشام بعد غياب ثلاث سنوات، حـيث توجه إلى بلده في الديار الشامية "قرية كوكان"، والتقى في حلب بأحمد آغا أحد عساكر "إبراهيم بك"، وعلم سليمان منه أن والي حـلب العثماني قـد فرض غرامة كبـيرة على والده، ووعده "أحمد آغا" بالسـعي لرفع الغرامة عن أبيه، وأمره بالتوجه إلى مصر لأداء واجبه الإسـلامي الجهادي.. وكلفـه بمهمة اغتيال كليبر.

تابع سليمان الحلبي مسيرة العودة إلى مصر حتى وصل إلى القدس، وصلى في المسـجد الأقـصى في مارس (آذار) عام 1800 ، ثم توجه إلى الخليل حيث "إبراهيم بك" ورجاله في جبال نابلس. وبـعد عشـرين يوماً من إقـامته في الخليل، توجه إلى غزة ، ومنها اشترى سليمان السكّين التي دخلت التاريخ لأنها كانت أداة قتل رئيس أركان جيش الحملة الفرنسية.

وانضم سليمان ثانية إلى مجموعة طلاب الأزهر الشوام المقيمين في "رواق الشـوام"، وكان من بـينهم أربعة من مقرئي القرآن من أبناء غزة: محمد وعبد الله وسعيد عبد القادر الغزي، وأحمد الوالي. وهم الذين أعلمهم سليمان بعزمه على قـتل كليبر في إطار تحرير مصر من الغزاة..

وفي صباح يوم 15 (حزيران) يونيو 1800 كتب سليمان عدداً من الابتهالات الضارعة إلى ربـه.. على عدد من الأوراق، ثبتها في المكان المخصص لمثلها في الجامع الأزهر.. ثم توجه إلى (الأزبكية)؛ حيث يقـيم

البطل سليمان الحلبي

الجنرال كليبر في قصر (محمد بك الألفي).

فرغ كليبر من تناول غدائه بصحبة كبير المهندسين الفرنسيين قسطنطين بروتاين.. وكان سليمان قد دخل حديقة القصر، فتسلل حتى اقترب من الجنرال كليبر وطعنه بسكينه أربع طعنات قاتلة؛ كما طعن بروتاين عدة طعنات عندما همّ بقتله وهو يراه يطعن قائد أركان جيشه، فألقيَ القبض عليه في الحديقة قبل أن يتمكن من الفـــــــرار.

وأجريت محاكمة سليمان الحلبي.. بعدما أحرقوا يده اليمنى خلال التحقيق حتى عظم الرسغ.. ونفى صلته بالشيخ الشرقاوي، وبحركات المقاومة الشعبية الإسلامية المختلطة: مصرية، حجازية، مملوكية، عثمانية، شامية. لكنه ألمح في مجريات التحقيق إلى أنه بات نحو شهر قبل إقدامه على تنفيذ "مهمته" مع المقرئين الأربعة من أبناء غزة، وليس فيهم مصري واحد، ولا صلة لهم به.. وأنه أسَرَّ إليهم بعزمه على قتل كليبر من منطلق جهادي نضالي صرف.. فلم يأخذوا كلامه على محمل الجد.

وبذلك الاعتراف.. أدانتهم المحكمة بالتستر على الجريمة قبل وقوعها.. وحُكِمَ على سليمان الحلبي إعداماً بالخازوق، وعلى أحمد الوالي ومحمد وعبد اللّه الغزي إعداماً بقطع رؤوسهم أمام سليمان، قبل إعدامه بالخازوق. (أما سعيد عبد القادر الغزي.. فقد حكم غيابياً لعدم التمكن من القبض عليه).

وفي الساعة 11.30 من يوم 28 حزيران 1800م نفذ حكم الإعدام بالفلسطينيين الثلاثة أمام سليمان، وتمَّ حرق أجسادهم حتى التفحم، ثم غُرِزَ الخازوق في مؤخرة سليمان الحلبي فوق "تل العقـــارب". وبقي جثمانه على الخازوق عدة أيام..

وكان ذلك عقب دفن الجنرال كليبر في موضع قريب من "قصر العيني" بالقاهرة.. باحتفال رسمي ضخم.. حيث وضع جثمان كليبر في تابوتٍ من الرصاص ملفوفٍ بالعلم الفرنسي، وفوقه سكين سليمان الحلبي المشتراة من غزة.

وخلَفه الجنرال "جاك مينو" الذي كان قد ادعى اعتناق الإسلام في سياق السياسة النابوليونية المتملقة وسمى نفسه (عبد اللّه مينو). وعندما نجحت الخطة العثمانية بالتحالف مع بريطانيا على إرغام الفرنسيين على الجلاء عن مصر، غادرها "مينو" لينضم إلى مسيرة نابليون بونابرت.. الذي ارتقى إلى منصب قنصل فرنسا، قبل أن يغدو إمبراطورها الأعظم.. ثم أسيراً في جزيرة إلبا.. ثم في جزيرة سانت هيلانة.. حيث قضى نحبه مسموماً بالزرنيخ.

وحمل "مينو" معه إلى باريس، عظام "كليبر" في صندوق، وعظام سليمان الحلبي في صندوق آخر. وعند إنشاء متحف "إنفاليد ـ الشهداء" بالقرب من "اللوفر" خصص في إحدى قاعات المتحف اثنان من الرفوف: رف أعلى.. وضعت عليه جمجمة كليبر، وإلى جانبها لوحة مكتوب عليها: جمجمة البطل الجنرال كليبر. ورف أدنى تحته.. وضعت عليه جمجمة سليمان الحلبي، وإلى جانبها لوحة مكتوب عليها: جمجمة المجرم سليمان الحلبي. والجمجمتان معروضتان في المتحف المذكور حتى اليوم..

هذه هي حكاية سليمان الحلبي بإيجاز.. وهي لا تنفصل عن الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية لتلك المرحلة، ولكنها تؤكد على أن سليمان الحلبي كان بطلاً حقيقياً، وفتى من شهداء الإسلام والحرية، وأنه جدير بالتخليد اسماً وكفاحاً وبطولةً.

* * *

مصادر المعلومات:

1 - المعجم الجغرافي السوري، المجلد الثاني، صفحة 668.

2 - أهالي قرية كوكان، أحفاد عمومة الشهيد سليمان محمد أمين أوس قوبار (الحلبي).

3 - موقع إنترنت عنوانه: www.tirejafrin.com



البطل سليمان الحلبي

رسم تشكيلي تخيلي لعملية
اغتيال كليبر على يد سليمان الحلبي

رسم تشكيلي عن صورة وحيدة للبطل
الأزهري سليمان الحلبي قاتل الجنرال كليبر

بقايا منزل والد
الشهيد البطل
سليمان الحلبي
في قرية بشمال
غرب حلب

عصر محمد علي

بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عام (1801) عين العثمانيون خسرو باشا والياً عليها. إلا أن ثورات المماليك المتعددة لاسترجاع حكمهم على البلاد من جهة، وثورات الجند الذين تأخرت رواتبهم من جهة ثانية، أجبرته على ترك المنصب. فاستغل "محمد علي" [وكان أحد ضباط الحملة الألبانية التي أرسلتها الدولة العثمانية لمحاربة الفرنسيين] مقتلَ قائد الحملة الألبانية وفوضى الأحداث، فاتفق مع المماليك ومع العلماء على تولي قيادة الفرقة الألبانية. ثم ما لبث أن كسب عواطف الأهالي ضد الوالي العثماني الجديد، فاضطر السلطان العثماني سليم الثالث -تسكيناً للفتنة ومسايرة للرغبة الشعبية- أن يصدر مرسوماً بتولية "محمد علي" على مصر، سنة (1220هـ/1805م) على أن يدفع خراجاً سنوياً سبعة ملايين فرنك.

أما الإنكليز فقد رأوا في محمد علي حاكماً قوياً يمكن أن يهدد أطماعهم في مصر، فأنزلوا حملة في آذار- مارس عام (1806م) في الإسكندرية فشلت في دخول البلاد، فعمدوا إلى تأليب المماليك الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق في حكم مصر ضده. فاغتنم فرصة خروج ابنه لحرب "الوهابيين" في نجد تلبية لدعوة السلطان، فأقام لزعماء المماليك مأدبة في القلعة، وقتلهم عند خروجهم منها. وبذلك جمع محمد علي باشا السلطة في يده ففرض الأمن واجتهد في تقوية الجيش، بحيث تمكن من إيقاف التدخل الإنكليزي، كما كسب رضى السلطان العثماني، فغدا من أهم ولاة الدولة العثمانية، بل صار ذراعها القوي لإخماد حركات العصيان والتمرد ضدها.

وكان محمد علي يسعى منذ أن تولى مصر إلى تحديث الدولة على النمط الأوربي كسباً لتشجيع دول أوربا، ولاسيما فرنسا التي اعتمد على رجالها لبناء أسس دولة متقدمة تقنياً وعسكرياً، إذ زودته بالسلاح وأعارته الضباط لتدريب جيشه، وقدمت له الفنيين والخبراء لإقامة صناعته الحربية، كما شجعته على غزو سوريا، أملاً منها في تفكيك الدولة العثمانية وإضعافها، وجعل طريق الهند تحت رحمتها.

إضافة إلى استعانة محمد على بالخبرة الفرنسية أرسل البعثات إلى أوربا لإتمام الدراسة العسكرية، واستلام المدارس الحربية في مصر.، كما أنشأ نظارة للحربية عرفت باسم "ديوان الجهادية" وفرض الجندية الإلزامية رغم التذمر الشعبي من ذلك.

أما الأسطول فقد بدأ ببنائه على النيل، ثم نقله إلى البحر المتوسط، وسرعان ما بلغ أسطوله ثلاثين قطعة حربية، بعدما اشترى عدداً من السفن الحربية الأوربية. وشيد داراً للصناعة الحربية في الإسكندرية، وأسس مدرسة حربية لتخريج الضباط مستعيناً فيها بالخبراء الأجانب، واهتم محمد على بالتعليم لخدمة الجهاز الإداري والحربي خاصة، فأنشأ المدارس الابتدائية والعالية، (الهندسة عام 1816، والطب عام 1827م)، ومدارس للصيدلة واللغات والفنون. وأسس مطبعة بولاق عام (1821م)، وأصدر صحيفة "الوقائع المصرية" عام (1828م)، التي شكلت تجربة صحفية عربية رائدة فنشطت أعمال الترجمة والتأليف في جميع الحقول العلمية.

وقام محمد علي بمسح الأراضي، ثم توزيعها على الفلاحين، ليزرعوها لحساب الباشا الذي يحدد نوع الزراعة، ويحتكر بيع المحصول، بعد أن يمدّ الفلاحين بالآلات والمواشي. كذلك عني محمد علي ببناء الترع والجسور، ومنها القناطر الخيرية، لرفع مياه النيل وري الأراضي الزراعية. وازدهرت في عهده زراعة القطن خاصة والنيلة والقنب. وأسس محمد علي، بالإضافة إلى المصانع الحربية، عدداً من المصانع لإنتاج حاجات الجيش من الأقمشة القطنية والصوفية، والحبال، وسبك الحديد، وإنتاج السكر. وعهد بإدارة هذه المصانع إلى خبراء أوربيين من مختلف الجنسيات. لكن

معظم تلك المصانع أغلق في أواخر عهده، حين تحدد عدد الجيش بمعاهدة "لندن" وضاع أمله في التوسع. ومن أهم أعماله احتكار التجارة، وتنظيم المواصلات بين أوربا والهند عن طريق السويس، وشق ترعة المحمودية بين الإسكندرية وفرع رشيد.

محمد علي في الشام

كانت بلاد الشام ذات أهميه اقتصادية كبيرة لمحمد علي، ففيها ما تحتاجه مصانعه من الأخشاب والحرير والجلود والمعادن، إضافة إلى أهميتها الاستراتيجية لمصر. وحين وجد محمد علي نفسه يمتلك كل خيرات مصر المتزايدة ولديه جيش قوي.. امتدت أحلامه لضم بلاد الشام إليه، مستغلاً ضعف السلطنة، وربما حلمَ بإمبراطورية واسعة مستقلة، فانتهز انشغال السلطان بثورة البوسنة، واتخذ من خلافه مع والي عكا حجة لغزو الشام.

تحركت الحملة بقيادة ابنه وقائده العسكري الأول "إبراهيم" أواخر تشرين الأول -أكتوبر عام (1831م). وكانت مؤلفة من ثلاثين ألف مقاتل في البر والبحر، مع ما يكفيهم من الذخائر والمؤن. استولى إبراهيم على غزة ويافا، وبقية الساحل الشامي، ثم سقطت عكا (أواخر أيار- مايو 1832) بعد حصار دام ستة أشهر. ثم دخل دمشق، وهزم القوات العثمانية عند حمص بمساعدة جيوش حليفهِ الأمير بشير الشهابي، واستولى على حماة وحلب، ثم اجتازت الحملة حدود سوريا الشمالية واحتلت الولايات التركية أضنه وطرسوس ومرعش وقيصرية. كما انتصر إبراهيم على الجيش العثماني في قونية في أواخر (1832م) وغدا طريق "الآستانة" مفتوحاً أمام الجيش المصري.

أقلقت انتصارات الجيش المصري السلطان كما أقلقت الدول الأوربية وفتحت باب "المسألة الشرقية" على مصراعيه. وكانت روسيا أكثر الدول قلقاً وتخوفاً من توسعات محمد علي، إذ كانت تحلم بالسيطرة على أراضي الدولة العثمانية، وبخاصة القسطنطينية، فبعثت بأسطولها إلى مياه البوسفور بحجة حماية القسطنطينية ومساندة السلطان. وخافت بريطانيا احتمال قيام دولة قوية على طريق الهند، فسارعت مع دول أرروبا للضغط على محمد علي لعقد صلح مع السلطان. وتمت المفاوضات بإعلان "اتفاقية كوتاهية" عام (1833م) التي أعطت محمد علي بلاد الشام و"إقليم أضنه"، مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز، مقابل جلاء الجيش المصري عن باقي الأناضول.

وكسباً للوقت قبِل السلطان العثماني بـ"صلح كوتاهية"، وقام مباشرة بعقد معاهدة دفاعية هجومية مع روسيا عُرفت بمعاهده "هنكيار أسكله سي"، وتعهد السلطان فيها بفتح مضائق البوسفور والدردنيل أمام الأسطول الروسي دون الدول المعادية لروسيا.

اجتمع التحريض الإنكليزي مع معاهدة "هنكيار أسكله سي" على دفع السلطان العثماني إلى معاودة القتال. لكن الجيش العثماني هزم شر هزيمة عند "نصيبين"، مما لم تحتمله دول أرروبا، فأرسلت مذكرة إلى السلطان اشتركت فيها كل من إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا تملي عليه ألا يبرم مع محمد علي أي عقد إلا بموافقتها.

واتفقت الدول عدا فرنسا في "معاهدة لندن" عام (1840م) على أن يعرض السلطان على محمد علي حكم مصر وراثياً، مع ولاية عكا (دون المدينة) مدى الحياة، فإن لم يقبل خلال عشرة أيام خسر ولاية عكا، واذا تأخر عشرة أيام أخرى، كان للسلطان أن يتبع الطرق التي تكفل مصالحه، وفق نصائح حلفائه.

وبتحريض من فرنسا رفض محمد علي شروط "معاهدة لندن"، فأرسل الحلفاء (تركيا وإنكلترا والنمسا) أسطولاً إلى سواحل الشام، واحتلوا عكا، وأشعلوا الثورات ضد الحكم المصري، فاضطر جيش محمد علي إلى انسحاب كلّفه الكثير من الخسائر. وانتهت القضية بقبوله حكم مصر الوراثي 1841.

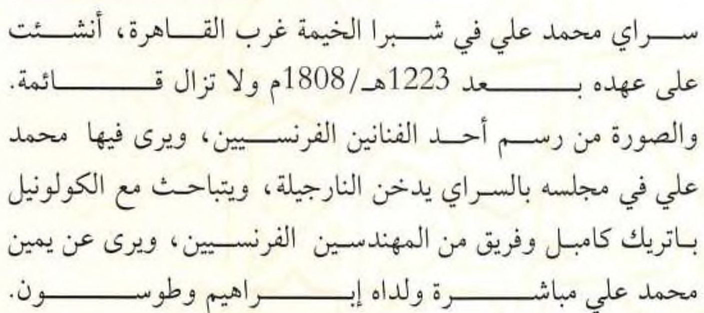


دولـة محمـد علـي في مصر
وحملاته التوسعية (1805-1848م)
دولة محمد علي في مصر
توسع محمد علي في الشام وتركيا
توسع محمد علي في الجزيرة العربية
ولده طوسون يحتل مكة والمدينة 1816م
حملة محمد علي إلى الحجاز
حملة ولده إبراهيم إلى الحجاز 1816م
حملة ولده خورشيد إلى الحجاز 1836م
حملة احتلال السودان 1820-1841م
البحرية المصرية تتدخل في اليونان 1824م
حملة إبراهيم باشا إلى تركيا 1833م
حملة لقتال العثمانيين 1839م
المقياس: 1 : 18.500.000
الدولة العثمانية
البحر الأسود
البحر المتوسط
بحر قزوين
الجزيرة
إيران
صحراء النفود
نجد
الخليج العربي
الربع الخالي
حضرموت
خليج عدن
البحر الأحمر
مصر
صحراء ليبيا
السودان
نهر النيل
النيل الأزرق
الحبشة
الصومال
جنوب السودان
إفريقية الوسطى
بحيرة فيكتوريا
إستانبول
بورصة
أنقرة
كوتاهية
إزمير
قونية
المورة
أثينا
كريت
قبرص
أضنة
الإسكندرونة
حلب
حماة
حمص
بيروت
دمشق
عكا
القدس
غزة
نصيبين
الموصل
كركوك
همذان
قم
كرمنشاه
أصفهان
دير الزور
بغداد
عبدان
البصرة
شيراز
دمياط
رشيد
الإسكندرية
القاهرة
السويس
العقبة
تبوك
سيناء
الفيوم
المنيا
أسيوط
قنا
أسوان
ينبع
المدينة المنورة
مكة المكرمة
جدة
الطائف
الرس
الدرعية
الرياض
القطيف
البحرين
الهفوف
بيشة
عسير
القنفذة
صنعاء
عدن
الخرطوم
أم درمان
30°
40°
50°
60°
20°
10°
5°

عصر محمد علي

محمد علي باشا 1805-1848م





سراي محمد علي في شبرا الخيمة غرب القاهرة، أنشئت على عهده بعد 1223هـ/1808م ولا تزال قائمة. والصورة من رسم أحد الفنانين الفرنسيين، ويرى فيها محمد علي في مجلسه بالسراي يدخن النارجيلة، ويتباحث مع الكولونيل باتريك كامبل وفريق من المهندسين الفرنسيين، ويرى عن يمين محمد علي مباشرة ولداه إبراهيم وطوسون.



مدفع مصري صنع في عهد محمد علي



الأسطول المصري الذي أرسله محمد علي إلى اليونان، حيث أخمد الثورة فيها على السلطنة العثمانية، ولكن بريطانيا وفرنسا وروسيا تدخلت، فأغرقت الأسطول المصري في (نافارينو) عام 1827م



إبراهيم باشا 1848-1848م

كان إبراهيم باشا ابن محمد علي الذراع الأيمن لأبيه، قاد الحملات على السودان والجزيرة العربية وبلاد الشام.

محمد علي وأسرته في مصر

1216-1372هـ / 1801-1952م

سلالة محمد علي

محمد علي
1849 - 1805

محمد سعيد بن محمد علي
1863 - 1854

طوسون بن محمد علي

عباس الأول بن طوسون
1854 - 1849

إبراهيم باشا بن محمد علي
توفي عام 1848

الخديوي إسماعيل
1879 - 1863

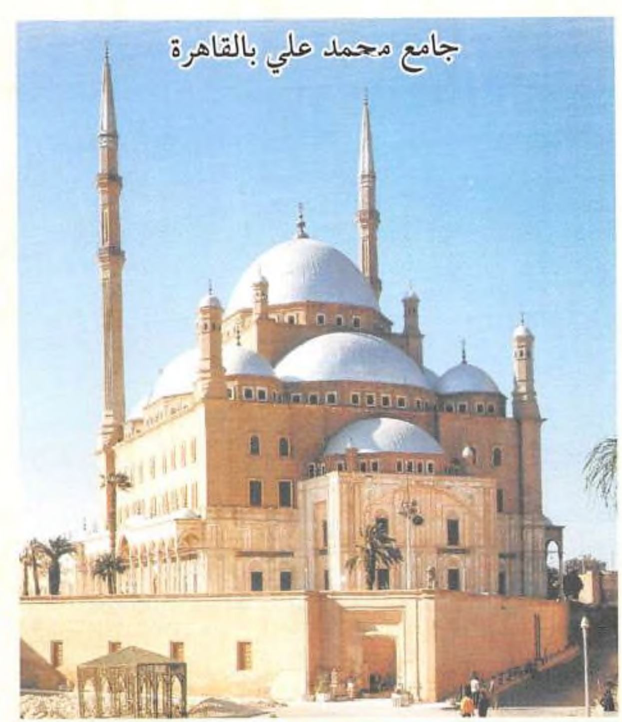
الملك أحمد فؤاد بن إسماعيل
1936 - 1917

الملك فاروق بن أحمد فؤاد
1952 - 1936

السلطان حسين كامل
1917 - 1914

الخديوي توفيق بن إسماعيل
1892 - 1879

الخديوي عباس حلمي
1914 - 1892



جامع محمد علي بالقاهرة





في ميدان بالقاهرة سمي باسمه ينتصب هذا التمثال الذي يصوره على صهوة جواده





بعض الأواني الأرستقراطية من مقتنيات أسرة محمد علي

أسـرة محمـد عـلي

عباس الأول (1849-1854م)

محمد سعيد باشا (1854-1863م)

إسماعيل باشا (1863-1867م)

محمد توفيق باشا (1879-1892م)

عباس حلمي باشا (1892-1914م)

حسين كامل (1914-1917م)

أحمد فؤاد الأول (1917-1936م)

فاروق الأول (1936-1952م)

فؤاد الثاني (1952-1953م)

مسألة قناة السويس

كان "الخديوي سعيد باشا" (1854-1863م) معجباً بنمط الحياة الأوروبية، وبالحرية التجارية، فشجع الأجانب على الاستثمار في مصر، وجاء مع القادمين صديقه "فرديناند دو ليسبس" بعد أن تقاعد من الخدمة، وفشل في التجارة والسياسة. وبعد أسبوعين من وصوله قدّم إلى سعيد باشا تقريره عن فوائد مشروع القناة. وقبل نهاية الشهر كان سعيد قد وافق على المشروع، ووقّع الامتياز الأولي. ثم صدر الامتياز النهائي في (5-2- 1856) إبّان اندلاع حرب القرم.

بدأ دوليسبس العمل لتأسيس شركة عالمية لحفر القناة رغم المعارضة التي واجهها المشروع في كل من إستانبول (التي كان يجب أن تصادق عليه)، ولندن التي أزعجها وقوع الامتياز بيد الفرنسيين.

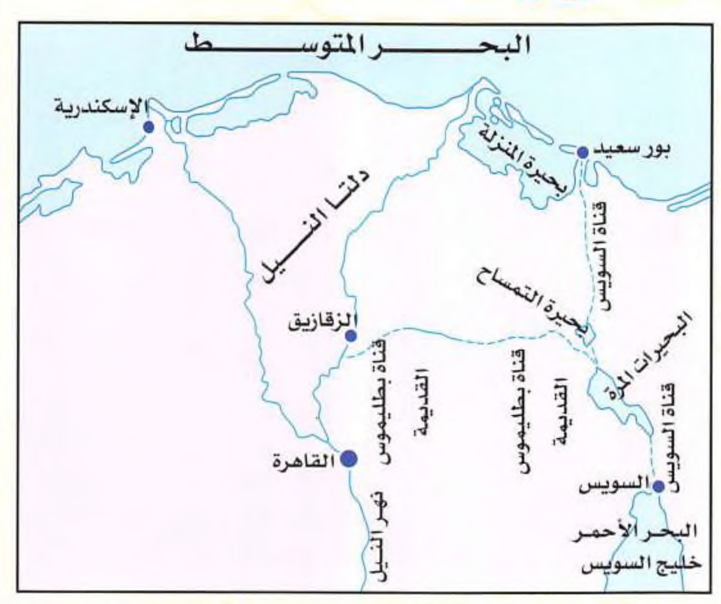
أتم دوليسبس تأسيس الشركة عام 1858، وطرح أسهمها لمدة شهر واحد. وقد تألفت الشركة من 400000 سهم، قيمة السهم 500 فرنك فرنسي (20 جنيهاً مصرياً). ووزعت الأسهم نظرياً على الشكل التالي: فرنسا 207160 سهماً، ونسبتها (51.8% من الأسهم)، إنجلترا (5. 85 ألف)، الدولة العثمانية ومصر (5. 96 ألف)، الاكتتاب العام (10.8 ألف). لكن لم تتم تغطية أكثر من ثلث الأسهم خلال الفترة المحددة. فقد عارضت بريطانيا المشروع، ولم توافق عليه حكومة السلطان العثماني. لذا وجد دوليسبس أن الحل المناسب له ولشركته هو إعطاء رصيد الأسهم لمصر التي أصبحت تملك 44.4 % منها. ولكن أحوال مصر المالية لم تسمح لها بدفع الثمن (2.5 مليون جنيه). لذا بدأ تراكم الفوائد بنسبة5 % سنوياً حسب أحكام المادة 14 من نظام الشركة. تم هذا كله بدون موافقة رسمية من الوالي "سعيد باشا" ولكن برضاه وتشجيعه الضمنيّن.

بدأ الحفر في نيسان -إبريل 1859، رغم عدم مصادقة الباب العالي على الامتياز. وفي(9 حزيران- يونيو 1859م) أصدر سعيد باشا أمراً بوقف العمل ثم أكده في تشرين أول - أكتوبر، بناء على أوامر مشددة من الباب العالي. واعترض الإنكليز على المشروع، لكن العمل استمر رغم كل ذلك، وبقي سعيد باشا متحمساً للمشروع، مصرّاً على تقديم كل عون لإنجازه، فغض النظر عن تجاهل الشركة لأوامر وقف العمل، وقبل موته بأشهر، كانت مياه المتوسط قد وصلت بحيرة التمساح. لكن الوالي (الخديوي) إسماعيل باشا (1863-1879) حاول أن يحد من امتيازات الشركة، فحملها على التخلي عن قناة الماء العذب والعمّال المسخرين، والمساحات الواسعة، والإعفاءات الجمركية، مقابل تعويضات.

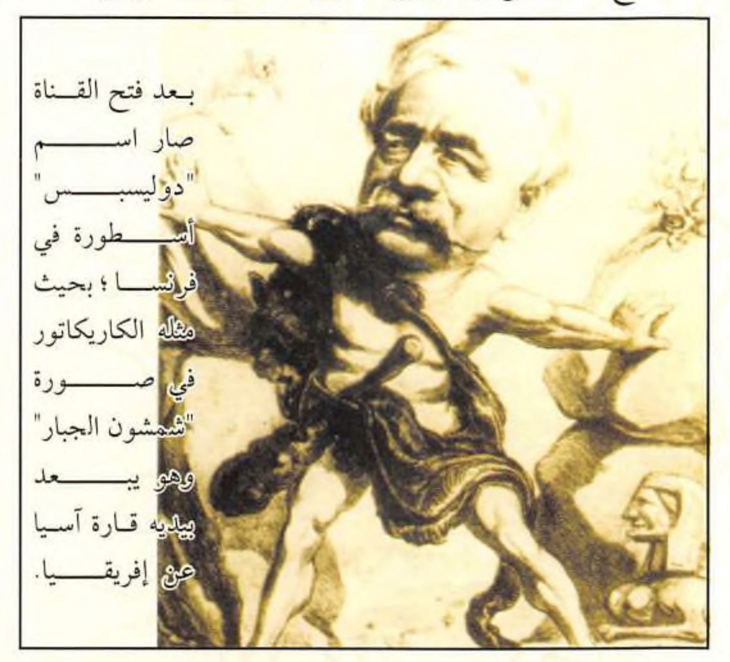
وحين نالت الشركة أخيراً موافقة السلطان على امتيازها (آذار- مارس 1866)، كانت قد أنجزت القسم الأكبر من المشروع. وتم افتتاح القناة في (17 ت2- نوفمبر 1869) في احتفالات ضخمة حضرها ممثل السلطان العثماني، وإمبراطورة فرنسا، وعدد كبير من شخصيات أوروبا.

فتحت القناة أقصر طريق بحري بين أوروبا والشرق البعيد، فاهتمت الدول الكبرى بضمان حرية الملاحة فيها، لأن ذلك في مصلحتها جميعاً. ونصت المادة 14 من عقد الامتياز على حياد القناة، وإباحتها لجميع السفن التجارية، أياً كانت جنسيتها. احترمت فرنسا وألمانيا هذا الحياد في حربهما عام 1870، وحذرت بريطانيا الحكومة الروسية من الإضرار بالقناة في حربها مع العثمانيين سنة 1877. لكنها كانت أول من خرق حيادها بعد ذلك عام 1882، وخلال الحربين العالميتين. ضمنت معاهدة الآستانة (تشرين الأول - أكتوبر 1888) هذا الحياد، وأيدته معاهدة لوزان (1913)، على أن يكون لمصر حق اتخاذ الوسائل الدفاعية عن القناة.

مسألة قناة السويس



المشاريع القديمة للقناة كانت كلها تستخدم نهر النيل مع قناة تصل بينه وبين البحيرات المرة والسويس.



بـعد فتح القــناة صار اســـــم "دوليسبـــس" أســـطورة في فرنســـا ؛ بحيث مثله الكاريكاتور في صـــــورة "شمشون الجبار" وهو يبـــعد بيديه قـارة آسيا عن إفريقــــيا.



اختصرت القناة الطريق بين مرسيليا (في فرنسا) وبـين بومبــــاي (في الهند) من 16605 كـــــــم إلى 7350 كـــــم.

يبلغ طول القناة 175 كم، وعرضها كـان 60 م عنـد الافتتاح فصـار 150 متـراً تقريبـاً عند تأميمها، وزاد عمقـــها من 8 إلى10م.

مسألة قناة السويس



شهادة تملّك لأسهم شركة قناة السويس التي كان اسمها "الشركة العالمية لقناة السويس البحرية"، طبعت الشهادة باللغتين التركية (لغة الدولة العثمانية)، والفرنسية (لغة الشركة)، وخلت من أية كلمة عربية، أما مبلغ الأسهم فكان بالفرنكات الفرنسية.



أُهملت الزراعة التي كانت ناشطة بالسواعد المصرية لأن الخديوي سعيد المتحمس "لمشروع القناة" منح الفرنسيين الأرض مجاناً وألزم مصر بأن تقدم للشركة ستين ألف فلاح مصري مع دوابهم للعمل سخرة في حفر القناة، ورافق ذلك الكثير من المآسي للشعب المصري، لكنه ذلل العقبة الرئيسة للفرنسيين بتأمين اليد العاملة مع عدم توفر الآليات.



كان افتتاح القناة فرصة للخديوي إسماعيل لممارسة سياسة البذخ والتبذير التي اشتهر بها، والتي أدت بمصر إلى الإفلاس، ومن ثم إلى الاحتلال. سلسلة الاحتفالات كانت من أروع وأفخم ما عرفه العالم، حيث دُعي إليها عظماء الدول، وحضرها عدد كبير منهم إمبراطورة فرنسا -أوجيني- (وهي ابنة عمة دوليسبس)، وإمبراطور النمسا فرنسوا جوزيف. بنى الخديوي من أجلهم عدداً من الأبنية، ومنها دار الأوبرا، وطلب من الموسيقار الشهير (فيردي) أن يؤلف له أوبرا (عايدة)، التي عرضت للمرة الأولى في القاهرة عام 1870. وتضمن البرنامج احتفالات وولائم باذخة.



إسماعيل والياً (خديوي)

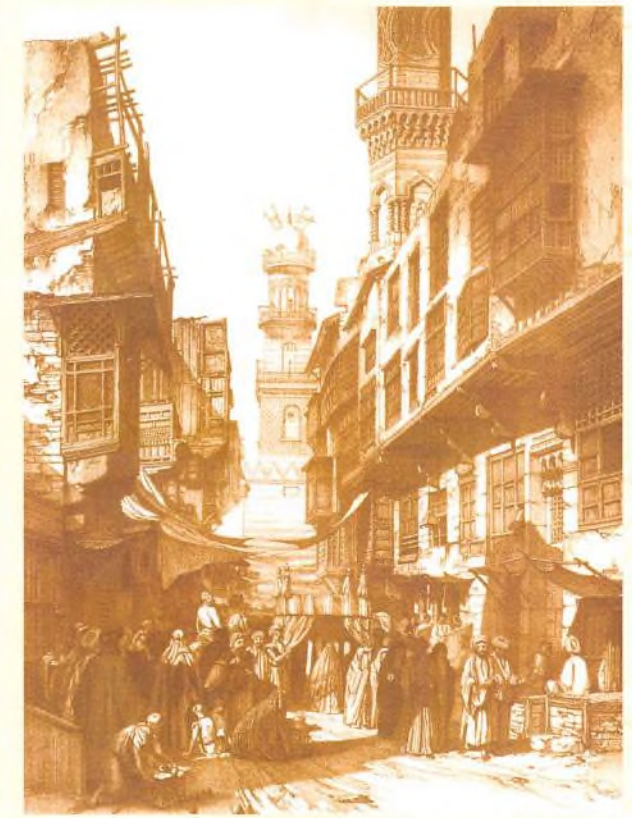
إسماعيل أميراً

مشاهد من مصر القرن التاسع عشر

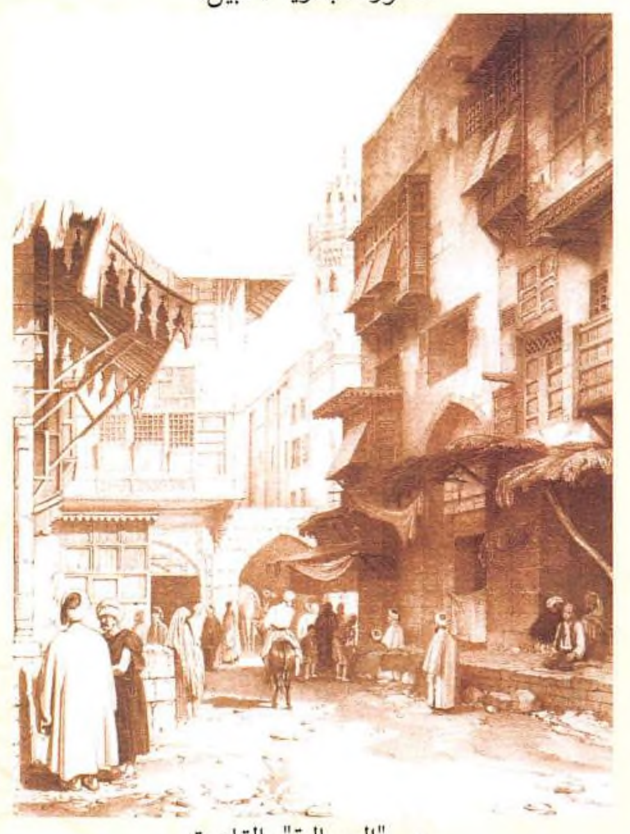
من مجموعة لوحات المستشرق الفنان والمهندس المعماري
أوين. ب. كارتر رسمها بالقلم الرصاص في القاهرة عام 1830



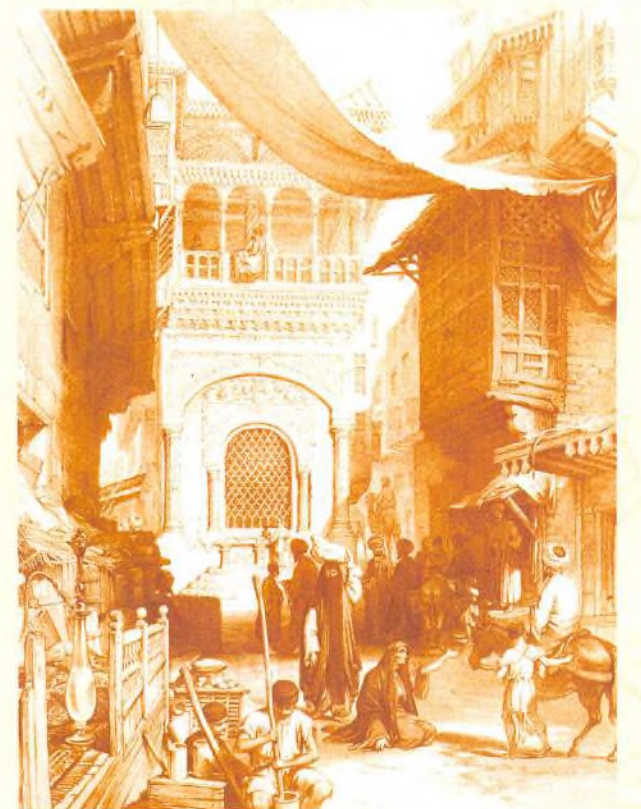
النافورة البدوية (سبيل)



منارة قالون - بين القصرين



حي "الجمالية" بالقاهرة

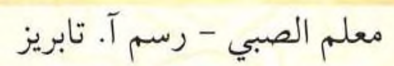


حي "بين القصرين" بالقاهرة

مشاهد من الحياة في مصر

في القرن التاسع عشر





معلم الصبي - رسم آ. تابريز



حلقات الوعظ ودراسة القرآن في المساجد - رسم يولتر دي مورسلي



أمسيات شاعر الربابة - رسم خوسيه جيل

النرد والنارجيلة - رسم جوليو توساتي



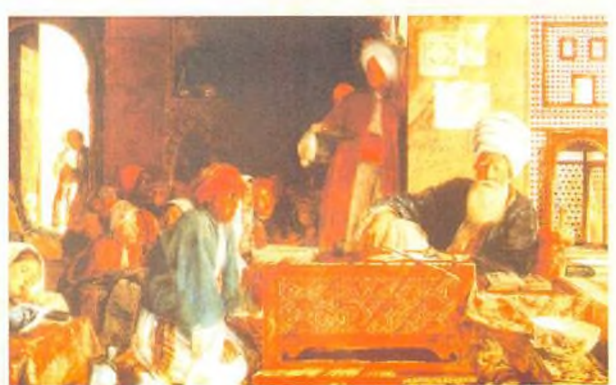
مجالس الطعام - رسم جون فريدريك لويس

مشاهد من بلاد الشام

في القرن التاسع عشر



قافلة الحجاج الشاميين في القرن التاسع عشر



الكُتاب، الطريقة التي كانت سائدة في التعليم الشعبي



حارة شعبية بضواحي الشام



منظر عام للقدس في القرن التاسع عشر



سوق شعبي (بازار) في عكا بفلسطين



حي المسكي بدمشق في القرن التاسع عشر



منزل دمشقي من الداخل

نهايات الدولة العثمانية

شهدت الدولة العثمانية منذ أواخر القرن التاسع عشر سلسلة من الإصلاحات كان هدفها تحديث السلطنة لدعم السلطة الحاكمة المتزايدة في الضعف والتهافت.

جاءت جميع هذه الإصلاحات من أعلى. كان أول السلاطين المصلحين هو سليم الثالث (1789-1807م) الذي اغتنم توقيع معاهدة "ياسي" مع ررسيا (1792م) واشتغال القوى الأوربية بعواصف الثورة الفرنسية (1793م)، فاصدر في هاتين السنتين عدة قرارات سميت "بالنظام الجديد"، لإصلاح المالية، وإدارة الولايات، والتجارة، ولإيجاد جيش جديد على الطراز الأوربي. لكن الجيش "الإنكشاري" ثار على إصلاحات السلطان (1807م) ثم ما لبث أن عزله، ثم قتله خوفاً من أن يعيد أنصارُه تنصيبه.

لم ينفَّذ الإصلاح، ولم يلغَ نظام الإنكشارية حتى عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) الذي أبادهم بالمدافع (1826م) وأعاد تشكيل النظام الجديد.

ومع أن جماهير العامة وصغار العلماء لم يتقبلوا بالرضا "فرنَجة" الدولة، فإن كبار العلماء تقبلوها، ربما لأسباب سياسية؛ كما أن فتح المدارس امتص بالتدريج نقمة الناس وزوّد الدولة مع الأيام بالموظفين الإداريين والعسكريين الضروريين.

وفي عام (1831م) تمّ إحصاء السكان لتجنيد الأفراد في الجيش الجديد، وفرضت الضرائب لتمويله. وفي عام (1831م) أُلغي نظام "التيمار" (الإقطاع العسكري)، كما أُلغيت جندية السباهية بعد إلغاء الإنكشارية، وتحولت الإقطاعات إلى أملاك للدولة، وجمعت ضرائبها لتمويل الجيش الجديد.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني صدرت على فترات، سلسلة أخرى من الإصلاحات أبرزها: "خط شريف كول خانه" (1839م) من جانب السلطان عبد المجيد (1839-1861م) في بداية حكمه، ثم "خط شريف همايون" عام (1856م). وبلغ الإصلاح ذروته بجهود الصدر الأعظم:"مدحت باشا"، الذي استطاع إعلان الدستور في مطلع عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876م).

وقد أكد "الخطان الشريفان" المساواة بين رعايا الدولة، وتمتع غير المسلمين (من يهود ومسيحيين) بالحرية الدينية والمساواة أمام القانون وفي الضرائب والوظائف والانتساب للمدارس والخدمة العسكرية.

لم تكن هذه الإصلاحات ناجمة عن إيمان بالتحديث، ولكنها تمت بالدرجة الأولى لإرضاء الدول الغربية في أوقات الحاجة. لذلك سرعان ما تخلى السلطان عبد الحميد عنها بزوال الظروف التي أدت إليها، فأعلن تعليق الدستور عام (1877م)، وبدأ عهداً من الحكم الاستبدادي المطلق استمر حتى عام (1908م). لكن بذرة المعارضة للاستبداد والمطالبة بالإصلاح الجذري أخذت تنمو بقوة، خاصة في صفوف الطبقة المثقفة. وإذا كان من السهل على السلطان أن يضطهد دعاة الإصلاح من المدنيين، فلم يكن الأمر بمثل تلك السهولة فيما يتعلق بالعسكريين، الذين كانوا أول من احتك بالفكر الثوري الأوربي، والذين لاحظوا قبل غيرهم أن ازدياد الاستبداد رافقه تتابع سلخ أجزاء هامة من الإمبراطورية العثمانية، وكان السلطان قد ركز على تبني سياسة دينية لتغطية الخسائر ومقاومة الإصلاح في الداخل، وليهدد فى الخارج بريطانيا وفرنسا برعايا السلطنة من المسلمين الرازحة بلادهم تحت استعمار هاتين الدولتين.

كان دعاة الإصلاح قد شكلوا عام (1856م)

"الجمعية العثمانية الفتاة"، التي طالبت بتقييد سلطة السلطان بالدستور حين علقه وعطل العمل به عام (1876م). ثم حلّ محل هذه الجمعية تنظيم أكثر ثورية عام (1889م) عرف بجمعية "تركيا الفتاة"، التي كانت نواتها من طلاب المدرسة الحربية، ومركزها "سالونيك" في اليونان. حيث شكّل أتباعها جمعية "الاتحاد والترقي" التي تمكنت عام (1908م) من إرغام السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور. ثم أطاحت به عام (1909م) لتتسلم الحكم من وراء سلطان ضعيف هو السلطان محمد رشاد.

وقد تبنى أفرادُ هذه الجمعية "القوميةَ الطورانية" المتشددة التي تنكرت للأخوة الإسلامية، وعادت إلى الجذور الإثنية للأتراك. وهذا ما ألّب ضدها مختلف القوميات الأخرى، وبخاصة العرب الذين أعلنوا الثورة على العثمانيين عام (1916م) بزعامة "الشريف حسين" في الحجاز.

يقول الأمير شكيب أرسلان في كتابه عن الدولة العثمانية -وهو شاهد عيان ومشارك في الأحداث-:

وصار بين العرب حزب غير قليل ينزعون إلى الانفصال عن الدولة العثمانية قلباً وقالباً، متحينين لذلك أول فرصة سانحة، ولكن لا يمكن أن يقال: إن هذا كان رأي الجمهرة من الأمة العربية، بل في الحقيقة كان عقلاء العرب يفقهون أنه إذا وقع ذلك الانفصال ستسقط الدول العربية تحت حكم الإفرنج، فلذلك كانوا يختارون البقاء تحت حكم الدولة العثمانية خوفاً من حكم الأجانب، واختياراً لأهون الشرّيْن.

ويضيف: "نعم! لو كانوا على يقين بأن الدول الأوربية ستحترم استقلال البلاد العربية، ولا تبسط أيديها إليها بالغصب والتقسيم لكانوا يرجحون بدون شك الانفصال عن الترك، والاستقلال لأنفسهم. لكن عقلاء العرب كانوا لا يجهلون مطامع الدول الأجنبية في بلادهم.

والحرب العامة -وإن تعددت أسبابها- فقد كان السبب الأقوى في نشوبها اتفاق إنكلترا وفرنسا على اقتسام التركة العثمانية".

ويضيف الأمير شكيب أرسلان: "لقد كان معلوماً أن الحرب العامة ستقع لا محالة، ولذلك اتفق الإنكليز والفرنسيس على اقتسام سورية وفلسطين منذ 1330هـ/ 1912م، أي قبل الحرب بسنتين، وهذا من أوضح الدلائل على كون دول الحلفاء كانت تتأهب لقتال ألمانيا واقتسام التركة العثمانية بعد تغلبهم على ألمانيا".

لقد دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، مؤملة أن تضرب نفوذ بريطانيا وفرنسا في الشرق الأدنى. وقد استطاع الجيش العثماني بقيادة الجنرال الألماني "فون درجولتز" أن يوقف تقدم الجيش البريطاني في جنوب العراق (نيسان- إبريل عام 1916م)، لكن الإنكليز تمكنوا بعد ذلك من احتلال بغداد (آذار- مارس عام 1917م)، كما تمكنوا -بعد الحرب على القناة- من الوصول إلى القدس (كانون الأول- ديسمبر عام 1917م).

ثم تحركت قوات الثورة العربية من الحجاز، فاحتلت دمشق عام (1918م)، ولم يثبت الأتراك إلا في معارك القفقاس، حيث استطاعوا التوغل بسبب انهيار النظام الروسي القيصري. لكن أربعة أعوام من القتال الدفاعي أرهقت الدولة.

ونشبت الخلافات بين القادة الأتراك والألمان المتحالفين، واضطرت تركيا إلى توقيع هدنة "مودرس" عام (1918م). واحتل الحلفاء إستانبول بينما كان زعماء "تركيا الفتاة" يلوذون بالفرار.*

* عن شكيب أرسلان و"مسيرة الحضارة" باختصار وتصرف.

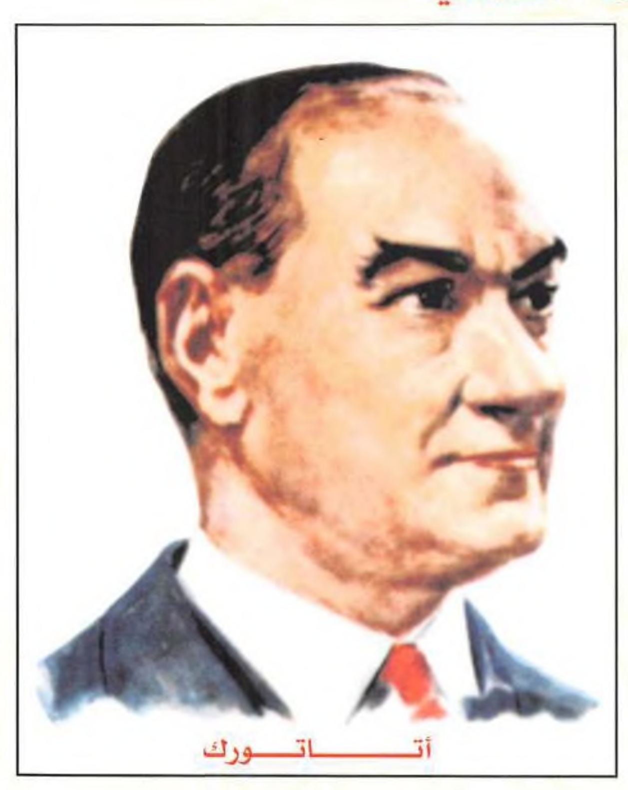
أتاتورك وإنهاء الخلافة العثمانية

غادر مصطفى كمال إستانبـــول في (أيار- مايو 1919) بعدما عهد إليه السلطان العثماني بالقيام بالثورة في الأناضـول، واختـار معـه عـدداً مـــن المدنيـين والعسكريين لمساعدته، وبـعدما اسـتطاع جمع فلول الجيش حوله هناك بدأ في ثورته، فاضطرت الوزارة إلى إقالته، فلم يمتثل أتاتورك لذلك وقال في برقية أرسلها للخليفة: "سأبقى في الأناضول إلى أن يتحقق استقلال البلاد".

وبدأ يشعل ثورته فانضم إليه بـعض رجال الفكر والقادة العسكريين مشترطين عدم المساس بالخلافة. واستعار أتاتورك الشعار الإسلامي ورفع المصحف في قتاله ضد اليونانيين، وبعد تجدد القـتال بـين أتاتورك واليونانيين في (1921م) انسحبـــت اليونان من أزمير ودخلها الأتراك دون إطلاق رصاصة، فعظمـت عنـد الناس شخصيةأتاتورك، وتعلقـت بـه الآمال لإحـياء الخلافة، ووصفه الشـاعر أحمد شوقـي بـأنه "خالد الترك" تشبيهًا له بخالد بن الوليد.

وعاد مصطفى كمال إلى أنقرة حيث خلع عليه المجلس الوطني الكبير رتبة "غازي"، وهو لقب كان ينفرد به سلاطين آل عثمان، ثم انتخبه المجلس رئيسًا شرعيًا للحكومة، فأرسل مبعوثه "عصمت باشـا" إلى بـــريطانيا (1921) لمفاوضة الإنجليز على استقـلال تركيا، فوضع اللورد كرزون - وزير خارجية بريطانيا - شروطه على هذا الاستقلال وهي: أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي، وأن تلغي الخلافة الإسلامية، وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة، وأن تختار تركيا لها دستورا مدنيًا بـدلاً من الدسـتور العثماني المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية.

نفذ أتاتورك شـروط بـــريطانيا، واختارت تركيا دستور سويسرا المدني، وفي (ت2- نوفمبر1922م) أعلن أتاتورك إلغاء السـلطنة، وفصلها عن الخلافة، بحيث لم يعد الخليفة يتمتع بـأي سـلطات دنيوية أو



أتـــاتـــورك

روحـية، وفرض أتاتورك آراءه بشـدة، واضطهد كل معارضيه، وفي (29 ت1- أكتوبـــر 1923م) نصب أتاتورك نفسه أول رئيس للجمهورية التركية وأصبح سيد الموقف في البلاد.

وفي (3 آذار- مارس 1924م) ألغى مصطفى كمال الملقـب بـــأتاتورك الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن تركيا دولة علمانية، وأغلق كثيرًا من المساجد، وجعل الأذان باللغة التركية، واستخدم الأبجدية اللاتينية في الكتابة بدل الأبجدية العربية.

لم يقبل المسلمون قرار أتاتورك بإلغاء الخلافة؛ فقامت المظاهرات العنيفة التي تنادي ببقاء هذا الرباط الروحي بين المسلمين، لكن دون جدوى.

حاول الشريف "حسين بن علي" حـاكم الحجاز تنصيب نفسه خليفة للمسلمين، لكن الإنجليز حبسوه في قبرص، كما عمل الإنجليز على فض مؤتمر الخلافة بالقاهرة، وإلغاء جمعية الخلافة بالهند..

القسم الرابع

التاريخ الحديث والمعاصر

عصر الاستعمار

استعمار العالم الإسلامي

حتى القرن العشرين

بدأ التوسع الأوربي مصاحباً لحركة الإستكشافات الجغرافية والتجارة الدولية . فقد أسس الإسبان والبرتغاليون والهولنديون إمبراطوريات تجارية في آسيا ثم خلفهم البريطانيون والفرنسيون فشيدوا إمبراطوريات استيطانية (استعمارية).

لقد كانت الاكتشافات العلمية وبناء البواخر الضخمة والحاجة إلى المواد الخام وإنشاء الأسواق التجارية من العوامل الهامة في توسع نطاق الاستعمار وسيطرته وعمله في القضاء على مقومات الأمم المستعبدة لإدامة الاستعمار، ورافق صعود الرأسمالية الصناعية في أوربا، وتسارع إيقاع التوسع الأوربي الذي اتخذ نمطاً مختلفاً .

فحتى ذلك الحين كان الحافز الرئيسي للتوسع الأوربي هو التجارة في سلع الترف والرفاهية، وكانت السيطرة على البحار أهم من السيطرة على الأرض؛ لأن امتلاك مواقع تجارية صغيرة كان كافياً لضمان المصالح التجارية التي يحرص عليها ذلك النوع من التوسع الأوربي. إلا أنه نتيجة لصعود الرأسمالية الصناعية في أوربا خلال القرن التاسع عشر، أخذت الدول الأوربية توسع في نطاق سيطرتها على الأرض إما بغية احتكار أسواق تصدير المواد الخام والمنتجات الزراعية وأسواق استيراد المنتجات المصنعة، وإما لحماية مصالحها الاستراتيجية.

وفي بعض المناطق، كانت السيطرة الاستعمارية تهدف إلى إنشاء مستعمرات للمستوطنين البيض. فقد قامت فرنسا بجهود حثيثة لتوطين الفرنسيين في الجزائر وتونس، ونجحت بريطانيا وهولندا في إقامة دولة اعتمدت على المستوطنين البيض في جنوب إفريقيا. وهذا تقويم تاريخي لحركة استعمار العالم الإسلامي:

1 ـ الاستعمار الهولندي:

1621 م جزيرة جاوة

1874 م جزيرة سومطرة (أندونيسيا)

2 ـ الاستعمار البريطاني:

1757 م البنغال (بنغلاديش)

1849 م البنجاب (باكستان)

1815 م نيجيريا

1870 م تنزانيا

1882 م مصر

1898 م السودان

1917 م العراق

1920 م الأردن وفلسطين

3 ـ الاستعمار الفرنسي:

1830 م الجزائر

1881 م تونس

1882 م السنغال

1882 م مدغشقر

1912 م المغرب

1918 م سوريا ولبنان

4 ـ الاستعمار الإيطالي:

1887 م الصومال وأرتيريا

1911 م ليبيا

5 ـ الاستعمار الإسباني:

1914 م الريف (شمال المغرب)

وإذا كانت بقية البلدان الإسلامية لم تعانِ من الاحتلال العسكري المباشر إلا أنها لم تكن بمنأى عن النفوذ الغربي السياسي والاقتصادي فالنفوذ البريطاني كان له حضور قوي في إيران والجزيرة العربية.

استعمار الوطن العربي
حتى القرن العشرين

منذ أواخر القرن 15ً وقع الوطن العربي ضحية الغزو الاستعماري الأوربي الذي عمّ مختلف قارات العالم. كان ذلك تتمة للحروب الصليبية من جهة، وامتداداً لحركة التوسع لنهب ثروات العالم من جهة أخرى. اتخذ هذا الغزو أشكالاً عديدة، وعلى مراحل متتالية بدأها الإسبان والبرتغاليون، ثم الهولنديون منذ القرن 17ً والإنكليز والفرنسيون.

المرحلة البرتغالية - الإسبانية:

قطعت قوى الاستعمار البرتغالي- الإسباني أولاً طرق التجارة على الأساطيل العربية (أواخر ق 15ً)، في المحيط الهندي بإغلاق مضيق جبل طارق، واحتلت أطراف البلاد العربية في منطقتين، (المغرب والجنوب). استطاعت الدولة العثمانية في البحر المتوسط من جانب، والدولة السعدية من جانب آخر أن تطردا المحتلين من موانئ الغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن 16ً، لكن البرتغاليين بقي لهم وجود على الأطراف المشرقية من جزيرة العرب حتى النصف الأول من القرن 17ً، حين طردتهم المقاومة المحلية بدعم من الهولنديين والإنكليز. الذين ما لبثوا أن استعمروها.

المرحلة الإنكليزية - الفرنسية:

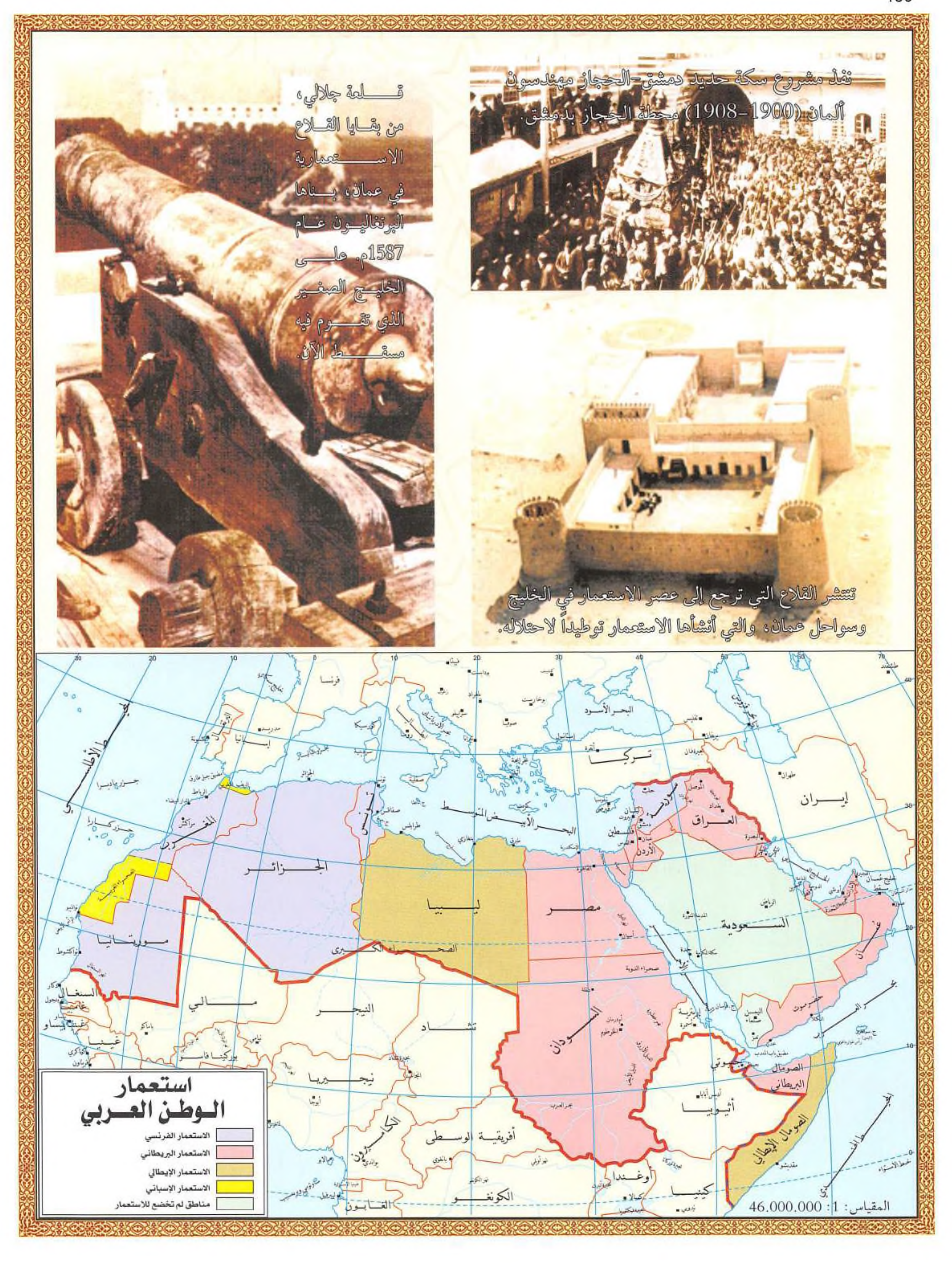
اكتسب الاستعمار آلية خاصة نتيجة الاستقرار الذي فرضته اتفاقيات فيينا (1815). وبعد الخسارة التي منيت بها بريطانيا في أمريكا (1783)، وفشل فرنسا في العالم الجديد، وجدت الدولتان التعويض الواسع من الأسواق والمادة الخام في الوطن العربي. ثم تبعتهما بعد ذلك ألمانيا وإيطاليا.

ركز الإنكليز جهودهم على المشرق خاصة لأنه طريق الهند، فيما توجه الفرنسيون إلى المغرب المقابل لهم على المتوسط. شاركتهما روسيا من بعيد، وألمانيا وإيطاليا بعد ذلك، وهكذا كان الاستعمار، في النصف الأول من القرن 19ً، يعمد إلى الاحتلال العسكري المباشر (الجزائر 1830، عدن 1839). أما بعد حرب القرم (1856)، فالتدويل والمساومات السرية كانت تسبق الاحتلال، كما جرى في أمر تونس (1881)، ومصر (1882)، والمغرب (1907)، وليبيا (1911). ثم تنوعت طرائق الاستعمارحسب المراحل، ومنها:

1- أسست القوى الغربية (الإنكليزية والهولندية ثم الفرنسية) شركات تجارية (شركات الهند) منذ مطلع القرن 17ً، وأصبح لهذه الشركات مع الوقت وكالات تجارية في الخليج والبصرة وبغداد وحلب والإسكندرية والقاهرة، وكانت تستخدم القنصليات والمصارف لتنفيذ أغراضها ومآربها. كما كان لهذه الشركات مواقع استراتيجية، وحصون وأساطيل للتجارة والقتال، وامتيازات جمركية، ومعاهدات أمّنت لها السيطرة على القوى المحلية.

2- فتحت المدارس التبشيرية منذ مطلع القرن 18ً. وباستثناء الجزائر، فإن معظم النشاط التبشيري كان يتركز في بلاد الشام (القدس، الناصرة، بيروت، حلب). وتميزت مدارس كل فريق بالدعوة لمذهبها الخاص، واستغلت هذه الأعمال التبشيرية، ومعها الطوائف الدينية المحلية، في المنافسات السياسية بين الدول الاستعمارية نفسها من جهة، وفي التأثير على السلطة العثمانية من جهة أخرى.

3- توغلت القوى الاستعمارية خلال القرن 19ً في المناطق العربية باستخدام المشاريع الاقتصادية (سكة حديد الحجاز، سكة حديد إستانبول- بغداد، قناة السويس، والبنك العثماني). وكان من أخطر وسائلها إغراق دول المنطقة بالديون. وكانت هذه الأعمال عادة تنتهي بالاحتلال العسكري المباشر، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وبعض البلاد العربية احتلت قبل ذلك بكثير (كالجزائر).



قلعة جلالي، من بقايا القلاع الاستعمارية في عمان، بناها البرتغاليون عام 1587م. على الخليج الصغير الذي تقوم فيه مسقط الآن.

نفذ مشروع سكة حديد دمشق-الحجاز مهندسون ألمان (1900-1908) محطة الحجاز بدمشق.

تنتشر القلاع التي ترجع إلى عصر الاستعمار في الخليج وسواحل عمان، والتي أنشأها الاستعمار توطيداً لاحتلاله.

حركات الإصلاح الديني
والتحرر الوطني

منذ مطلع القرن الثامن عشر أدت عوامل عديدة إلى إيقاظ المجتمع الإسلامي الذي كان تحت حكم الدولة العثمانية؛ فقوة الجيش الإنكشاري كانت قد تفسخت، والنظم الإدارية التقليدية نخرها الفساد، والمتمردون المحليون تكاثروا في مواقع عديدة ودمروا هيبة الدولة. وجاء دور الانكماش العثماني منذ أواخر القرن السابع عشر ليجهز على ما بقي للسلطنة من نفوذ داخلي أو خارجي .

أحـــــدث كل ذلك رد فعل عنيفاً في المجتمع الإسلامي الذي كانت بُــناه التقليدية تضطرب تحت ضغط الاستعمار الغربي، والاحتكاك من ثم بالثقافة الغربية، وكان لا بد من أن يبحث عن سبب العجز والهزائم. وتجلى الجواب في قـيام عدد من دعوات الإصلاح الإسلامي عملت كل منها في طريق.

حركة محمد بن عبد الوهاب:

أولى حركات الإصلاح انطلقت من نجد في أواسط القرن السابع عشر وعرفت باسم صاحبها محمد ابن عبدالوهاب (1703 - 1792م) الذي نادى بإعادة الإسلام إلى نقائه السلفي الأول والقيام بأركانه كما دعا إلى نبذ الخرافات والبدع. ولقيت دعوته السند القوي، حين تبناها آل سعود. وأسفر اللقاء بين القوتين الدينية والسياسـية عن قـيام كيان سياسـي فيما بـين نجد والأحساء، ثم شمل معظم الجزيرة العربية.

حاولت الدولة العثمانية قمع الحركة، فاستعانت بجيوش والي مصر محمد علي. ولكن نجاحه العسكري المؤقت لم يمنع الحركة من أن تعاود النشاط بقوة بعد انسحاب جيوشه (1841). ولم يقـتصر أثر الحركة الوهابية على رقعتها الجغرافية، فقد كان لها أصداء قوية وحركات تقتفي أثرها في الهند وفي أندونيسيا، وفي قلب إفريقية والسودان.

السنوسية والمهدية والميرغنية:

من حـــركات الإصلاح التي أخذت منهج الطرق الصوفية. تنسب السنوسية لمحمد بن علي السنوسي (1787 - 1859). ولد بـــالجزائر وتعلم في جامعة القرويين وفي القاهرة والحجاز. أسس زاويته الأولى على الساحل الليبي (الزاوية البيضاء) سـنة 1843. أضاف الى مبـادىء الدعوة الوهابـية أفكار التصوف والكشف. في سنة 1856 نقل مركز الدعوة الى واحة جغبوب . وفي عهد ابنه المهدي (1859 - 1902) بلغت السنوسية ذروة نشاطها. حتى بلغ عدد الزوايا عند موته 146 زاوية تمتد من السودان حتىالجزائر.

أما الميرغنية والمهدية فقد ظهرتا في السودان على نهج الأفكار الوهابية والسنوسية بتحرير الإسلام من الشوائب وإعادة نقائه الأول. أسس الأولى محمد عثمان الميرغني سنة 1826 في شرق السـودان، ونجح في النوبة وفي كردفان نجاحاً كبيراً، تولى أولاده الطريقة بعد موته.

وقامت المهدية بعد ذلك على يد محمد بن أحمد المهدي (1844 - 1885) الذي جمع الأنصار لطريقته الصوفية ولدعوته إلى العودة بالإسلام إلى عهد الرسالة وتوحـــــيد المذاهب فيه، وتحريم زيارة الأولياء، واستنكار الفساد الذي ظهر في المجتمع الإسلامي. وحين آلمه ما يلقى الناس من وحشية الحكم البريطاني وظلمه (الذي كان يتستر وراء الحكم الثنائي مع مصر)، أعلن أن تصوف المهدية يعني الحرب والاعتماد على الله لا المذلة والخنوع، وقدم الجهاد على فريضة الحج. وهكذا دخل بحركته العمل السياسي العسكري وقاد أنصاره الى عدة انتصارات عسكرية سنة 1885، ودخل أم درمان والخرطوم طارداً البريطانيين من البلاد.

لكن دولة المهدية انتهت عام 1898 حـــين عاد البريطانيون (وهم يجرون معهم الجيش المصري) إلى العاصمة أم درمان، وقتلوا في المعركة الدامية عبد الله التعايشي خليفة المهدي نفسه. لكن الدعوة استمرت عقيدة دينية وسياسية إلى اليوم.

حركات إصلاحية أخرى:

ظهر في القرن التاسع عشر مصلحون إسـلاميون آخرون حاولوا التوفيق بين النظام الإسلامي ونظم العالم الحديث. وكان أبرزهم :

- جمال الدين الأفغاني (1838- 1897)، ولد في أسد أباد بأفغانستان. تولى رئاسة الوزارة في بلاده. تنقل بين الهند ومصر ثم الآستانة (بـدعوة من السلطان). اختلف مع شيخ الإسلام فعاد إلى مصر. نفاه الخديوي توفيق فذهب إلى باريس، وأنشأ فيها مع تلميذه محمد عبده مجلة "العروة الوثقى". تولى وزارة الحربية لشاه إيران عام 1886م، ثم فارقه متنقلاً في أوربا، حتى استدعاه السلطان عبد الحميد 1892م، فبقـي في الآستانة حتى توفي.

دعا الأفغاني إلى يقظة المسلمين، وإلى ما عرف بـ"الجامعة الإسلامية"، للتخلص من التدخل الأجنبي ورفض الحكم الاستبدادي المطلق. وحظيت دعوته بانتشار واسع في أرجاء العالمين الإسـلامي والعربي، وتابـعه في النهج والأفكار والتوجهات تلميذه الإمام محمد عبـده (1845 - 1905) وتلميذ محمد عبـده الشيخ محمد رشيد رضا.

شـارك الإمام محمد عبـده في مناصرة الثورة العرابية، فنفي إلى الشـام عام 1881م، ثم سـافر إلى باريس حيث التقى بالأفغاني. عاد فاشتغل بالتدريس في بيروت، ثم عاد إلى مصر عام 1888م فعمل في القضاء، قبل أن يصبح مفتي الديار المصرية عام 1899م، إلى أن توفي بالإسكندرية. تتلخص رسـالته في الدعوة إلى تجديد وتحرير الفكر الإسلامي، وفي حق الشعب في العدالة.

- خير الدين التونسـي (1810 - 1899) الذي حاول تحقيق شكل الدولة الغربي في تونس، ونشر في ذلك كتابـه: (أقـوم المسـالك)، لكنه انتهى منفياً في إستانبول.

- عبـد الرحمن الكواكبي (1854 - 1903) ولد في حلب، وتلقى علومه في المدرسة على أيدي عدد من مشاهير العلماء فيها. طاف في الجزيرة العربية، وشرقـي إفريقـيا والهند والشـرق الأقـصى، على أثر تعرضه للاضطهاد والسـجن ومصادرة أملاكه بسبـب أفكاره الحرة، فر من "الإرهاب الحميدي" في الشام، وأقام في مصر، ونشر فيها أفكاره في الدعوة إلى التحرر والمطالبـة بـالحياة الدسـتورية ورفض كل أشـكال الاستبداد. وتوفي في القـاهرة متأثراً بسم دُس له عام 1902م، ودفن فيها. أثر تأثيراً عميقـاً في كبـار رجال الفكر والشعر والأدب بكتبه التي ألفها، ومنها كتاب "أم القرى". وله كتاب "طبائع الاستبداد" المعرب، وكتاب "العظمة لله"، و"صحـائف قـريش". كان يدعو لانتزاع الخلافة من العثمانيين وحصرها في العرب وحـدهم، وإلى الأخذ بمنجزات الحضارة الغربـيـة، والنظم الدستورية البرلمانية، مع معاداة الاستعمار.

جمال الدين الأفغاني



الإمام محمد عبده



عبد الرحمن الكواكبي

الإمام محمد المهدي

الحرب العالمية الأولى

في 28 يونيو 1914 اغتيل وريث عرش النمسا - المجر، الأرشيدوق فرانز فرديناند (863 1- 1914) في سيراجيفو في مقاطعة البوسنة. كان القاتل طالباً موالياً لصربيا اسمه جافريلو برنسيب (1893-1918)، أثار بعمله هذا سلسلة مناورات دبلوماسية أدت في آخر المطاف إلى الحرب. كانت بلاد البلقان منذ وقت طويل مركزاً للنزاع. وكانت القومية الصربية تهدد إمبراطورية النمسا - المجر المزعزعة، والتي كان تفككها سيؤدي إلى عزل حليفتها ألمانيا.

المعارك الأولى على الجبهتين:

ضغطت ألمانيا على حليفتها لتقوم بعمل حازم، فأعلنت النمسا- المجر الحرب على صربيا في 28 تموز- يوليو. بعد ذلك بيومين، أعلنت روسيا تعبئة جيوشها، فردت ألمانيا على ذلك بإعلان الحرب على روسيا في الأول من شهر آب- أغسطس. كانت خطة القائد الألماني "شليفن"، التي رسمت بقصد تفادي الحرب على جبهتين في آن واحد، تقضي بأن تقوم ألمانيا بهجوم سريع شامل عن طريق بلجيكا لسحق فرنسا، حليفة روسيا، ولهذا السبب، أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا في 3 آب- أغسطس، وقامت بغزو بلجيكا في اليوم التالي. نتيجة لذلك تدخلت بريطانيا للدفاع عن بلجيكا. في 9 سبتمبر، كانت القوات الألمانية قد تقدمت نحو نهر "المارن"، لكن القوات البريطانية والفرنسية استطاعت إيقافها. وفي نهاية شهر ت1- أكتوبر كانت جبهة القتال تمتد من القنال الإنكليزي إلى حدود سويسرا. أما على الجبهة الشرقية، فقد قام الجيش الروسي الضخم، الضعيف التسليح، بالتدفق على بروسيا الشرقية، حيث حلت به هزيمة ساحقة في 20 آب-أغسطس في معركة تاننبرج. دخلت تركيا الحرب إلى جانب قوى الوسط في ت1- أكتوبر عام 1914. بعد هجوم بحري باهظ التكاليف قام به الحلفاء في "غاليبولي" عند مدخل الدردنيل، حاول 75 ألف من الاستراليين والنيوزيلانديين والإنكليز والفرنسيين فتح جبهة جديدة على الأراضي التركية. فشلت الحملة، وانقطعت بذلك إمدادات الحلفاء عن روسيا. في نهاية عام 1915، أدرك الجانبان أن الحرب ستكون طويلة الأمد.

الحرب في البحار:

في بداية الحرب، فرض الأسطول البريطاني حصاراً بحرياً على الموانئ الألمانية، معيداً السفن المحايدة إلى حيث جاءت. رد الألمان على هذا بهجوم الغواصات، ولكنهم لم يحرزوا نجاحاً كبيراً في السنتين 1915 و1916، لان إغراق السفن المحايدة كان محظوراً. حصلت مواجهة واحدة بين الأسطولين البريطاني والألماني، وذلك في معركة غوتلند في 31 أيار- مايو 1916. لم تسفر المعركة عن نتيجة حاسمة، لكن الأسطول الألماني ظل على أثرها في موانئه حتى نهاية الحرب. خلال عام 1916 سبّب الحصار البحري لألمانيا نقصاً حاداً في المواد الغذائية، مما أدى إلى قيام اضطرابات، فشن الألمان في 31 ك2- يناير 1917 حرب غواصات أغرقوا فيها سفناً للولايات المتحدة، فجروها بذلك إلى حلبة الحرب.

الهجوم الأخير وانتصار الحلفاء:

على الجبهة الغربية بدأ الفرنسيون سلسلة معارك هجومية لم يحققوا فيها أي نجاح، استعملت فرنسا الدبابات في معركة كامبراي في25 ت2- نوفمبر، ولكن لم تحصل أية متابعة للنجاحات الأولى. كانت إيطاليا قد دخلت الحرب إلى جانب الحلفاء في 26 نيسان- إبريل 1915، وحاربت بشكل غير حاسم ضد النمسا- المجر، إلى أن لحقت بها هزيمة ساحقة في كاربوريتو في 24 ت1-أكتوبر 1917 كادت تخرجها من ساحة الحرب. أما في روسيا، فقد أدى موقف

الجماهير المعادي للحرب إلى خلع القيصر في أيار- مايو 1917. شنت الحكومة المؤقتة هجوماً آخر. بعد تعثر ذلك الهجوم استولى الحزب الشيوعي (البلشفيك) على الحكم في نوفمبر وسعوا للصلح.

أعطت معاهدة برست ليتوفسد في آذار- مارس 1918 ألمانيا مساحات هائلة في غرب روسيا كغنيمة حرب. أدرك الألمان أن عليهم أن يتبعوا نجاحهم في الشرق بانتصار في الغرب، وذلك قبل وصول المدد الأمريكي بكل قوته. لذلك شنوا سلسلة من الهجمات تحت قيادة الجنرال أريك لودندررف بين آذار- مارس وتموز- يوليو 1918، فاستطاعوا بذلك رد الحلفاء إلى "المارن"، ولكن تم إيقافهم مرة ثانية هناك. وبعد وصول الجيوش الأمريكية، قام الحلفاء بهجوم معاكس أثناء شهر آب- أغسطس، ثم بهجوم كبير واسع النطاق في 26 أيلول- سبتمبر أقنع القيادة العليا الألمانية أنها خسرت الحرب، فطلبت الصلح. وفي مطلع نوفمبر، قامت في ألمانيا حركات تمرد مناهضة للحرب ومؤيدة للبلشفيك، فتنازل القيصر عن العرش في 9 ت2- نوفمبر، ووقعت هدنة في 11 منه. كذلك سقطت النمسا - المجر في نوفمبر بعد هجوم شنه الحلفاء.

البلاد العربية
خلال الحرب العالمية الأولى

قبل بدء الحرب العالمية الأولى كانت البلاد العربية الإفريقية كلها وأطراف المنطقة العربية الآسيوية قد وقعت في قبضة السيطرة الاستعمارية. إنكلترا وفرنسا مع ذلك كانتا تطمعان أيضاً بالأراضي العربية الباقية بيد العثمانيين، وخاصة المنطقة الاستراتيجية ما بين الخليج العربي والبحر المتوسط، الشام والعراق. انحصرت القضية العربية خلال تلك الحرب في هذه المنطقة. خادع "الحلفاءُ" مشاعرَ العرب القومية وآمالهم في الاستقلال لوضع أيديهم أخيراً عليها، رغم ما قدمه العرب لقضية الحلفاء من عون، وما أخذوه من وعود.

العرب في المرحلة الأولى من الحرب:

مع نشوب الحرب (في آب- أغسطس 1914) واشتراك الدولة العثمانية فيها أصبحت بقاع عديدة من الوطن العربي أرض معركة. أعلنت إنكلترا على الفور الحماية على مصر، بينما كانت حملة إنكليزية من الهند تنزل جنوب العراق وتحتل البصرة محاولة شق الطريق إلى بغداد في وجه مقاومة تركية قاسية. بالمقابل تحرك الجيش العثماني- الألماني للهجوم على القناة بقيادة جمال باشا (فبراير1915). بعد أشهر كان السنوسيون يرهقون القوات البريطانية على حدود مصر الغربية. ثم قام سلطان دارفور (1916) بانتفاضة ضد الإنكليز وبالهجوم على السودان. أما الفرنسيون، فجندوا مئات الألوف من أبناء المغرب العربي وقوداً للمعارك الأوربية.

لم تكن جماهير العرب عامة منحازة ضد الدولة العثمانية، لكن "الاتحاديين" المسيطرين على الحكم أثاروا كره العرب ونقمتهم بسياستهم الطورانية، واصطناعهم القمع والإرهاب والنفي والإعدام للمتنورين (شهداء 6 أيار- مايو 1916). زاد في قسوة هذه الأعمال ما رافقها من تدابير تعسفية، كمصادرة المحاصيل وقطع الشجر لوقود القاطرات وفرض السخرة. وزاد الأمر سوءاً تفشي الأمراض واستفحال المجاعة في كثير من البقاع.

الثورة العربية
بقيادة الشريف حسين

استغل الإنكليز هذه الظروف السيئة ليفتحوا على العثمانيين الجبهة الداخلية، فاتصلوا بالشريف حسين في مكة، وكانت له مكانته الدينية والقومية، وقدموا له تعهدات غامضة بضمان استقلال العرب إن هم وقفوا إلى جانب الحلفاء. تبادل الشريف حسين معهم الرسائل التوضيحية (مراسلات حسين- مكماهون)، في الوقت

الذي اتجهت فيه أنظار المتنورين في الشـام والعراق ومصر إليه للتحرك. وفي 10 حزيران- يونيو أعلن الثورة واتخذ لقب ملك العرب، بينما اكتفى الحلفاء بتلقيبه بملك الحجاز. انضم إليه الكثير من المتطوعين من ضباط العرب ومن قبائل البدو.

الاستثمار الاستعماري للثورة العربية:

امتعض من الثورة عدد من الدوائر الإسلامية في مصر والمغرب العربي وحتى في بلاد الشام. لكن العثمانيين فجعوا بها، لأنها كانت أول تحدّ عسكري عربي لسيادتهم، ولأنها فتحت عليهم جبهة غير منتظرة. أمدّ الإنكليز جيش الثورة بالسلاح والمال والتنظيم، فاستطاع بعد معارك قاسية أن يخرج العثمانيين من الحجاز كله بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، يساعده الضابط الإنكليزي لورانس. وحين وصلت القوى العربية إلى العقبة (في تموز- يوليو 1917)، كان الإنكليز بالاتفاق مع إيطاليا قد قضوا على الحركة السنوسية (تموز- يوليو 1916)، ثم على سلطة دارفور (تشرين الثاني- نوفمبر 1916)، واستطاعوا بعد هزيمتهم في الكوت (نيسان- إبريل 1916)، أن يعاودوا المسير إلى بغداد فيدخلوها في (آذار- مارس 1917)، وأن يعبروا سيناء إلى فلسطين (ك2- يناير من عام 1917).

بذلك صار جيش الثورة العربية هو الجناح الأيمن للقوات البريطانية التي تواجه الجيش العثماني في الشام. بعد أن دخل الجنرال اللنبي القدس (في ك1- ديسمبر 1917)، نزلت القوات الفرنسية في الساحل السوري، واخترقت القوات العربية شرقي الأردن إلى دمشق (أيلول- سبتمبر 1918). بعد ذلك بشهر أعلن الأمير فيصل تأسيس حكومة عربية فيها. المعركة الأخيرة مع القوات العثمانية في مرج دابق في شمال سوريا (ت1- اكتوبر 1918) حررت آخر الأراضي العربية من سلطة الأتراك.

اللعبة الاستعمارية:

ظن العرب أن انتصاراتهم العسكرية مع وعود الحلفاء تكفي لضمان الاستقلال والوحدة لهم. لكنهم حتى وهم لا يزالون في العقبة، بدأوا في اكتشاف الخداع الاستعماري. فالثورة الروسية (ت1- أكتوبر 1917) فضحت وثائق الاتفاق الإنكليزي- الفرنسي- الروسي لتقاسم المشرق العربي. عُرفت تلك الوثائق باتفاقية "سايكس بيكو"، التي تقضي بأن يكون النصف الشمالي من سوريا لفرنسا، وباقيها في الجنوب (فلسطين والأردن) مع العراق لبريطانيا. لم يكن ذلك هو الخداع الوحيد؛ فقد كانت بريطانيا أيضاً قد أصدرت في 2 ت2- نوفمبر 1917 تصريحاً سرياً للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وعرف ذلك التصريح بوعد بلفور. بذلت الدبلوماسية الإنكليزية جهدها للتمويه على ذلك كله أثناء العمليات العسكرية. لكن حين وضعت الحرب أوزارها، أخذت الأطماع الاستعمارية كل أبعادها في التنفيذ العملي على الأرض.


الشريف حسين

الأسرة الهاشمية



فيصل بن الحسين 1921-1933



غازي بن فيصل 1933-1939



عبد الإله 1941-1953

فيصل بن غازي 1939-1958





عبد الله الأول 1946 - 1951



طلال بن عبد الله 1951 - 1952



الحسين بن طلال 1952- 1999



الأخَوان الهاشميان: الملك حسين وشقيقه الحسن



عبد الله الثاني بن الحسين 1999

الأسرة السعودية



عبد العزيز آل سعود
1953-1902

فيصل بن عبد العزيز
1975-1964





سعود بن عبد العزيز
1964-1953



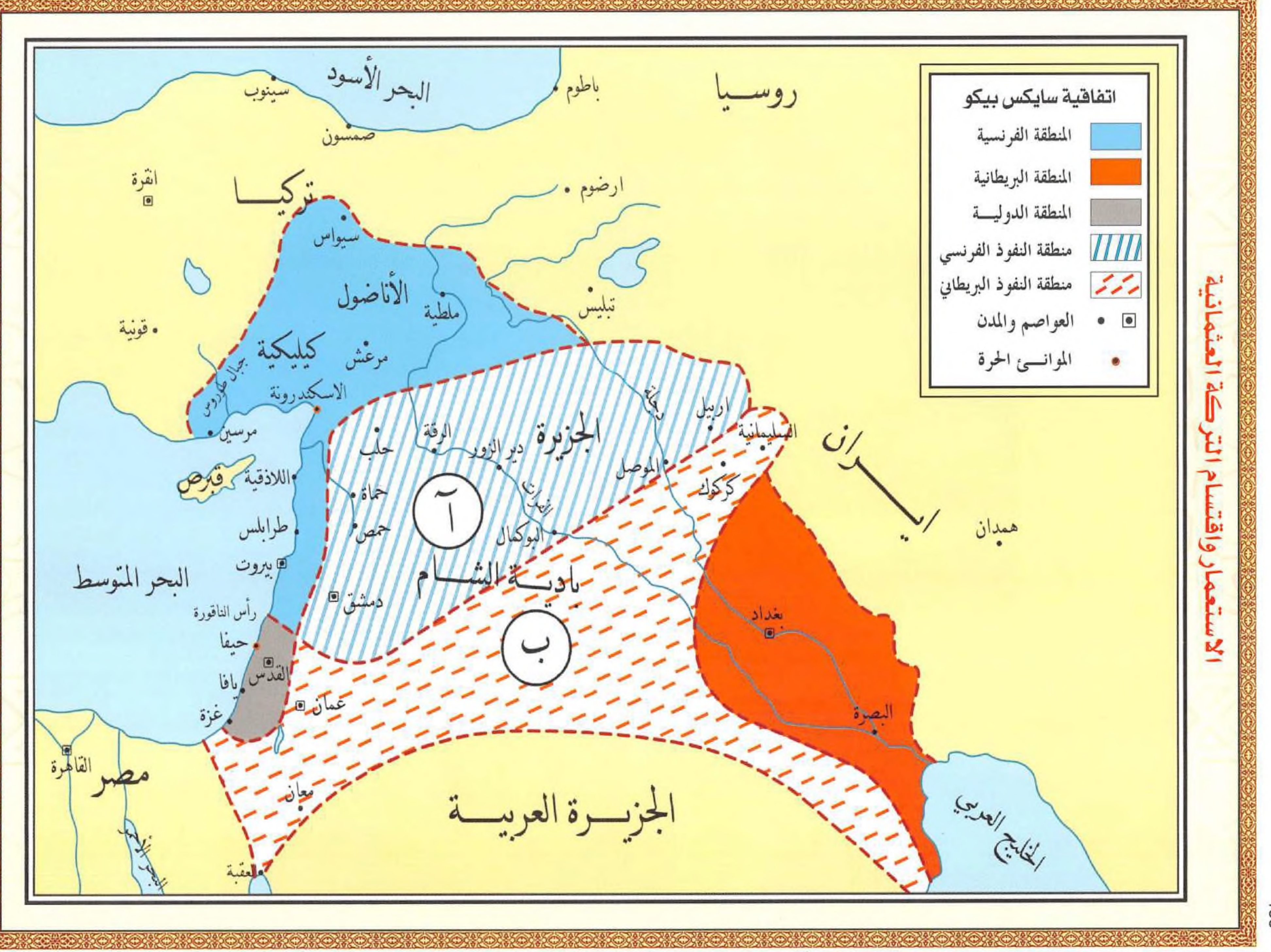
خالد بن عبد العزيز
1982-1975

عبد الله بن عبد العزيز
2005



فهد بن عبد العزيز
2005-1982

الاستعمار واقتسام التركة العثمانية



قضية الاستعمار المحورية

وعد بلفور المشؤوم

ترجع البدايات الأولى لفكرة إنشاء وطن خـاص باليهود، يجمع شتاتهم ويكون حارسًا أميناً على مصالح دول (أوربـا) الاستعمارية في الشرق إلى ما قبل الحملة الفرنسية على مصر، وتجلى ذلك بوضوح في خطاب "نابليون" الذي وجهه إلى يهود الشرق؛ ليكونوا عونًا له في هذه البلاد. وقد وجدت هذه الدعوة صدى لها لدى كثير من اليهود.

ومع نهايات القرن التاسـع عشـر انتقـلت فكرة الصهيونية التي تزعمها "تيودور هرتزل" مؤســـس الحركة الصهيــــونية - من مرحلة التنظير إلى حيِّز التنفيذ، وذلك بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل بسويسرا عام (1897م)، وتجلى ذلك بوضوح في سعي الصهيونيين الدائب للحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي يهودي. وكانت بريطانيا بشـــخص وزير خارجيتها صاحبة الفضل في الوعد المشؤوم الذي اقترن باسمه في التاريخ.

وبتكليف من الحلفاء أقدمت "بريطانيا" على تلك الخطوة الخطيرة، فأصدرت وعد بـلفور، ونشـرته الصحف البريطانية صبـاح (8 ت2 - نوفمبر1917م) وكان نصه:

وزارة الخارجيـة 2 من نوفمـبر 1917م

عزيزي اللورد "روتشلد"

يسرني جدًّا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي الذي ينـطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقـــد عرض على الوزارة وأقرّته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قـومي للشـعب اليهودي في فلسـطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهومًا بشكل واضح أنه لن يؤتى بـعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمـة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمـتع به اليهـود في البلدان الأخرى. وسأكون ممتـنًا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلص

آرثر بلفور

فور إعلان هذا الوعد سـارعت دول أوروبـا، وعلى رأسها فرنسا" و"إيطاليا" و"أمريكا" بتأييده، بينما كان في مناطق العالم العربي وقع الصاعقة ، واختـلفت ردود أفعال العرب عليه بـين الدهشـة والاسـتنكار والغضب.

ودخلت الجيوش البريطانيـــة بقـــيادة اللورد "اللنبي" إلى القدس، وترجّل القائد الإنجليزي وقـال كلمته الشهيرة: "اليوم انتهت الحروب الصليبية".

وبـــعد ذلك بنحـــو ثلاثة أعوام دخل الجنرال الفرنســي "غورو" دمشـــق في عام (1920م) ووضع قدمـــه على قبر "صلاح الدين الأيوبي" وهو يقول في تحـدٍّ وتشفٍّ لا يخـلو من حقد :"ها نحن قد عدنا ثانية يا صلاح الدين".

وفي (نيسـان- إبـــريل 1920م) وافق "المجلس الأعلى لقـوات الحلفاء" على أن يعهد إلى "بـريطانيا" بالانـتداب على "فلسطين"، وأن يوضع "وعد بلفور" موضع التنفيذ. ثم ما لبث مجـــــلس "عصبة الأمم المتحدة" أن وافـــق على مشروع الانتداب في (24 تموز- يولـــــيو 1923م)، ثم دخل مرحلة التطبيق الرسمي في (29 أيلول- سبتمبر 1923م).

قضية الاستعمار المحورية

القضية الفلسطينية

التطورات الجغرافية والتاريخية الأولى



مشروع التقسيم الذي
أقرت لجنة الأمم
المتحدة الخاصة أكثريته



مضمون اقتراح مشروع
آخر قدمه الوسيط الدولي
الكونت برنادوت



الأقسام التي أخذتها
القوى الصهيونية قبل
نهاية الانتداب.

يوميات القضية
خلال القرن العشرين

9 / 5 / 1916 التوقيع على اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا التي منحت لبريطانيا الانتداب على فلسطين.

2 / 11 / 1917 وزير الخارجية البريطانية بلفور يقدم وعداً لليهود بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين وبريطانيا ترحب بذلك.

3/ 7 /1920 انعقاد مؤتمر قومي في دمشق يرفض الانتداب الفرنسي ويعلن سورية الكبرى التي تضم فلسطين.

15/ 8/ 1929 اندلاع ثورة البراق في القدس بسبب محاولة اليهود الاستيلاء على الحرم الشريف، ومواجهات دموية في حائط المبكى "البراق" امتدت إلى مدن فلسطينية أسفرت عن مقتل 78 فلسطينياً و 120 صهيونياً.

1935 سقوط عز الدين القسام، أول شهيد للمقاومة العربية ضد الوجود البريطاني في فلسطين.

20/ 4/ 1936 زعماء الأحزاب الفلسطينيون يشكلون اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني.

7/ 5/ 1936 انطلاق الثورة الكبرى في إطار جيش الجهاد بالقدس بقيادة عبد القادر الحسيني.

13/ 8/ 1945 الوكالة اليهودية تطالب بإنشاء دولة يهودية في فلسطين عقب الكشف عن وقوع الهولوكوست. (المذبحة الألمانية لليهود).

29/ 11/ 1947 الأمم المتحدة تتبنى خطة تقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية.

1/ 1/ 1948 جامعة الدول العربية تشكل جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي.

9/ 4/ 1948 مذبحة دير ياسين حيث دخل الصهاينة القرية وقاموا بمذبحة مروعة راح ضحيتها 254 شهيداً.

14/ 4/ 1948 إعلان دولة إسرائيل بالتزامن مع انتهاء الانتداب البريطاني.

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

·r Lord Rothschild,

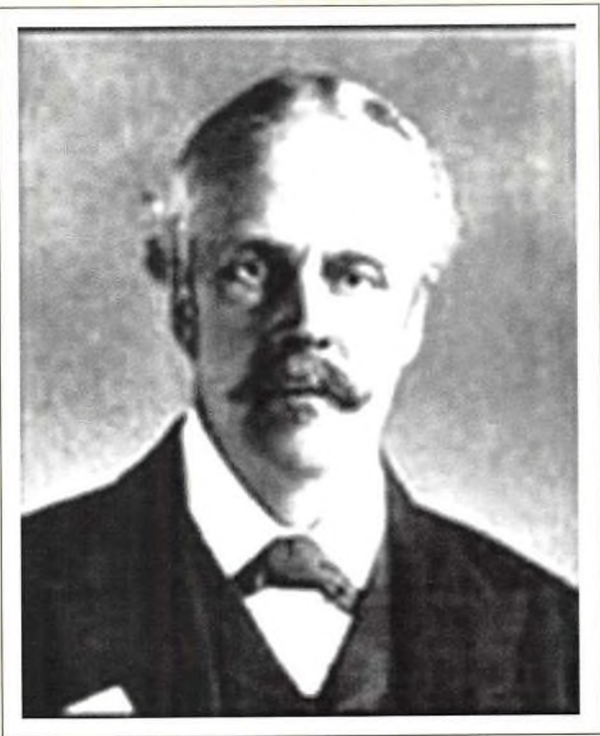
I have much pleasure in conveying to you, on ·half of His Majesty's Government, the following ·eclaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet.

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Y. s
Arthur James Balfour

صورة لنص الوعد المشؤوم



آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا
وصاحب الوعد المشؤوم

15/ 5/ 1948 دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، بـــــعد انتهاء الانتداب البريطاني، جيوش من مصر والأردن والسعودية وسورية والعراق.

16/ 12/ 1949 شـرق الأردن يضم الضفة الغربـية ويصبح الإجراء نهائياً عام 1950.

20/ 7/ 1951 فلسـطيني يقـتل الملك عبـد الله في القدس آخذاً عليه إجراء اتصالات مع اليهود.

4/ 3/ 1957 ديفيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل يأمر قوات الاحتلال بالانسحاب من قطاع غزة وشرم الشـــيخ المصرية، وهي مناطق تم احـــتلالها خلال العدوان الثلاثي عام 1956.

2/ 6/ 1964 إعلان انشاء منظمة التحرير في 28 أيار في القـدس الشرقـية ورئيس المنظمة أحمد الشقـيري يعلن في 27 أغسـطس (آب) تأسـيس جيش التحـرير الفلسطيني.

1/ 1/ 1965 حــركة فتح تنفذ أول عملياتها بهجوم على منشآت على نهر الأردن، وتعلن أن انطلاقة الثورة جاءت رداً على النكبة.

5/ 6/ 1967 اندلاع حرب حزيران واحتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة.

7/ 6/ 1967 إســرائيل تحتل القــدس الشرقـــية.

21/ 8/ 1969 حرق المسجد الأقصى على يد إرهابي يهودي، وقيام السلطات الإسرائيلية بقطع المياه ومنع سيارات الإطفاء من إخماد الحريق الذي أتى على منبر نور الدين زنكي الذي أقامه صلاح الدين الأيوبي.

30/ 3/ 1976 يوم الأرض واندلاع مواجهات شعبية مع الاحـتلال الإسـرائيلي بسبـب مصادرة إســرائيل لمساحة 21 ألف دونم من أراضي فلسطينيي 1948، وأسفرت المواجهات عن مقتل 6 فلسطينيين.

14/ 3/ 1978 الجيش الإسرائيلي يجتاح جنوب لبنان.

25/ 2/ 1980 وفاة أحمد الشقـيري مؤسـس وأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، الذي بقي على رأس المنظمة حتى ديسمبر (كانون الأول) 1967.

21/ 8/ 1982 خروج قـــوات منظمة التحـــرير الفلسطينية من بيروت بـعد التوصل إلى اتفاق لوقـف إطلاق النار.

9/ 12/ 1987 اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية والتي استمرت حتى توقـيع اتفاق أوسلو في عام 1993.

16/ 4/ 1988 المخابرات الإسـرائيلية تفجر سـفينة العودة في قبرص التي تولت نقل المبعدين.

16/ 4/ 1988 اغتيال أبو جهاد (خليل الوزير) نائب عرفات في تونس.

15/ 11/ 1988 إعلان الدولة الفلسطينية في الجزائر وقبول قرار التقسيم.

14/ 1/ 1991 اغتيال القادة الثلاثة في تونس، أبو اياد وأبو الهول وأبو محمد العمري.

30/ 10/ 1991 انعقـــاد مؤتمر مدريد للســلام في إسبانيا بحضور أطراف الصراع العربي - الإسرائيلي.

13/ 9/ 1993 المصافحة التاريخية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في واشنطن والتي توجت بتوقـيع اتفاق اوسلو أو إعلان المبادىء.

4/ 5/ 1994 توقيع اتفاق القاهرة (غزة- أريحا أولاً) بين منظمة التحرير وإسـرائيل بحضور ورعاية الرئيس المصري حسني مبارك.

10/ 5/ 1994 دخول القـوات الفلســطينية إلى غزة والبـالغ عددها 150 رجلاً بقـيادة اللواء نصر يوسـف ايذاناً بإقامة السلطة الفلسطينية.

1/ 7/ 1994 عودة الرئيس ياسر عرفات إلى غزة بعد الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1967.

6/ 1/ 1996 المخابـرات الإسـرائيلية تغتال يحيى عياش، قائد الجناح العسكري لحركة حماس.

20/ 1/ 1996 انتخاب ياسر عرفات رئيساً للسلطة الفلسطينية بأغلبية 87% من الأصوات.

24/ 11/ 1998 افتتـاح مطـار غـــزة الـــدولي.

15/ 12/ 1998 زيـارة الرئيـس كلينتـون إلى غـزة.

وما زالت فلسطين محتلة

صفحات من انتفاضة الأقصى

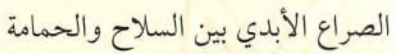




السلاح الإسرائيلي على رؤوس المصلين في الأقصى

الأهداف السهلة للاحتلال الظالم





الصراع الأبدي بين السلاح والحمامة





الوطن العربي والحرب العالمية الثانية

لم يكن للوطن العربي كله أية علاقة بالحرب، ولكنها امتدت إلى مشرقه ومغربه نتيجة الاستعمار.

الأعمال الحربية في الأرض العربية:

كان وضع الحلفاء العسكري في الوطن العربي قوياً في بداية الحرب، فيما عدا الرفض الشعبي لهم. لكن هذا الوضع أصيب بشرخ خطير إثر هزيمة فرنسا، ووصول الألمان إلى سوريا ولبنان والمغرب العربي من خلال حكومة فيشي. كان ذلك يعني أن بريطانيا بقيت وحدها في الشرق الأوسط، ويجب أن تدافع عن مواقعها فيما بين وادي النيل إلى العراق والخليج. ولم يكن بإمكان القوى الفرنسية في سوريا اتخاذ موقف هجومي ضد المواقع البريطانية في فلسطين والأردن والعراق لهذا انحصرت الجبهة الحربية أولاً في الحدود مع ليبيا.

وصلت القوى الإيطالية والألمانية بعد هجومين خاطفين (1941 و1942) إلى ضواحي الإسكندرية، بينما كان الجيش الألماني يخترق روسيا إلى القفقاس. أسرعت بريطانيا في احتلال سوريا ولبنان (حزيران- يونيو 1941)، وفي اقتسام إيران مع روسيا واحتلال جنوبه (أيلول- سبتمبر)، وعزل الشاه ونفيه. على أن الانقلاب في ميزان القوى جاء بعد دخول أمريكا الحرب (ك1- ديسمبر 1941). مما سمح لبريطانيا بكسب معركة العلمين (ت1-أكتوبر 1942)، بينما كانت القوى الألمانية تُهزم في روسيا، وكانت قوى الحلفاء والأمريكيين في الوقت نفسه تنزل في شمال إفريقيا، وتسير نحو تونس لتلتقي مع القوى البريطانية القادمة عبر بنغازي وطرابلس.

العرب والحرب:

استغل الحلفاء الأرض العربية واقتصادها وطرقها وإمكاناتها البشرية، بأقصى ما يستطيعون. واجهت هذه البلاد في المشرق والمغرب صعوبات اقتصادية كثيرة. من جهة أخرى لم تكن العواطف الشعبية مع الحلفاء لما عرفه العرب من مظالم الاستعمار، ولما شهدوه من المؤامرة الإنكليزية الصهيونية في فلسطين، كما لم تكن بجانب المحور (وبخاصة إيطاليا) لأعمالها الوحشية في ليبيا. تقبل بعض الناس ألمانيا فقط لأنها عدوة الأعداء. حاول الحلفاء بأجهزة الدعاية الواسعة التقرب من الرأي العام العربي، ودغدغة الأحلام القومية. لم يكن الناس قد نسوا بعد خديعة الحرب العالمية الأولى، مما اضطر الحلفاء لتقديم بعض الأدلة الملموسة على النوايا فكان من ذلك: اقتراحهم بواسطة زعامة الوفد في مصر تأسيس الجامعة العربية، وتم ذلك في ت1- أكتوبر 1944. كما وعد الحلفاء سوريا ولبنان بالاستقلال، ووعدوا ليبيا والجزائر بمثله، ووعدوا المغرب وتونس بإلغاء الحماية. مقابل ذلك أعلنت معظم النظم العربية الحرب على المحور في السنتين الأخيرتين للحرب.

نتائج أخرى للحرب:

مقابل عمليات التخريب الواسعة التي أصابت أكثر البلاد العربية، عجلت الحرب في عملية التحرر العربي، ودفعت الكثير من الأوضاع إلى التغير:

1- خلال ربع القرن التالي لم يبق بلد عربي محتل.

2- أحدثت الحرب تغيراً أساسياً في علاقة أمريكا بالمنطقة العربية. فقد حلت تدريجياً محل بريطانيا في المشرق، ومحل فرنسا في المغرب لتأمين النفط، وإيقاف التوسع الشيوعي، ومؤازرة الصهيونية.

3- أتاحت الحرب للاتحاد السوفييتي إقامة علاقات مع المشرق العربي بعد أن كانت المنطقة مغلقة دونه.

4- أحدثت الحرب تغيرات في البنى الاقتصادية والاجتماعية للبلاد العربية بسبب التنمية الصناعية السريعة، ونمو الطبقة العاملة، وإثراء بعض الطبقات.

5- على أن أفجع وأسوأ ما لقيه العرب من نتائج الحرب هو تبني أمريكا والاتحاد السوفييتي مع قوى الغرب للصهيونية، ومؤازرتها في إقامة دولة صهيونية عنصرية في فلسطين عام 1948.



استقلال
الوطن العربي
وحدها فلسطين لم تزل تحت الاحتلال
الصهيوني الإسرائيلي الذي خلف الاستعمار
البريطاني صاحب الوعد المشؤوم
استقلال جزر القمر عام 1975
المقياس: 1: 29.000.000
المحيط الأطلسي
فرنسا
إسبانيا
البرتغال
إيطاليا
تركيا
إيران
البحر الأبيض المتوسط
المغرب 1956
الجزائر 1962
تونس 1956
ليبيا 1951
مصر 1954
موريتانيا 1960
1975
سورية 1946
لبنان 1946
فلسطين
الأردن 1946
العراق 1932
1961
المملكة العربية السعودية
1971
1971
1971
1971
عُمان
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية 1967
الجمهورية العربية اليمنية
بحر العرب
السودان 1956
جيبوتي 1977
الصومال 1960
أثيوبيا
كينيا
أوغندا
الكونغو
الغابون
الكاميرون
أفريقية الوسطى
تشاد
النيجر
نيجيريا
مالي
السنغال
غامبيا
غينيابيساو
غينيا
بوركينا فاسو
المحيط الهندي

أبرز أحداث العصر إلى نهاية الألفية الثانية

1953 الثورة على الملكية في مصر، اللــواء محمــد نجيب يتولى السلطة.

1954 تنحية محمد نجيب، عبد الناصر يتولى السلطة.

1954 الاتفاقية المصرية البريطانية للجلاء عن القناة.

1954 تأسيس حلف بغداد

1954 وفاة عبدالعزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية، ولده سعود يتولى الحكم بعده.

1955مؤتمر (باندونغ) وقيام منظمة دول عدم الانحياز.

1956 استقلال تونس

1956 فرنسا تعيد السلطان محمد الخامس إلى عرش بلاده وتعلن استقلال المغرب.

1956 في الجزائر قيام ثورة المليون شهيد المسلحة ضد قوات الاستعمار الفرنسي وتحريرها.

1957 اتفاقية التضامن بين مصر وسوريا والأردن والسعودية

1957 استقلال السودان

1957 العدوان الثلاثي على مصر (بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني الإسرائيلي).

1958 استقلال جمهورية غويانا الإسلامية.

1958 انتهاء الحكم الملكي في العراق.

1958 الوحدة السياسية بين مصر وسوريا.

1959 القوات الفرنسية تقتل 120 ألف جزائري.

1959 استقلال غينيا.

1960 استقلال الصومال.

1961 استقلال الكويت والغابون ونيجيريا وساحل العاج ومالي وموريتانيا وفولتا العليا وتوغو والنيجر والسنغال وإفريقية الوسطى.

1961 قيام الانفصال وفشل الوحدة بين مصر وسوريا

1962 نهاية نظام الأئمة وإعلان الجمهورية اليمنية.

1962 استقلال كل من الجزائر وتنزانيا وسيراليون.

1963 استقلال ماليزيا وأوغندا.

1963 ثورة الثامن من آذار - حزب البعث يتولى الحكم في سورية، وينهي فترة حكم الانفصال.

1964 استقلال كينيا وزنجبار التي ضمت بعد ذلك لتنجانيقا فيما يسمى الآن بتنزانيا.

1964 صدور الميثاق القومي الفلسطيني.

1964 الفاتيكان يصدر وثيقة تبرئة لليهود مما يضفي شرعية على الدولة الإسرائيلية.

1964 مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة.

1965 استقلال غامبيا.

1965 خلع ملك المملكة العربية السعودية الملك سعود وتولية أخيه الملك فيصل الحكم.

1966 استقلال جزر المالديف.

1966 إسرائيل تدمر قرية السموع بالأردن.

1967 قيام جمهورية جنوب اليمن

1967 الحرب العربية الإسرائيلية الثانية (حزيران).

1968 استقلال جمهورية اليمن الشعبية.

1968 انسحاب القوات المصرية من اليمن.

1968 حزب البعث يصل إلى الحكم في العراق.

1969 انتهاء الحكم الملكي في ليبيا - ثورة الفاتح بقيادة معمر القذافي (أيلول- سبتمبر).

1969 وفاة الملك سعود بن عبد العزيز.

1970 استقلال عُمان، السلطان قابوس يتولى الحكم.

1970 الصدام الفلسطيني الأردني (الحرب الأهلية في الأردن - أيلول الأسود).

1970 مذابح المسلمين الكبرى في الفلبين.

1970 حافظ الأسد يقوم بحركته التصحيحية ويتولى الحكم في سورية (تشرين الثاني).

1970 وفاة جمال عبد الناصر - السادات يخلفه.

1971 استقلال كل من قطر والبحرين والإمارات.

1971 هزيمة باكستان في حرب ضد الهند.

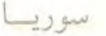
1973 مصر وسوريا تشنان حرباً تحريرية على إسرائيل.

أبرز أحداث العصر إلى نهاية الألفية الثانية

1973 حظر البترول العربي عن الغرب.
1974 بدء الحرب الأهلية اللبنانية.
1975 إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية.
1975 اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، خالد بن عبد العزيز يخلفه.
1976 استقلال جزر القمر وجيبوتي.
1978 السادات يزور إسرائيل ويعرض عليها السلام.
1978 الإطاحة بالنظام الملكي في أفغانستان.
1979 مؤتمر كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل
1980 ظهور الثورة الخمينية في إيران.
1980 توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.
1981 اندلاع الحرب بين العراق وإيران.
1982 إسرائيل تدمر المفاعل النووي العراقي.
1982 إسرائيل تجتاح لبنان وتحاصر بيروت.
1982 خالد الإسلامبولي يغتال الرئيس السادات.
1982 انتهاك الإسرائيليين للمسجد الأقصى.
1982 مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا.
1982 وفاة الملك خالد، فهد بن عبد العزيز يخلفه.
1984 بدء انسحاب القوات الليبية والفرنسية من تشاد.
1985 انسحاب القوات الإسرائيلية من (صيدا والنبطية وصور) بعد اجتياحها للبنان.
1985 استقلال بروناي.
1986 هجوم أمريكي على القواعد الليبية.
1988 اندلاع الانتفاضة الفلسطينية.
1988 قبول إيران بقرار مجلس الأمن الدولي الذي يقضي بوقف الحرب مع العراق والانسحاب من قبل كلا الطرفين.
1988 وقف الحرب بين تشاد وليبيا.
1989 انسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان.
1989 إعلان المجلس الوطني الفلسطيني عن قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس على الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام1967م.

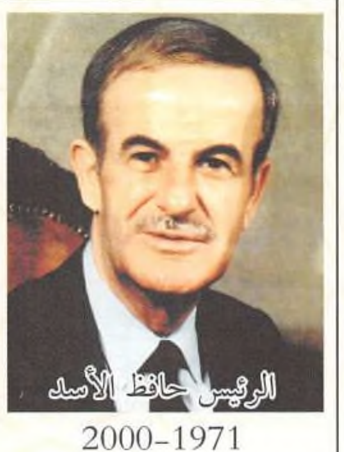
1989 هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل.
1990 الوحدة الاندماجية بين جمهوريتي اليمن.
1990 ألبانيا تخرج عن النفوذ الشيوعي.
1990 زلزال شديد يدمر شمال غرب إيران ويقتل ويصيب أكثر من مائة ألف شخص.
1990 أمريكا تشن هجوماً انقلابياً على "بنما".
1990 الهند تحبط محاولة لانفصال كشمير الإسلامية.
1990 وفاة الخميني قائد الثورة الإيرانية.
1991 فتح رصاص الجيش الإسرائيلي على مصلى القدس الشريف وقتل الإمام.
1991 إعلان إسرائيل عن وصول اليهود الألبان إليها.
1991 الجيش العراقي يغزو الكويت.
1992 الدول المتحالفة بقيادة أمريكا تخرج القوات العراقية من الكويت.
1992 الاعتراف الدولي بالجمهوريات الإسلامية التي كانت خاضعة للنفوذ السوفييتي.
1992 اغتيال الرئيس الجزائري محمد بوضياف في مدينة عنابة الجزائرية.
1993 مذابح المسلمين في البوسنة والهرسك.
1995 الفلسطينيون والأردنيون يوقعون معاهدتين منفصلتين للسلام مع دولة إسرائيل.
1996 توقيع معاهدة باريس لإنهاء حرب البوسنة بتقسيم البلاد.
1999 حرب كوسوفا من قبل الصرب للتطهير العرقي
2000 فوز الإصلاحيين في إيران في الانتخابات.
2000 القوات الإسرائيلية تنسحب من جنوب لبنان، منهية اثنين وعشرين عاماً من الاحتلال.
2000 وفاة الرئيس السوري حافظ الأسد، نجله بشار يتولى الحكم من بعده.
2000 تفجير مدمرة أمريكية في ميناء عدن في طريقها للانضمام للقوات الأمريكية المرابضة في الخليج.

أبرز شخصيات العصر السياسية





أعلام الكتلة الوطنية في سوريا، من الشمال :
1 -إبراهيم هنانو. 2-هاشم الأتاسي. 3- فارس الخوري
4- فاخر الجابري. 5- سعد الله الجابري.
6- جميل إبراهيم باشا. 7- شكري القوتلي....



الرئيس حافظ الأسد
2000-1971



الرئيس بشار حافظ الأسد
2000

حكام مصر بعد الملكية



اللواء محمد نجيب
1954-1952



جمال عبد الناصر
1970-1954



محمد أنور السادات
1981-1970



محمد حسني مبارك
1981

بعض حكام تونس قبل الجمهورية (الحسينيون)



محمد الحبيب
1929-1922

أحمد باي بن علي باي
1942-1929

منصف باي بن الناصر باي
1943-1942

الأمين باي بن محمد الحبيب
1956-1943

رؤساء الجمهورية في تونس



الحبيب بورقيبة
1987-1957

زين العابدين بن علي
1987

أبرز شخصيات العصر السياسية

ملوك الأسرة العلوية الفيلالية في المغرب

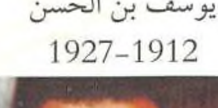


عبد العزيز بن الحسن
1908-1894



عبد الحفيظ بن الحسن
1912-1908





يوسف بن الحسن
1927-1912



محمد الخامس بن يوسف
1961-1927

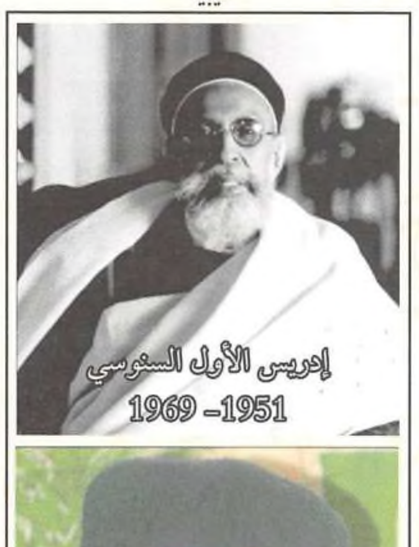


الحسن الثاني
1999-1961



محمد السادس
1999

ليبيا



إدريس الأول السنوسي
1969 -1951



العقيد معمر القذافي
1969

رؤساء الجمهورية في الجزائر منذ الاستقلال



أحمد بن بلة
1965-1962



هواري بو مدين
1978-1965



رابح بيطاط
1979-1978



الشاذلي بن جديد
1992-1979



محمد بو ضياف
1992-1992



علي كافي
1994-1992



اليمين زروال
1995-1994

عبد العزيز بو تفليقة
1999

أبرز شخصيات العصر السياسية

الجمهورية العراقية

حكام ورؤساء الجمهورية في العراق

محمد نجيب الرباعي	1958 - 1963	مع عبد الكريم قاسم
عبد السلام عارف	1963 - 1966	اغتيل
عبد الرحمن البزاز	1966 - 1966	
عبد الرحمن عارف	1966 - 1968	خلع
أحمد حسن البكر	1968 - 1979	استقال
صدام حسين	1979 - 2003	

* * *

غازي عجيل الياور	2004 - 2005
جلال طالباني	2005



عبد الكريم قاسم

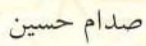


عبد السلام عارف



أحمد حسن البكر





صدام حسين

رؤساء الجمهورية في السودان

إسماعيل الأزهري	1965 - 1969
جعفر محمد النميري	1969 - 1971
با بكر النور عثمان	1971 - 1971
جعفر محمد النميري (مرة ثانية)	1971 - 1985
عبد الرحمن سوار الذهب	1985 - 1986
أحمد علي الميرغني	1986 - 1989
عمر حسن البشير	1989



جعفر محمد النميري



عمر حسن البشير

رؤساء الجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال

- بشارة الخوري	1943 - 1943
- إميل إده (ثانية)	1943 - 1943
- بشارة الخوري (ثانية)	1943 - 1952
- كميل شمعون	1952 - 1958
- فؤاد شهاب (ثانية)	1958 - 1964
- شارل الحلو	1964 - 1970
- سليمان فرنجيـة	1970 - 1976
- إلياس سركيس	1976 - 1982
- بشير جميل (اغتيل)	1982 - 1982
- أمين جميل	1982 - 1988
- رينيه معوض (اغتيل)	1989 - 1989
- إلياس الهراوي	1989 - 1998
- إميل لحود	1998

أبرز شخصيات العصر السياسية

آل نهيان في الإمارات العربية



الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

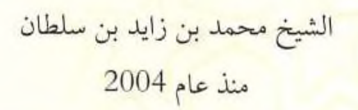
حكَم من 1966- 2004



الشيخ خليفة بن زايد بن سلطان

خلف والده في الحكم منذ 2004





الشيخ محمد بن زايد بن سلطان

منذ عام 2004

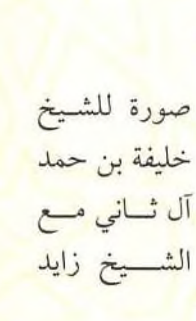
آل ثاني في دولة قطر

- في أوائل القرن الثامن عشر للميلاد حكمت قطر أسرة آل ثاني التي أخذت اسمها من عميدها ثاني بن محمد والد الشيخ محمد بن ثاني، الذي كان أول شيخ مارس سلطته الفعلية في شبه الجزيرة القطرية خلال منتصف القرن التاسع عشر.

- وفي عام 1878م خلف الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني والده الشيخ محمد بن ثاني.

- في عام 1913م تولى الحكم الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني، وفي عهده تم أول اكتشاف للنفط في البلاد.

- وفي عام 1940م تولى الحكم الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني حتى عام 1948م.



صورة للشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مع الشيخ زايد

- وفي عام 1949م تولى الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الحكم حتى عام 1960م. وفي ذلك العام حكم البلاد الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حتى عام 1972م.

- وفي عام 1972م، تولى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني الحكم، بينما نالت قطر استقلالها في الثالث من أيلول من عام 1971م.

-وفي عام 1995م تولى الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني مقاليد الحكم في البلاد بمبايعة وتأييد الأسرة الحاكمة والشعب القطري.



الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر

أبرز شخصيات العصر السياسية

آل خليفة في البحرين



عيسى بن سلمان
1999-1961

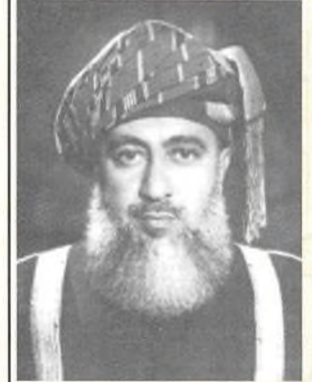


حمد بن عيسى بن سلمان
1999- ومنذ 2002 ملكاً

البو سعيد في عُـمان

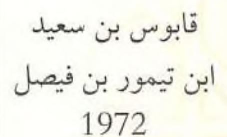


تيمور بن فيصل
1932-1913



سعيد بن تيمور بن فيصل
1970-1932





قابوس بن سعيد
ابن تيمور بن فيصل
1972

آل الصبـــاح في الكــويت



مبارك الصباح بن الصباح
1915-1896



جابر المبارك الصباح
1917-1915



سالم بن مبارك الصباح
1921-1917



أحمد الجابر الصباح
1950-1921



عبد الله السالم الصباح
1965-1950



صباح السالم الصباح
1977-1965



جابر الأحمد الصباح
2006-1977



صباح الأحمد الصباح
2006

المحاور الساخنة في الألفية الثالثة

لعل أبرز المحاور الساخنة في الألفية الثالثة كان قيام تسعة عشر من أفراد ما يُعرف بـ"تنظيم القاعدة" باختطاف طائرات أمريكية من مطاراتها، وتنفيذهم بها هجوماً على حي "مانهاتن" بنيويورك، وتحطيم برجيْ مركز التجارة الدولي "الرمز الاقتصادي الأمريكي" وعلى البنتاغون: "الرمز العسكري الأمريكي"بواشنطن، وتحطيم جزء منه، وهو ما عُرف بعدها بأحداث الحادي عشر من أيلول- سبتمبر.2001 م ... ولكن لذلك ارتباطاً بالسياق التاريخي للعلاقات الأمريكية العربية، ربما يمكن تتبع خيوطه الأولى في نهايات القرن العشرين، ففي حرب تشرين أول - اكتوبر عام 1973 زاد الخلاف العربي الأمريكي إلى مستوى متقدم، حيث قامت الولايات المتحدة بعمل جسر جوي لمساندة إسرائيل في الحرب. وفي المقابل استخدم العرب لأول مرة سلاح النفط في المعركة، وتم الربط بشكل أساسي بين المصالح الأمريكية والغربية في النفط العربي وبين الصراع العربي الإسرائيلي. وبينما هدد "كيسنجر" (وزير الخارجية الأمريكية) بأنه لن يسمح باستخدام سلاح النفط في الصراع، رد وزير النفط السعودي ووزراء عرب آخرون أنهم على استعداد لتفجير منابع النفط إذا كانت هناك محاولة أمريكية للسيطرة عليها.

ومع نهاية الحرب انشغلت الولايات المتحدة في خطط السلام ونجحت بالفعل في دفع مصر وإسرائيل إلى التوقيع على معاهدة كامب ديفد، مما تسبب في خروج مصر من الصف العربي بعد قرار الدول العربية عزلها ونقل مقر جامعة الدول العربية إلى تونس.

وساهمت سياسة الرئيس الأمريكي كارتر في الانفتاح السياسي ومهادنة الاتحاد السوفياتي وتشجيع ما سمي بالأنظمة المعتدلة في المنطقة، إلا أنه ومع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات حدثت تغيرات جديدة في المنطقة العربية، حيث سقط نظام شاه إيران وكان يعتبر أحد الأعمدة الأمريكية في المنطقة، وأيضاً التدخل السوفياتي في أفغانستان، الأمر الذي حدا بالرئيس ريغان إلى إعلان الحرب الدينية ضد الإلحاد الشيوعي، ومساعدة الدول العربية والجماعات الإسلامية في حربها ضد السوفيات في أفغانستان مما أرهق القوة السوفياتية.

تلا ذلك إرهاصات انهيار الاتحاد السوفياتي في نهاية الثمانينات وظهور بوادر هيمنة أمريكية في العالم، وقد كانت حرب الخليج الثانية أبرز معالم التحول وانهيار النظام الدولي القديم.

الهيمنة الأمريكية بعد الحرب الباردة:

شهدت بداية التسعينات من القرن المنصرم انهيار الاتحاد السوفياتي وزوال ما يسمى بالمعسكر الشيوعي وتداعي النظام العالمي القائم على الثنائية القطبية، وانفراد الولايات المتحدة بالنفوذ في منطقة الشرق الأوسط. وقد أظهرت حرب الخليج الثانية أن الولايات المتحدة هي الدولة القادرة على توظيف مجلس الأمن والمؤسسات الدولية لصالح أهدافها، وهي القوة القادرة على تجييش العالم ضد أعدائها، واستطاعت أمريكا من خلال حرب الخليج الوصول إلى منابع النفط وضمان استمرارية تدفقه دون خوف من استخدامه كسلاح من جهة قوى أخرى (العرب خاصة).

لقد بدا واضحاً أن الولايات المتحدة أعادت تعريف مصالحها الحيوية في المنطقة ومصادر التهديد ووضع السيناريوهات التي تنسجم مع مصالحها، فقد كانت سياسة الاحتواء للنفوذ الشيوعي أحد أهم أهداف السياسة الخارجية السابقة في المنطقة، أما بعد حرب الخليج الثانية فقد ربطت سياسة الاحتواء بكل من إيران والعراق "الاحتواء المزدوج".

وبالإضافة إلى ضمان أمن إسرائيل والنفط، عملت واشنطن على وضع دول المنطقة على طاولة المفاوضات. ودخلت الدول العربية مؤتمر مدريد

برعاية أمريكية حقيقية ورعاية روسية رمزية، وأسفر مؤتمر السلام عن توقيع كل من منظمة التحرير الفلسطينية والأردن اتفاقيات سلمية على التوالي مع إسرائيل عامي 1993 و1994. وبدأت أوساط سياسية عديدة تتحدث عن الشرق الأوسط الجديد، وعن السلام والمشاريع الاقتصادية في المنطقة.

إن ضرب العراق والمشهد الفلسطيني بلا شك من أهم محددات العلاقة المستقبلية بين أمريكا والعرب، بيد أن مفاوضات الحل النهائي بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل تعثرت، ولم تفلح الخطط الأمريكية في إرغام الطرف الفلسطيني على مزيد من التنازلات. واشتعلت الانتفاضة مرة أخرى عام 2000، وخرج الشارع العربي يعلن سخطه على الانحياز الأمريكي للطرف الإسرائيلي. وبدا واضحاً أن الأنظمة التي تسميها الولايات المتحدة بالمعتدلة "محرجة" أمام شعوبها، الأمر الذي أدى في المحصلة إلى انسداد أفق المشروع الأمريكي في المنطقة. وظهرت في نفس الوقت أزمة النظام الإقليمي العربي وانقسامه بشكل كبير بين دول تدعو إلى إلغاء اتفاقيات السلام (سوريا)، ودول تدعو إلى فتح باب الجهاد (اليمن والعراق)، ودول تدعو إلى مبادرات سلمية جديدة وإخراج عملية السلام من مأزقها (السعودية، مصر، الأردن)، ودول تستجدي الولايات المتحدة لوقف المذابح الإسرائيلية.

وظهرت دعوات عربية شعبية وفلسطينية جديدة للعودة إلى سلاح النفط لإجبار الولايات المتحدة على أداء دور محايد والقبول بوجود قوات دولية لحماية الفلسطينيين، إلا أن المشهد السياسي انحصر في جرائم ومذابح إسرائيلية بحق الفلسطينيين وضوء أخضر أمريكي وحالة من العجز العربي الواضح.

في ضوء هذا المشهد جاءت أحداث 11 سبتمبر / أيلول التي غيرت وجه التفاعلات والعلاقات الدولية وحركت العالم، فأصبحت الولايات المتحدة في صراع مكشوف ومباشر مع الحركات الإسلامية "الجهادية" التي حولت الإسلام السياسي من عدو مفترض يتحدث عنه المنظرون الاستراتيجيون الأمريكيون إلى عدو حقيقي تواجهه أمريكا عسكرياً في أفغانستان وأمنياً وإعلامياً واقتصادياً خارجها.

وأعلنت الولايات المتحدة الحرب على حركات "الجهاد" باسم الحرب على الإرهاب، وبادرت الدول العربية شبه الحليفة إلى تأييد الحملة الأمريكية، وكذلك الدول العربية الأخرى (دول الشمال الإفريقي) حتى الدول المارقة (كما يصفها المنظرون الأمريكان) - باستثناء العراق- قدمت معلومات ومساعدات أمنية للأمريكان، لتظهر أمريكا بعد هجمات سبتمبر / أيلول مصممة على تنفيذ إرادتها على دول العالم الأخرى.

وما أن انتهت أمريكا من أفغانستان حتى توجهت صوب العراق متحججة تارة بعدم قبوله بعودة المفتشين، وتارة أخرى بامتلاكه أسلحة الدمار، وتارة ثالثة بتعاونه مع تنظيم القاعدة، في حين مازالت حليفتها إسرائيل تضرب الفلسطينيين بعنف، والنظام العربي يقف مكبلاً أمام هذا المشهد الإقليمي القلق، وحالة من الإحباط تسود الشارع العربي.

ولا شك أن غزو العراق والمشهد الفلسطيني من أهم محددات العلاقة المستقبلية بين أمريكا والعرب، إضافة إلى التصورات الاستراتيجية الأمريكية الموضوعة للمنطقة العربية، وقد يتضمن ذلك تغير خارطة الجغرافيا السياسية، وهو ما بدأت ملامحه تتضح بعد احتلال العراق الذي تزامن مع إقامة الدولة العبرية ما عُرف "بالجدار العازل"، ابتغاء توفير الأمن للدولة العنصرية الوحيدة التي استمرت حتى الألفية الثالثة، بمساندة أمريكية مطلقة.

* عن "الجزيرة نت" بـإيجاز وتصرف.

بعض وثائق الحرب على العراق

من نص إعلان بوش الحرب على العراق:

أيها المواطنون! بدأت القوات الأميركية وقوات التحالف في هذه الساعة المراحل الأولية للعمليات العسكرية لنزع أسلحة العراق، ولتحرير شعبه وحماية العالم من خطر قاتم محدق. وبناء على أوامري، بدأت قوات التحالف بضرب أهداف منتقاة تتمتع بأهمية عسكرية من أجل تقويض قدرة صدام حسين على شن الحرب ضدنا.

وهذه مجرد المراحل الاستهلالية لما ستكون حملة واسعة ومركزة. وتقوم أكثر من 35 دولة بتقديم الدعم الحيوي لنا من استخدام القواعد البحرية والجوية، إلى المساعدة في المعلومات الاستخباراتية والعمليات اللوجستية، وإلى نشر الوحدات القتالية.

...إلى جميع الرجال والنساء في القوات المسلحة الأميركية المنتشرين الآن في الشرق الأوسط، أقول: إن سلام العالم المضطرب وآمال شعب مقموع تعتمد الآن عليكم، وسيدرك الأعداء الذين تواجهون عمق خبرتكم وشجاعتكم في الحال. وسيشاهد الناس الذين ستحررونهم روح الشرف والطيبة التي تتسم بها القوات المسلحة الأميركية.

....نأتي إلى العراق والاحترام يحدونا لمواطنيه ولحضارته العظيمة ولمعتقداته الدينية التي يمارسها. وليست لدينا أي مطامع في العراق، إلا إزالة التهديد واستعادة السيطرة على تلك الدولة إلى شعبها.

...إن شعب الولايات المتحدة وشعوب أصدقائنا وحلفائنا لن يعيشوا تحت رحمة نظام خارج على القانون يهدد السلام بأسلحة القتل الشامل. سنتصدى لهذا التهديد الآن بجيشنا .. وذلك لكي لا نتصدى له بجيوش مكافحة الإطفاء والشرطة والأطباء في شوارع مدننا في المستقبل...ولن نقبل أي نتيجة إلا النصر.

ليبارك الله بلادنا ومن يدافعون عنها.

واشنطن 19 مارس/ آذار 2003

من نص إعلان بوش انتهاء الحرب على العراق:

...أيها الزملاء المواطنون: لقد انتهت العمليات الحربية الرئيسية في العراق. وقد انتصرت الولايات المتحدة وحلفاؤنا في معركة العراق، والآن نسعى للسيطرة على أمن ذلك البلد وإعادة إعماره....ولكن أنتم يا أفراد القوات المسلحة الأمريكية، أنتم الذين أنجزتم هذا النصر... إن بلدنا أكثر أمناً بسببكم. وقد سقط الطاغية وتحرر العراق بفضلكم. لقد تم تنفيذ "عملية حرية العراق" بمزيج من الدقة والسرعة والجرأة لم يتوقعه العدو، ولم يشهد العالم له مثيلاً في السابق... وقد أظهرتم للعالم مهارة وجبروت القوات المسلحة الأمريكية.

...إن الأخلاق التي تحلت بها قواتنا المسلحة عبر التاريخ، والمثالية واللطف والكرم والتي حولت الأعداء إلى أصدقاء، متجسدة تماماً اليوم في هذا الجيل. وقد شاهد المدنيون العراقيون عند النظر إلى وجوه مجندينا ومجنداتنا القوة واللطف والنوايا الحسنة. وحين أنظر أنا إلى أفراد القوات المسلحة الأمريكية، يشرفني أن أكون قائدكم الأعلى.

...لقد صرنا نملك اليوم القوة الأعظم لأن نحرر بلداً عبر سحق نظام خطير عدواني.

...لقد شاهدنا من خلال صور العراقيين المحتفلين (بالتحرر)، افتتان البشر السرمدي بالحرية.

...لدينا عمل صعب نؤديه في العراق.وقد بدأنا البحث عن الأسلحة الكيميائية والبيولوجية المخبأة، ونحن على علم بالفعل بمئات المواقع التي سيتم التحقق في أمرها.

...إن معركة العراق هي انتصار واحد في حرب على الإرهاب بدأت يوم 11 سبتمبر/ أيلول 2001 ومازالت مستمرة. وفي معركة أفغانستان، قضينا على طالبان والكثير من الإرهابيين والمعسكرات التي كانوا يتدربون فيها. وسنكمل ما بدأناه (في أفغانستان).

أحـــداث أيـــلول









...إن حربنا ضد الإرهاب تتقدم حسب مبادئ أوضحتها للجميع: أي شخص متورط في ارتكاب أو التخطيط لارتكاب هجمات إرهابية ضد أمريكا هو عدو لنا وهدف للعدالة الأميركية. وأي نظام خارج على القانون له علاقات مع جماعات إرهابية ويسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل هو خطر مميت على العالم المتحضر، وستتم مواجهته.

...إن مهمتنا مستمرة. لقد أصيبت (شبكة) القاعدة بجراح، ولم يُقضَ عليها. ولا تزال خلايا الشبكة الإرهابية المبعثرة نشطة في دول كثيرة... إن أعداء الحرية لم يتكاسلوا وبتوقفوا عن العمل، ولم نفعل ذلك نحن أيضاً. وقد اتخذت حكومتنا إجراءات لا سابق لها للدفاع عن الوطن. وسوف نواصل تصيّد العدو قبل أن يتمكن من توجيه الضربات.

...أنتم الآن في طريقكم إلى الوطن بعد أن خدمتم في ميدان الحرب في أفغانستان والعراق، إن عائلاتكم ستفخر بكم، ووطنكم سيرحب بكم.

...وإننا نذكر أيضاً بعض النساء والرجال الأفاضل الذين خسرناهم أثناء تأديتهم واجبهم. لقد كان آخر ما قاموا به على وجه هذا الكوكب هو مقاتلة شر عظيم وجلب الحرية لآخرين. لقد لبيتم جميعاً أنبل نداءات التاريخ. إنكم تدافعون عن بلدكم وتحمون الأبرياء من الأذى. وأنتم تحملون معكم، حيثما توجهتم، رسالة من الأمل، رسالة بالغة القدم وجديدة دوماً. وكما قال إشعياء النبي للأسرى "اخرجوا" وللذين في الظلمات "كونوا أحرارا".

...شكراً لكم لخدمتكم بلدنا وقضيتنا. باركم الله جميعاً، ونبتهل أن يستمر الله في مباركة أمريكا.

واشنطن 1 مايو/ أيار 2003

من خطاب جورج بوش من على ظهر حاملة الطائرات يو إس إس إبراهام لنكولن في البحر قرب ساحل سان دييغو، ولاية كاليفورنيا.

من صفحات الحرب على العراق

اغتيال الشيخ أحمد ياسين فجر الإثنين 22/ 3 /2004





لم يردع إسرائيل ضعف الشيخ أحمد ياسين الجسدي عن اغتياله، واعتبر رئيس الوزراء الإسـرائيلي أريبل شارون استشهاد الشيخ نصراً له، وتوعد باستمرار سياسة الاغتيالات ضد قادة المقاومة الفلسطينية.

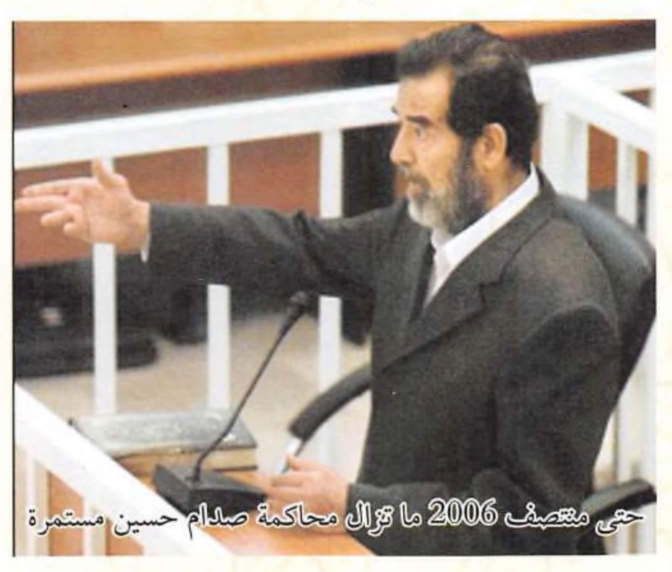




اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري 14 شباط 2005



الهدف الأسهل والمتاح دائماً للغزو الأمريكي على العراق



حتى منتصف 2006 ما تزال محاكمة صدام حسين مستمرة



قائمة بأهم المصادر والمراجع

أطلس تاريخ الإسلام ، د. حسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربي

أطلس تاريخ العالم ، تأليف هيرمن كندر و فيرنر هيلغيمن، تعريب: إلياس عبدو الحلو، المكتبة الشرقية- بيروت

الأعمال المعدنية الإسلامية ، تأليف راشيل وارد- ترجمة ليديا البريدي - دار الوليد

بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون - د. عبد الكريم رافق - ط 1 / دمشق 1967

بهجة المعرفة - مسيرة الحضارة - الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - طرابلس - ليبيا

تاريخ الجزائر الحديث ، د. محمد خير فارس - مكتبة دار الشرق - بيروت ، بلا تاريخ

تاريخ الحضارات العام - تعريب يوسف أسعد داغر وفريدم داغر - منشورات عويدات

تاريخ الحضارة الإسلامية - د. أبو زيد شلبي - مكتبة وهبة - ط 6 / 1977

تاريخ الدولة العثمانية ، الأمير شكيب أرسلان - دار ابن كثير ودار التربية - دمشق - ط 1 / 2001

تاريخ الزخرفة - د. سامي رزق بشاي وآخريْن - صادر عن وزارة التربية والتعليم - مصر 1999 - 2000م

تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان - ترجمة نبيه أحمد فارس ومنير البعلبكي - دار العلم للملايين ط4 / 1965

تاريخ العالم - سير جون هامرتن - ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم المصرية - مكتبة النهضة المصرية

تاريخ العرب الحديث ، د. علي سلطان - منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية - بلا تاريخ

التطور العمراني لمدينة القاهرة - دكتور أيمن فؤاد سيد - الدار المصرية اللبنانية - ط 1 / 1997

الجيش المصري في الحرب الروسية ، الأمير عمر طوسون - مكتبة مدبولي بالقاهرة

حوليات العالم الإسلامي - د. حسين أحمد أمين - مكتبة مدبولي 1990

دراسات تاريخية ، د. عماد الدين خليل - دار ابن كثير - دمشق - 2005

دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي ، د. يوسف حسن غوانمة - دار الفكر - عمّان - الأردن/ 1983

ظهر الإسلام - أحمد أمين - دار الكتاب العربي

العرب والإسلام - د. محمد أمين صالح - مكتبة الإنجلو المصرية - 1992

عُمان في التاريخ - مجموعة من الباحثين - دار إميل للنشر - لندن / 1995

الفن الإسلامي ، د. أرنست كونل - ترجمة د. أحمد موسى - دار صادر - بيروت

الكامل في التاريخ - عز الدين بن الأثير الجزري

لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، د. أسد رستم - منشورات المكتبة البولسية - بيروت - ط 2 / 1984

مجلة (فكر) ، العدد 70 / ربيع 1992

من تاريخ الحضارة الإسلامية ، د. محمد عوني ياسين - نشر الزهراء للإعلام العربي

المنجد في اللغة والأعلام - دار المشرق - بيروت 1992

موسوعة التاريخ والحضارة - د.أحمد شلبي- مكتبة النهضة المصرية

موقع "العملات الذهبية الإسلامية" على الشبكة العالمية: Islamic Golden Coins.net

موقع الموسوعة الحرة - ويكيبيديا

الفهرس العام للأطلس

الفهـــرس العـــام للأطـــلس